الكتاب الأفضل مبيعًا في صنداي تايمز

مكتبة منتصف الليل

مكتبة
واحدة.

حيوات
عديدة.



رواية

مات هيغ

ترجمة:
محمد الضبع

kalemat

مكتبة
٧٥٠

إهداء لـ..

سنقرأ

مع النادي

في الجامعة

مع مكتبة

مكتبة منتصف الليل
The Midnight Library
مات هيغ
Matt Haig
ترجمة: محمد الضبع
دار كلمات للنشر والتوزيع
عصير الكتب - مصر
بريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com



٢٠٢١ ١١ ٩

ردمك: 978-9921 730 86-9

مكتبة منتصف الليل

THE MIDNIGHT LIBRARY

مكتبة | 750
سُر مَن قرأ

مات هيغ

MATT HAIG

ترجمة:

محمد الضبع

2021

kalemat

إلى كل العاملين في القطاع الصحي.

شكرًا.

ملاحظة المترجم

تـم تـرك أسـماء الأفـلام والأغانـي وكلماتهـا فـي الروايـة بلغتهـا الأصليّـة لمنـح القـارئ فرصـة البحـث عنهـا والاسـتمتاع بإيقاعهـا كمـا أراد الكاتـب.

لا أستطيع تقمّص كل ما أريد من الأجساد. لا أستطيع عيش كل ما أريد من الحيوات. يستحيل عليّ التدرّب على كل ما أريد من المهارات. ولماذا أريد كل هذا؟ أريد العيش والشعور بكل الظلال، النغمات، والتجارب الذهنية والجسدية الممكنة في حياتي.

سيلڤيا پلاث

قالت: «بين الحياة والموت هنالك مكتبة، وفي تلك المكتبة، تمتد الرفوف بلا نهاية. كلّ كتاب يمنح فرصة لتجربة حياة أخرى. لاستكشاف ما يمكن أن يحدث لو أنك تبنيت خيارات أخرى. إن سنحت لك الفرصة للعودة إلى الوراء ومحو ندمك، هل كنت لتغيّر شيئًا؟»



قبل تسع عشرة سنة من قرار موتها، جلست نورا سيد في دفء مكتبة مدرسة هَيزلدين الصغيرة في بلدة بدفورد. جلست قرب طاولة منخفضة تحدق إلى رقعة شطرنج.

قالت لها أمينة المكتبة، السيدة إلم: «عزيزتي نورا، من الطبيعي قلقك بشأن مستقبلك.»

حرّكت السيدة إلم أول قطعة. حصان يقفز فوق صفٍ أنيقٍ من البيادق البيضاء. «ستقلقين حتمًا بشأن الامتحانات. ولكنك تستطيعين فعل ما تريدين بعد ذلك في حياتك، نورا. فكّري في كل الاحتمالات الممكنة. إنه أمر رائع.»

«نعم، أظن ذلك.»



«حياة كاملة أمامك.»

«حياة كاملة.»

«بإمكانك فعل أي شيء، والعيش في أي مكان. بإمكانك الانتقال إلى مكان يقلّ فيه البرد والمطر.»

دفعت نورا بأحد البيادق خطوتين.

كان من الصعب تجاهل الفرق الواضح بين السيدة إلم ووالدة نورا، كانت والدتها تعاملها وكأنها خطأ يجب تصحيحه. مثلًا، عندما كانت نورا طفلة كانت والدتها قلقة بشأن أذنها اليسرى لاعتقادها أنها تميل نحو الخارج أكثر من اليمنى، لدرجة أنها استخدمت الورق اللاصق لإبقائها في مكانها وأخفتها أسفل قبعة من الصوف.

«أكره البرد والمطر» قالت السيدة إلم مؤكدة.

كان شعر السيدة إلم قصيرًا ورماديًا، وكان وجهها لطيفًا مجعدًا وبيضاويًا يجلس بشحوب فوق ياقة كنزتها الخضراء. كانت كبيرة في السن. ولكنها أيضًا أقرب إنسانة إلى نورا في هذه المدرسة. كانت السيدة إلم تقضي الظهيرة في المكتبة الصغيرة حتى لو لم يهطل المطر.

قالت لها نورا: «البرد والبلل لا يأتيان معًا دائمًا، القارة القطبية الجنوبية أكثر القارات جفافًا على الأرض. إنها أقرب ما تكون إلى الصحراء.»

«يبدو أنك مهتمة بالسفر إذن.»

«لا أظن أنها بعيدة بما يكفي.»

«حسنًا، ربما يناسبك أن تكوني رائدة فضاء. للسفر عبر المجرة.»

ابتسمت نورا. «المطر أسوأ بكثير على الكواكب الأخرى.»

«أسوأ من بدفورد؟»

«على كوكب الزهرة يهطل مطر حمضي.»

أخرجت السيدة إلم منديلًا من كمها ونظفت أنفها برقة. «أرأيت؟ بعقلك هذا تستطيعين فعل أي شيء.»

نظرت نورا إلى النافذة المبللة لترى صبيًا أشقر يصغرها بسنتين وهو يركض في الخارج. إما أنه يُطارِد أو يُطارَد. ومنذ رحيل أخيها، شعرت نورا بأنها دون حماية في المدرسة. كانت المكتبة بالنسبة إليها عبارة عن مأوى متحضّر صغير.

«يظن أبي أنني ضيعت مستقبلي لتوقّفي عن السباحة.»

«العالـم أكبـر مـن مجـرد القـدرة علـى السـباحة بسـرعة فائقـة. هنالـك حيـوات عديـدة محتملـة تنتظـرك. كمـا قلـت لـكِ الأسـبوع الماضـي، بإمكانـك أن تصبحـي باحثـة فـي علـم الجليـد. لقـد بحثـت عـن هـذا الحقـل و—»

ورنّ الهاتف.

قالت السيدة إلم بلطف، «لحظة، عليّ أن أرد على الهاتف.»

بعـد لحظـة، راقبـت نـورا السـيدة إلـم وهـي تتحـدث علـى الهاتـف. «نعـم، إنهـا هنـا الآن.» كان وجـه أمينـة المكتبـة مليئًـا بالرعـب. أدارت ظهرهـا إلـى نـورا، ولكـن صـوتها كشـف كل شـيء: «أوه لا. لا. أوه يـا إلهـي. طبعًـا...»

بعد تسع عشرة سنة

الرجل على الباب

قبل سبع وعشرين ساعة من قرار موتها، جلست نورا سييد على أريكتها الرثة بينما كانت تتصفح الصور السعيدة لحياة الآخرين من حولها، تنتظر حدوث شيء ما. وفجأة، دون مقدمات، حدث شيء فعلًا.

لسبب غريب، قرع أحدهم باب نورا.

فكّرت للحظة في عدم فتح الباب.

لقد كانت ترتدي ملابس نومها، رغم أن الساعة ما زالت تشير إلى التاسعة مساءً. لم ترد فتح الباب وهي ترتدي قميصًا كبير المقاس من ماركة صديقة للبيئة وبنطال ترتان.

نعلت حذاءها المنزلي ليبدو منظرها مقبولًا، واكتشفت أن مَن قرع الباب كان رجلًا تعرفه.

كان طويلًا ذا وجه لطيف وعينين حادتين لامعتين، وكأنه ينظر إلى عمق الأشياء.

كانت نورا سعيدة لرؤيته، رغم قدومه المفاجئ، ورغم أنه يرتدي ملابس رياضية بدا كأنه قد انتهى من تمرينه للتو في البرد والمطر. اقترابها منه جعلها تشعر بالمزيد من الاشمئزاز من هيئتها.

كانت تشعر بالوحدة. ورغم أنها درست ما يكفي من الفلسفة الوجودية لتعرف أن الوحدة ليست إلا جزءًا أساسيًا من وجود الإنسان في كون بلا معنى، كانت سعيدة لرؤيته.

قالت له وهي مبتسمة: «آش، أليس هذا اسمك؟»

«بلى.»

«ما الذي جاء بك إلى هنا؟ سعيدة لرؤيتك.»

قبل عدة أسابيع كانت نورا تجلس للعزف على بيانو كهربائي لتراه من النافذة وهو يركض في شارع بانكروفت ويلوّح لها بيده. سألها آش -قبل سنوات- إن رغبت في الخروج معه في موعد لشرب القهوة. ربما سيكرّر محاولته الآن.

قال لها: «سعيد لرؤيتكِ أيضًا.» ولكن ملامحه المنقبضة لم تكن سعيدة قط.

لطالما كان آش مبتهجًا لحديثه مع نورا في المتجر، ولكن صوته الآن يخفي ثقلًا غريبًا. حكّ حاجبه. أحدث صوتًا غريبًا دون أن ينجح في التفوّه بكلمة واحدة. سألته نورا سؤالًا عشوائيًا: «هل تركض؟» كان من الواضح أنه خرج للركض. وبدا عليه الارتياح لمنحه الفرصة لقول شيء سطحي ولو للحظات.

«نعم، إنني أستعد لنصف ماراثون البلدة. سيقام يوم الأحد.»

«رائع، كنت أريد المشاركة فيه ولكني تذكرت كرهي للركض.»

كانت هذه الجملة أكثر طرافة في ذهن نورا. لم تكن تكره الركض. ولكنها كانت مرتبكة بسبب تعابير آش القلقة. تحوّل الصمت بينهما من مجرد لحظة محرجة إلى شيء آخر تمامًا.

قال آش: «لقد أخبرتني بأنكِ تملكين قطًا.»

«نعم.»

«أتذكر أن اسمه فولتير. عتابي بني اللون؟»

«نعم، أناديه ڤولتس لأنه يجد اسم ڤولتير زائفًا ومغرورًا، ويبدو أنه لا يحب الفلسفة الفرنسية وأدبها في القرن الثامن عشر. إنه قط متواضع.»

نظر آش إلى حذاء نورا.

قال آش: «أخشى أنه قد مات.»

«ماذا؟»

«إنه ممدّد إلى جانب الطريق. رأيت اسمه على الطوق، أظن أن سيارة ما صدمته. آسف نورا.»

لقد كانت تخشى التغيير المفاجئ في مشاعرها، لدرجة أنها استمرت في الابتسام، وكأن هذه الابتسامة ستبقيها في العالم الذي كانت فيه قبل لحظات من سماعها الخبر. العالم الذي لا يزال ڤولتس فيه على قيد الحياة، والذي جاء فيه هذا الرجل -الذي باعت له كتاب أغاني غيتار- إلى بابها لسبب آخر.

تذكرت نورا أن آش يعمل طبيبًا جرّاحًا. ليس جراحًا بيطريًا، وإنما بشريًا. ولذلك فإنه يعرف جيدًا معنى الموت.

«أنا آسف جدًا.»

شعرت نورا بحزن مألوف. ولم يوقفها سوى السيرترالين عن البكاء. «يا إلهي.»

خرجت للسير باتجاه الرصيف المتصدع لشارع بانكروفت، تنفّست بصعوبة بالغة، لترى الكائن صاحب الفرو البني وهو يستلقي على أرضية تلتمع بتساقط المطر. خدش رأسه جانب الرصيف وضُمّت قدماه للوراء وكأنه يطارد عصفورًا خياليًا.

«أوه ڤولتس. أوه لا. أوه يا إلهي.»

لقد علمت نورا وجوب شعورها بالحزن واليأس بسبب موت صديقها الصغير -وقد كانت حزينة فعلًا- ولكنها أدركت شيئًا آخر. بينما كانت تحدّق إلى تعابير ڤولتير الساكنة والمسالمة -ذلك الانعدام الكامل للألم- باغتها شعور وشيك كان يراودها في الظلام.

الحسد.

قبل تسع ساعات ونصف من قرار موتها، وصلت نورا متأخرة عن عملها بعد الظهر في متجر نظرية الأوتار.

قالت نورا لنيل، في مكتب صغير بلا نوافذ: «أنا آسفة، لقد مات قطي ليلة البارحة، وكان عليّ دفنه. لقد ساعدني شخص ما في الدفن، ولكني بقيت وحدي في شقتي ولم أستطع النوم ونسيت ضبط المنبه ولم أستيقظ إلا عند الظهيرة وكان عليّ الإسراع في المجيء.»

كانت صادقة في كل ما قالته، وتخيّلت أن مظهرها -وجهها الخالي من المساحيق، ربطة شعرها الفوضوية وفستانها الأخضر الذي اشترته من متجر الملابس المستعملة وارتدته طوال الأسبوع، بالإضافة إلى هواء العالم المحبط واليائس المحيط بها- سيغفر لها تأخرها عن العمل.

توقف نيل عن النظر إلى شاشة الكمبيوتر، حدق إليها مباشرة وأعاد ظهره للوراء ليرتاح في كرسيّه. ضم يديه معًا، ووضعهما أسفل ذقنه، وكأنه كونفوشيوس يفكّر في حقيقة فلسفيّة عميقة عن الكون وليس مديرًا لمتجر للأدوات الموسيقية يتعامل مع موظفة متأخرة. كان وراءه ملصق ضخم لفرقة فليتوود ماك، الزاوية اليمنى العليا للملصق قد تدلّت كأنها أذن جرو صغير.

«اسمعي، نورا، لطالما أردت مساعدتك.»

كان نيل رجلًا خمسينيًا مسالمًا، يهوى عزف الغيتار وتكرار النكات المملّة وغناء نسخ مقبولة من أغاني بوب ديلان في المتجر.

«وأعرف أنكِ تعانين من مشكلات نفسيّة.»

«الجميع يعانون من مشكلات نفسيّة.»

«أنتِ تعرفين قصدي.»

كذبت عليه قائلة: «أشعر بالتحسن بشكل عام. لا أعاني من اكتئاب مرضي. قال الطبيب إنه اكتئاب ظرفي. المشكلة تكمن في تعرّضي لظروف ومواقف جديدة بشكل مستمر. ولكن لم يسبق لي أن تغيّبت أو أخذت إجازة مرضيّة بسبب هذا. عدا تلك المرة التي كانت فيها أمي... نعم، عدا تلك المرة.»

تنهّد نيل. وكان كلّما يتنهّد يحدث صوت صفير من أنفه. كنغمة سي منخفضة مشؤومة. «نورا، منذ متى وأنتِ تعملين هنا؟»

«منذ اثنتي عشرة سنة و...» - لقد كانت تعرف المدة بالضبط- «أحد عشر شهرًا وثلاثة أيام. على نحو متقطّع.»

«هذا وقت طويل. أشعر بأنك قادرة على القيام بعمل أفضل من هذا. إنكِ في أواخر الثلاثينيات.»

«إنني في الخامسة والثلاثين.»

«لديكِ الكثير من الإمكانات. إنكِ مُعلمة بيانو للعديد...»

«أعطي دروس بيانو لشخص واحد فقط.»

نفض نيل بعض الفتات عن سترته.

«هل تخيلتِ نفسك وأنتِ عالقة في قريتك للعمل في متجر صغير؟ عندما كنتِ في الرابعة عشرة من عمرك؟ ماذا تخيلتِ لمستقبلك؟»

«في المراهقة؟ كنت سأصبح سبّاحة.» كانت نورا أسرع سبّاحة مراهقة في سباحة الصدر في البلاد، وثاني أسرع سبّاحة مراهقة في السباحة الحرّة. تذكّرت أنها وقفت على

منصّة بطولات السباحة الوطنيّة.

«وماذا حدث بعدها؟»

أعطت نيل الجواب المختصر. «لقد تعرضت للكثير من الضغوط.»

«الضغوط تجعلنا أكثر صلابة. يبدأ الأمر بقطعة فحم يحوّلها الضغط إلى ألماس.»

لم تحاول نورا تصحيح معلومته عن الألماس. لم تخبره بأنه على الرغم من أن الفحم والألماس مكونان من الكربون، لا يمكن للفحم أن يتحوّل إلى ألماس مهما كان الضغط الذي عُرّض له. ووفقًا للعلم، إن بدأت حياتك كقطعة فحم فستبقى قطعة فحم. ولربما كان هذا هو الدرس الحقيقي للحياة.

أمسكت خصلة طائشة من شعرها الأسود الفحمي ووضعتها في ربطتها.

«ماذا تقصد يا نيل؟»

«ما زالت الفرصة سانحة لمطاردة الأحلام.»

«متأكدة تمامًا أن الفرصة قد ولّت لمطاردة ذلك الحلم.»

«أنتِ إنسانة مؤهلة يا نورا. شهادة في الفلسفة...»

حدّقت نورا في شامة صغيرة على يدها اليسرى. تلك الشامة مرّت بكل ما مرّت به نورا. وبقيت مكانها، دون اهتمام. مجرد شامة.

«لا يهتم أحد بالفلاسفة في بدفورد، إن أردت الصراحة يا نيل.»

«لقد التحقتِ بالجامعة، قضيتِ سنة كاملة في لندن، ثم عدتِ.»

«لم يكن لديّ خيار آخر.»



لم ترد نورا الحديث عن والدتها المتوفية. أو حتى عن دان. لأن نيل رأى نورا عائدة من حفل زفاف عاشت فيه أجمل قصة حب منذ زمن كيرت وكورتني.

«جميعنا نملك خيارات يا نورا. إنها الإرادة الحرّة.»

«ليس صحيحًا إن كنت ستنظر بمفهوم حتمي إلى الكون.»

«ولكن لماذا تعملين في هذا المتجر؟»

«إن لم أعمل في هذا المتجر كنت سأعمل في مركز إنقاذ الحيوانات. الراتب هنا أفضل، بالإضافة إلى وجود الموسيقى.»

«لقد كنتِ في فرقة موسيقية مع أخيك.»

«نعم. فرقة المتاهات. لم نكن لنحقق أيّ نجاح.»

«لأخيكِ رأي آخر.»

تفاجأت نورا من معرفته بأخيها. «جو؟ كيف استطعت---»

«لقد جاء لشراء مكبر صوت من نوع Marshal DSL40.»

«متى؟»

«يوم الجمعة.»

«كان في بدفورد؟»

«إلا إن كان طيفًا. مثل توپاك.»

خمنت نورا أنه ربما جاء لزيارة راڤي الذي كان أقرب الأصدقاء لأخيها. وبعد أن تخلّى جو عن عزف الغيتار وانتقل للعيش في لندن للعمل في وظيفة في شركة تقنية كان يكرهها، ظل راڤي عالقًا في بدفورد. كان يعزف في فرقة موسيقية تُدعى «المسلخ رقم أربعة»، وكانت هذه الفرقة تؤدي في حانات المدينة.

«حسنًا.»

كانت نورا متأكدة من معرفة أخيها أن يوم الجمعة هو يوم عطلتها. أزعجتها هذه الفكرة.

«أنا سعيدة.»

«هذا غير صحيح.»

لقد كان نيل محقًا. كان المرض يتفاقم في روحها. كان عقلها يدمر نفسه. ابتسمت بطريقة مصطنعة.

«أقصد أنني سعيدة بالعمل هنا. راضية يا نيل، إنني بحاجة إلى هذه الوظيفة.»

«أنتِ إنسانة رائعة. تهتمين بأمر العالم. بالمشردين، بالبيئة.»

«أنا بحاجة إلى هذه الوظيفة.»

عاد نيل إلى وضعية كونفوشيوس وقال لها: «أنتِ بحاجة إلى الحرية.»

«لا أريد الحريّة.»

«هذه ليست منظمة خيريّة. رغم أنني ألاحظ تحوّلها.»

«نيل، هل ما زلت غاضبًا مما قلته لك الأسبوع الماضي عن تطوير المتجر؟ لدي بعض الأفكار التي ستساعدنا على جذب الشباب---»

قال بنبرة دفاعيّة: «لا، هذا المتجر بدأ بفكرة بيع الغيتارات، ولذلك أسميته نظرية الأوتار، هل تفهمين؟ ثم بعت المزيد من المعدات لإنجاح المشروع، ولكنني لا أستطيع دفع راتبك وأنتِ تنفّرين الزبائن بوجهك الممل.»

«ماذا؟!»

«أعتذر يا نورا» سكتَ لمدة تكفي لرفع فأس في الهواء – «ولكنني مضطر إلى فصلك من العمل.»

قبل تسع ساعات من قرار موتها، تجوّلت نورا في بدفورد دون هدف. كانت البلدة حزامًا ناقلًا للتعاسة. المركز الرياضي المليء بالحصى والذي كان والدها الميت يزوره ليراقبها وهي تسبح، المطعم المكسيكي الذي كانت ترتاده لطلب الفاهيتا مع دان، المستشفى الذي كانت والدتها تتلقى فيه العلاج.

أرسل إليها دان رسالة نصية بالأمس.

نورا، اشتقت إلى صوتك. هل يمكننا التحدّث؟

ردت عليه بأنها محمومة *(ضحكة)*. من المستحيل عليها إرسال أي شيء آخر. ليس لأنها لا تحبه، بل لأنها أحبّته. ولأنها لم ترد المخاطرة بجرحه مرة أخرى. لقد أفسدت حياته. كان قد أرسل لها ذات ليلة وهو ثمل، بعد أن قررت نورا إلغاء حفل زفافهما قبل موعده الرسمي بيومين: *حياتي فوضى.*

كان الكون يميل نحو الفوضى والقصور الحراري. كان هذا أحد المبادئ الأساسيّة في الديناميكا الحراريّة. وربما كان أحد مبادئ الوجود أيضًا.

تخسر وظيفتك ثم تبدأ الأشياء السيئة بالحدوث.

تهمس الريح عبر الأشجار.

يهطل المطر.

اتجهت نورا لتختبئ تحت سقف متجر الصحف، بشعور عميق -وصحيح- بأن الأشياء سوف تتجه نحو الأسوأ.

قبل ثماني ساعات من قرار موتها، دخلت نورا إلى متجر الصحف. «هل تختبئين من المطر؟» سألتها المرأة من خلف الشبّاك. «نعم.» أبقت نورا على رأسها منخفضًا. كان يأسها ينمو وكأنه ثقل لم تستطع حمله.

وقعت عينها على عدد مجلة *ناشيونال جيوغرافيك* في الرف.

وبينما كانت تحدّق إلى غلاف المجلة -صورة لثقب أسود- أدركت أنه يعبّر عنها. وكأنها ثقب أسود. نجمة تحتضر، تنهار وتتهاوى.

كان والدها قارئًا للمجلة. تذكرت افتتانها بمقالة قرأتها عن سفالبارد في الأرخبيل النرويجي في المحيط المتجمّد الشمالي. لم يسبق لها أن رأت مكانًا بهذا البعد. كانت قد قرأت عن علماء أجروا أبحاثًا في الأنهار الجليدية، الأزقة البحريّة وطيور البفن، ثم تذكرت قرارها بعد تشجيع من السيدة إلم بأن تصبح عالمة جليد.

رأت نورا ظهر صديق أخيها الأحدب والبائس رافي -وصديقهما السابق بالفرقة- قرب رف مجلات الموسيقى، وهو منهمك في قراءة مقالة. وقفت مكانها للحظة إضافيّة، ثم حاولت المغادرة، إلا أنها سمعته وهو ينادي، «نورا؟»

«رافي، أهلًا. سمعت أن جو قد جاء لزيارتك؟»

«نعم.»

«هل التقيت به؟»

«نعم، لقد التقينا.»

صمتٌ شعرت به نورا كالألم.

«لم يخبرني بأنه سيأتي إلى البلدة.»

«كانت زيارة خاطفة.»

«هل هو بخير؟»

سكت رافي لبرهة. كانت نورا قد أُعجبت به لفترة، ولطالما كان صديقًا وفيًا لأخيها. ولكن، كما هو الأمر مع جو، كان بينهما حاجز ما، بالإضافة إلى شجارهما الأخير (رمى بعصي الطبول على الأرض وغادر غرفة التدريب حين أخبرته نورا أنها ستترك الفرقة.) «أظن أنه مكتئب.»

قلقت نورا من مجرد التفكير في إمكانيّة شعور أخيها بما تشعر به.

أكمل رافي وفي صوته غضب كبير: «لقد تغيّر جو. ويبدو أنه سيخرج من شقته الصغيرة في حي شيبردز بوش في لندن. بعد فشله في أن يصبح عازف غيتار في فرقة روك ناجحة. حتى أنا لا أملك أيّ مصدر دخل. حفلات الحانات لم تعد تفيد بشيء. حتى وإن عرضت عليهم تنظيف دورات المياه بعد انتهاء الحفلة. هل سبق لكِ وأن نظّفتِ دورات مياه حانة من قبل؟»

«إنني أمر بوقت عصيب أيضًا، إن كنّا نتنافس في أولمبياد التعاسة.»

ضحك رافي وسعل. «أصغر كمان في العالم يعزف الآن.»

لم تكن نورا في مزاج يسمح لها بالأخذ والرد معه. «هل ما زلت غاضبًا بسبب خروجي من الفرقة؟»

«لقد كانت الفرقة مهمة لي ولأخيك. لنا جميعًا. كنّا نملك عقدًا مع شركة يونيڤرسال. ألبوم موسيقي، أغانٍ عديدة، جولة عالمية. كان بإمكاننا أن ننجح كفرقة كولدپلاي.»

«أنت تكره كولدپلاي.»

«لا يهم. كنّا سننتقل إلى ماليبو. وبدلًا من ذلك، ما زلنا في بدفورد، ولهذا لا يريد جو رؤيتك.»

«لقد كنت أمر بنوبات هلع، وخيّبتُ أمل كل من حولي. أخبرت يونيڤرسال بأن يستمروا في العمل معكم دوني. وافقت على كتابة الأغاني. لم تكن غلطتي أنني كنت مخطوبة. كنت مع دان. لم أستطع الاستمرار معكما.»

«حسنًا، وهل نجحت علاقتكِ بدان؟»

«راڤي، هذا ليس عدلًا.»

«العدل. كلمة رائعة.»

نظرت إليهما المرأة العاملة بفضول.

«فرق الموسيقى لا تستمر. انهمرنا كالنيازك. وانتهينا قبل أن نبدأ.»

«انهمار النيازك جميل للغاية.»

«ما زلتَ مع حبيبتك إيلا، أليس كذلك؟»

«كان يمكن لي الاستمرار مع إيلا، والنجاح مع الفرقة وكسب المال. كانت لدينا فرصة، هنا بالضبط.» مشيرًا إلى راحة يده. «كانت أغانينا نيرانًا.»

كرهت نورا نفسها لأنها صحّحت له بصمت «أغانينا» إلى «أغانيّ» في قلبها.

«لا أعتقد أن المشكلة كانت خوفكِ من المسرح أو من الزفاف، بل خوفكِ من الحياة بأكملها.»

لقد أوجعتها كلماته؛ كتَمَتْ أنفاسها.

ردّت عليه بصوت يرتجف: «وأظن أن مشكلتك هي لومك للآخرين على حياتك البائسة.»

هز رأسه وكأنه قد تعرّض لصفعة. أعاد المجلة إلى مكانها.

«أراكِ لاحقًا نورا.»

قالت له وهو يغادر المتجر باتجاه المطر: «قل لجو أنني أسلّم عليه. أرجوك.»

لمحت نورا غلاف مجلة *قطّتك*. كان القط على غلافها عتابي وبنيّ اللون. احتشد الضجيج في عقلها، كإحدى سمفونيات العاصفة والاندلاع، وكأن شبح موسيقي ألماني سُجن في عقلها، ليستحضر الفوضى والتوتّر.

قالت لها المرأة في المتجر شيئًا لم تسمعه جيدًا.

«عفوًا؟»

«نورا سيد؟»

لقد كانت المرأة -ذات التسريحة الشقراء والبشرة السمراء- سعيدة وتلقائية ومرتاحة بطريقة *لم تعد نورا تجيدها*. قامت المرأة عن طاولتها ومالت باتجاه الزجاج الفاصل بينهما، كما لو أن نورا قرد في حديقة حيوان.

«نعم.»

«أنا كيري-آن. أتذكرك من أيام المدرسة. أنتِ السبّاحة، العبقريّة. ألم يجمعنا السيد بلاندفورد في المدرسة ليخبرنا

بأنكِ ستصلين إلى الأولمبياد يومًا ما؟»

هزّت نورا رأسها.

«هل وصلتِ إلى الأولمبياد؟»

«لقد، ممم، تركت السباحة. كنت مهتمة أكثر بالموسيقى... في تلك المرحلة. ثم دارت الأيام.»

«وماذا تعملين الآن؟»

«أنا... في مرحلة انتقاليّة.»

«إذن، لديك زوج؟ أطفال؟»

هزّت نورا رأسها. وتمنّت أن يقع من مكانه على الأرض كي لا تضطر إلى خوض محادثة أخرى مع شخص غريب.

«حسنًا، لا تبقي متعلقة بالموسيقى. تِك-توك تِك-توك.»

«أنا في *الخامسة والثلاثين* من عمري.» كم تمنّت لو كانت إيزي حاضرة معها. لم تكن لتسمح لهذه المرأة بطرح مثل هذه الأسئلة. «ولست متأكدة من رغبتي ---»

«أنا وجَيك مررنا بالكثير من المنعطفات ولكننا استقررنا أخيرًا. ولدينا الآن طفلان مرعبان. ولكنهما يستحقان كل التعب. أشعر بأن حياتي مكتملة. هل تريدين رؤية صورهما؟»

«تصيبني شاشات الهواتف بالصداع.»

كان دان متأكدًا من رغبته في الحصول على أطفال. بينما ظلّت نورا مترددة. لقد كانت مرعوبة من فكرة الأمومة. كانت تخشى من اكتئاب أعمق. لم تستطع الاعتناء بنفسها، فماذا سيحدث لو كان لديها أطفال.

«ما زلتِ في بدفورد إذن؟»

«ممم.»

«كنت أظن أنكِ الوحيدة التي ستنجح في الخروج من هذه البلدة.»

«عدتُ إليها. كانت والدتي مريضة.»

«يؤسفني سماع ذلك. هل تحسّنت صحتها؟»

«من الأفضل أن أغادر.»

«ولكنها تمطر خارجًا.»

وعند هروب نورا من المتجر، تمنّت لو أن كلّ ما تراه عبارة عن أبواب تستطيع الدخول عبرها واحدًا تلو الآخر، لتترك كل شيء وراءها.

قبل سبع ساعات من قرار موتها، لقد كانت نورا تسقط ولم يكن حولها أحد ليتحدّث معها.

كانت صديقتها السابقة إيزي آخر آمالها، والتي كانت تعيش في أستراليا على بعد عشرة آلاف ميل منها. بالإضافة إلى أن صداقتهما قد جفّت منذ زمن.

أخرجت نورا هاتفها وأرسلت لإيزي: «أهلًا إيزي، لم نتحدث منذ فترة طويلة. اشتقت إليك يا صديقتي. أتوق إلى الحديث معكِ.»

أرسلت الرسالة.

وخلال دقيقة واحدة، قرأت إيزي الرسالة. وانتظرت نورا عبثًا ظهور النقاط الثلاث.

مرّت نورا بصالة السينما، حيث كان فيلم راين بايلي الجديد سيُعرض الليلة. وهو فيلم كوميدي رومانسي لرعاة البقر يُدعى *Last Chance Saloon*.

لطالما كان وجه راين بايلي يبدو وكأنه يعرف أشياء عميقة وعظيمة. لقد أحبّته نورا منذ أن شاهدته يمثل دور أفلاطون الحكيم في مسلسل «أهل أثينا» التلفزيوني، ومنذ أن قال في إحدى مقابلاته أنه درس الفلسفة. تخيّلت نفسها وهي تخوض محادثة عميقة معه عن هنري ديفيد ثورو وبينهما حجاب من البخار في حوض استحمامه الساخن في غرب هوليوود.

«اتجه بثقة نحو أحلامك» ثورو صاحب هذه الكلمات. «عِش الحياة التي تخيلتها.»

لطالما كان ثورو فيلسوف نورا المفضّل. ولكن مَن سيتمكّن من السير بثقة باتجاه أحلامه؟ مَن غير ثورو؟ لقد ذهب ليعيش في الغابة، دون اتصال بالعالم الخارجي، ليتفرّغ للكتابة وقطع الأخشاب وصيد الأسماك، ولكن الحياة كانت أبسط قبل قرنين من الزمن في كونكورد، ماساشوستس، من الحياة المعاصرة في بدفورد، بدفوردشاير.

أو ربما لم تكن أبسط.

أو ربما كانت نورا فاشلة في حياتها.

ساعات كاملة مرّت. لقد بحثت نورا عن هدف، عن سبب يدفعها للبقاء، ولكنها لم تملك شيئًا، لم تملك ولو سببًا بسيطًا للحياة كأن تحضر دواء السيد بانيرجي كما فعلت في اليومين الماضيين. أرادت أن تتصدّق على رجل متشرّد في الشارع ولكنها أدركت أنها لا تملك أي نقود.

«ابتهجي يا حبي، قد لا يحدث شيء أبدًا» قال أحدهم.

لم يحدث شيء قط، قالت لنفسها. *هذه هي المشكلة*.

قبـل خمـس سـاعات مـن قـرار موتهـا، وعندمـا بـدأت بالسـير عائـدة إلـى منزلهـا، اهتـزّ هاتفهـا فـي يدهـا.

ربمـا تكـون إيـزي. ربمـا يكـون رافـي قـد طلـب مـن أخيهـا أن يتواصـل معهـا.

لا.

«آه، أهـلًا، دوريين.»

قالت بصوت مضطرب. «أين كنتِ؟»

لقد نسيت تمامًا. *كم الساعة الآن؟*

«لقد مررت بيوم سيء. أنا آسفة جدًا.»

«لقد انتظرنا خارج شقتك ساعة كاملة.»

«أسـتطيع أن أبـدأ تدريـس ليـو عنـد وصولـي. امهلينـي خمـس دقائـق.»

«لقد تأخرتِ. ذهب ليو ليقضي مع والده ثلاثة أيام.»

«أوه، أنا آسفة. آسفة جدًا.»

لقد كانت شلالًا من الاعتذارات. كانت تغرق في نفسها.

«بصراحة نورا، ليو يفكّر في ترك حصص البيانو.»

«ولكنه بارع في العزف.»

«ليـو يحـب العـزف ولكنـه مشـغول؛ الامتحانـات، الأصدقـاء، كـرة القـدم. يجـب عليـه الاسـتغناء عـن شـيء مـا...»

«لديه موهبة حقيقية. لقد بدأ يعزف شوبان. أرجوكِ–»

تنهيدة عميقة، عميقة. «وداعًا، نورا.»

تخيّلت نورا الأرض وهي تنشق، لتبتلعها عبر الغلاف الصخري، ولا تتوقف حتى تصل إلى النواة الداخلية لها، لتنضغط وتتحوّل إلى معدن عديم الشعور.

قبل أربع ساعات من قرار موتها، مرّت نورا بجارها المسن، السيد بانيرجي.

كان السيد بانيرجي يبلغ من العمر أربعة وثمانين عامًا. لقد كان ضعيفًا ولكنه عاد إلى الحركة بعد عملية الورك التي خضع لها.

«الجو سيء في الخارج، أليس كذلك؟»

«نعم» تمتمت نورا.

نظر إلى مشتل أزهاره. «ولكن أزهار السوسن قد تفتّحت.»

نظرت إلى الأزهار الأرجوانية، لتجبر نفسها على الابتسام وهي تتساءل عن العزاء الذي يمكن لهذه الأزهار أن تقدمه.

كانت عيناه متعبتين خلف نظارته. كان يقف عند باب بيته يبحث عن مفتاحه. بدت قارورة الحليب في سلة مشترياته ثقيلة عليه. لقد كان من النادر رؤيته خارج المنزل. ذلك المنزل الذي زارته نورا خلال شهرها الأول هنا لتساعده على طلب المشتريات عبر الإنترنت.

«أوه.». قال: الآن «لديّ أخبار جيدة. لا أريدكِ أن تجلبي لي أدويتي بعد الآن. الصيدلي الشاب انتقل للعيش قربي وقال بأنه سيحضر لي أدويتي من الآن فصاعدًا.»

حاولت نورا الرد عليه ولكنها لم تستطع إخراج الكلمات. اكتفت بهزّ رأسها.

تمكّن أخيرًا من فتح الباب، ثم أغلقه. لينزوي من جديد عند ضريح زوجته العزيزة المتوفاة.

وهكذا، لم يعد أحد بحاجة إلى نورا. لقد كانت فائضة عن حاجة الكون.

عند وصولها إلى شقتها كان الصمت أكثر صخبًا من أي ضوضاء. رائحة طعام القط. زبديّة ڤولتير ما زالت في الخارج نصف ممتلئة بالطعام.

شربت بعض الماء وابتلعت قرصين من مضادات الاكتئاب وحدّقت في بقيّة الأقراص، متسائلة.

قبل ثلاث ساعات من قرار موتها، آلمها إحساسها أن وجودها مرتبط بالندم، وكأن اليأس قد انتشر من عقلها إلى جذعها وأطرافها أيضًا. وكأنه احتلّ كل جزء منها.

ذكّرها بأن الجميع أفضل حالًا دونها. عند اقترابك من ثقب أسود وقوى الجذب تسحبك نحو واقعه المظلم والكئيب.

كانت الفكرة أشبه بتشنّج لا ينتهي في عقلها، كشيء لا يمكن تحمّله ولا تفاديه.

تفقّدت نورا حساباتها على وسائل التواصل الاجتماعي. لا رسائل، لا تعليقات، لا متابعين جدد، لا طلبات صداقة جديدة. لقد كانت أشبه بالمادة المضادة التي تشفق على نفسها.

تصفّحت تطبيق إنستقرام لتجد جميع من حولها قد نجحوا في حياتهم عداها. شاركت منشورًا على فيسبوك، رغم أنها لم تكن تتصفّحه منذ فترة.

قبل ساعتين من قرار موتها، فتحت زجاجة نبيذ.

شعرت بأن كتب الفلسفة تحدّق بها من أعلى المكتبة، مفروشات أشباح من أيام دراستها في الجامعة، عندما كانت الحياة مليئة بالاحتمالات. نبتة يوكا وثلاث نباتات صبّار في ثلاثة أوعية صغيرة. تخيّلت أن التحوّل إلى كائن بلا وعي يجلس في وعاء طوال اليوم سيكون أسهل طريقة للوجود.

جلست قرب البيانو الكهربائي الصغير ولم تعزف. تذكرت جلوسها قرب ليو، لتعلّمه مقدمة شوبان بسلّم مي صغير. اللحظات السعيدة قد تتحوّل إلى لحظات مؤلمة بعد زمن.

وهنالك فكرة موسيقية قديمة تقول بأنه لا يوجد نوتات خاطئة على البيانو. لكنّ حياتها عبارة عن نشاز لا معنى له. قطعة موسيقيّة كان يمكن لها أن تنطلق في اتجاهات رائعة، ولكنها الآن توقفت تمامًا.

انزلق الوقت بين يديها. حدّقت إلى الفضاء.

بعد شربها النبيذ أدركت بوضوح أنها لم تكن مستعدة لهذه الحياة.

كل تحرّكاتها كانت خاطئة، كل قراراتها كانت كارثيّة، كل يوم كانت تتراجع وتساوم على أحلامها.

سبّاحة، موسيقيّة، فيلسوفة، زوجة، مسافرة، عالمة جليد، سعيدة، محبوبة.

لا شيء.

لم تستطع أن تنجح في مهمة الاعتناء بقط، أو مساعدة أحدهم على تعلّم البيانو لمدة ساعة كل أسبوع، أو مجرد إنسانة قادرة على خوض المحادثات.

لم يكن للأقراص التي أخذتها أي أثر.

انتهت من شرب زجاجة النبيذ أفرغتها تمامًا.

«أشتاق إليك» قالت باتجاه الهواء، وكأن أرواح جميع من أحبّتهم كانت معها في الغرفة.

اتصلت بأخيها وتركت له رسالة صوتية عندما لم يرد عليها.

«أحبك، جو. أريدك فقط أن تعرف هذا. لم يكن بوسعك إنقاذي. هذه مشكلتي. شكرًا لكونك أخي. أحبك. وداعًا.»

هطل المطر من جديد، وجلست في غرفتها والستائر مفتوحة، لتحدّق إلى قطرات المطر على الزجاج.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة واثنتين وعشرين دقيقة.

كانت نورا متأكدة من أنها لم ترد رؤية التالي. نهضت. وجدت قلمًا وورقة.

قررت أخيرًا أنه وقت مناسب جدًا للموت.

عزيزي أيًا تكن،

كانت لدي كل الفرص لاستغلال حياتي، ولكني أضعتها. بسبب إهمالي وسوء حظي، لقد انسحب العالم مني، ولذلك فإنه من المنطقي أن أنسحب منه الآن.

لو شعرت بإمكانيّة بقائي فيه، لبقيت. ولكني لا أشعر بذلك. ولذلك لا أستطيع البقاء. وجودي يجعل حياة مَن حولي أسوأ.

لا أملك شيئًا لأهبه. أعتذر.

كونوا لطفاء مع بعضكم.

وداعًا،

نورا

00:00:00

في البدء كان الضباب منتشرًا ولم تستطع الرؤية، ثم رأت تدريجيًا أعمدةً على جانبيها. كانت تقف على طريق تحفّه الأعمدة. وكانت الأعمدة رماديّة مع بقع زرقاء لامعة. انقشعت الأبخرة الضبابيّة، كأرواح أرادت الاختفاء، وظهر شكلٌ ما.

شكلٌ مستطيل صلب.

شكل مبنى. بحجم كنيسة أو متجر صغير. كانت واجهتُه حجريّة، تشبه الأعمدة في تلوّنها، وله باب خشبي ضخم وسقف يوحي بالعظمة، بتفاصيل معقدة وساعة فخمة على الجملون الأمامي بأرقام رومانيّة سوداء وعقربين يشيران إلى منتصف الليل، نوافذ طويلة مقوّسة وداكنة، مؤطّرة بطوب حجري يتخلل الجدار الأمامي، متباعدة بقدرٍ متساوٍ عن بعضها. عندما نظرت للمرة الأولى رأت أربع نوافذ، ولكن بعد لحظة ظهرت نافذة خامسة. ظنت نورا أنها أخطأت في العد.

لم يكن هنالك شيء آخر في الجوار، لذلك قررت نورا الاتجاه نحو المبنى بحذر.

نظرت إلى ساعتها الرقميّة.

00:00:00

منتصف الليل، كما تشير ساعة المبنى.

انتظرت حلول الثانية التالية، ولكنها لم تتحرك. وعلى الرغم من اتجاهها نحو المبنى وفتحها الباب الخشبي ودخولها، لم تتغير الساعة. إما أن تكون ساعتها معطلّة أو أن يكون الزمن معطلًا.

ماذا يحدث؟ تساءلت نورا. *ماذا يحدث بحق الجحيم؟*

ربما أجد في هذا المكان بعض الإجابات، قالت لنفسها وهي تسير داخل المبنى. كان المكان مضاءً، والأرضيّة مرصوفة بالحجر -لونه يتأرجح بين الأصفر الفاتح والبني، كلون صفحة قديمة- ولكن النوافذ التي رأتها نورا في الخارج لم تكن في الداخل. ورغم أنها لم تأخذ إلا عدة خطوات للأمام، فإنها لم تعد ترى الجدران. وبدلًا منها، ظهرت رفوف كتب. ممرات وممرات من الرفوف، تصل للسقف وتتفرّع لتصل إلى الرواق المفتوح الذي كانت تسير عليه نورا. توقفت لتنظر إلى أحد الممرات لتُدهش من العدد اللانهائي للكتب.

كانت الكتب في كل مكان، على رفوف نحيلة لدرجة اقترابها من الاختفاء. كانت الكتب جميعها خضراء. خضراء بدرجات متنوّعة. بعضها كانت خضراء بلون المستنقعات الغامضة، وبعضها خضراء فاتحة كخطوط الرسم البياني، وبعضها خضراء بلون الزمرد الجريء، وأخرى خضراء بلون المروج الصيفيّة.

وعلى ذكر المروج الصيفيّة: رغم وجود الكتب القديمة بالمكتبة فإن هواءها كان منعشًا. كانت لها رائحة معشبة ورائعة لا تشبه رائحة المجلدات القديمة.

كانت الرفوف تمتدّ إلى ما لا نهاية، مستقيمة وطويلة باتجاه أفق بعيد، كأسطرٍ تشير إلى منظور من نقطة واحدة في مشروع فنّي مدرسي، لا يقاطعها سوى الممرات العرضيّة.

اختارت نورا ممرًا وسلكته. وعند المنعطف التالي، قررت الاتجاه يسارًا وشعرت بأنها ضلّت طريقها. حاولت البحث عن

مخرج، ولكنها لم تجده. حاولت أن تتبع خطواتها باتجاه المدخل الذي جاءت منه، ولكن الأمر بدا مستحيلًا.

أخيرًا، كان عليها الاستسلام. لا مخرج هنا.

«هذا ليس مكانًا عاديًا» قالت بصوت مرتفع، لتجد بعض الطمأنينة بعد سماعها صوتها. «بالتأكيد ليس مكانًا عاديًا.»

توقفت نورا واقتربت من بعض الكتب.

لم يكن هنالك عنوان أو اسم مؤلف على كعب أيّ كتاب. كانت الكتب تتأرجح بين درجات اللون الأخضر، وتختلف في السُمك. أما طولها وعرضها فمتماثل. كانت بعض الكتب عريضة الكعب، وبعضها نحيلة. ولم يكن بعضها سوى كتيّبات.

قررت أن تأخذ أحد الكتب، واختارت كتابًا متوسط السُمك، ولونه يميل إلى الأخضر الزيتوني. بدا الكتاب عتيقًا ويعلوه الغبار. وقبل أن تسحبه من فوق الرف، سمعت صوتًا خلفها وقفزت للوراء.

«احذري» قال لها الصوت.

والتفتت نورا لترى صاحب الصوت.



أمينة المكتبة

«أرجوك. احذري.»

وصلت المرأة من لا مكان. ترتدي ملابس أنيقة، بشعر رماديّ قصير، وكنزة خضراء كلون السلحفاة. يقترب عمرها من الستين، إن كان على نورا التخمين.

«مَن أنتِ؟»

وقبل إنهاء السؤال اكتشفت أنها تعرف الإجابة.

«أنا أمينة المكتبة.» قالت المرأة.

كان وجهها فريدًا وصارم الحكمة. كان شعرها مرتبًا ورماديًا كما تتذكره نورا، ووجهها كذلك.

وهكذا عادت الذاكرة إلى نورا. إنها تقف أمام أمينة مكتبة مدرستها.

«السيدة إلم.»

ارتسمت على وجه السيدة إلم ابتسامة نحيلة.

تذكّرت نورا تلك الساعات الماطرة التي كانت تلعب فيها الشطرنج مع السيدة إلم.

تذكّرت اليوم الذي توفي فيه والدها، عندما أخبرتها السيدة إلم بلطف بما حدث في المكتبة. توفي والدها فجأة بعد إصابته بجلطة قلبية بينما كان يعلّم فتيان المدرسة لعب الرغبي. أصيبت نورا بالخدر لنصف ساعة، وحدّقت مشدوهة في رقعة الشطرنج. لم تستطع استيعاب الخبر في تلك اللحظة، ولكنه أصابها بالشلل، وأسقطها عن الطريق الذي كانت تعرفه. حضنت نورا السيدة إلم

بقوّة، لتبكي وتخفي وجهها في قميصها حتى تحوّل وجهها إلى انصهار من الدموع والأكريليك.

احتضنتها السيدة إلم، لتربّت على ظهرها ورأسها كطفلة صغيرة، دون أن تعدها بأكاذيب لن تستطيع تحقيقها. تذكّرت نورا صوت السيدة إلم وهي تخبرها: «ستتحسّن الأمور يا نورا. ستصبح الأمور على ما يرام.»

جاءت والدة نورا بعدها بساعة لتأخذها إلى المنزل، وكان أخوها قد أصابه الخدر في المقعد الخلفي للسيارة. وجلست نورا في المقعد الأمامي بجانب والدتها الصامتة المرتجفة، لتخبرها بأنها تحبّها دون أن تصلها أي إجابة.

«ما هذا المكان؟ أين أنا؟»

ابتسمت السيدة إلم ابتسامة رسميّة. «مكتبة، بالطبع.»

«هذه ليست مكتبة المدرسة. ولا يوجد مخرج. هل أنا ميتة؟ هل هذه الحياة الآخرة؟»

«ليس بالضبط» قالت السيدة إلم.

«لا أفهم ما تقصدينه.»

«سأشرح لكِ إذن.»

عندما تحدّثت السيدة إلم، انبعثت الحياة في عينيها، لتلتمع مثل البحيرات في ضوء القمر.

«بين الحياة والموت هنالك مكتبة» قالت السيدة إلم. «وفي هذه المكتبة، تمتد الرفوف إلى الأبد. كل كتاب هو فرصة لتجربة حياة أخرى يمكنك اختيارها لترين كيف ستتغيّر حياتك باختلاف قرارك... هل ستختارين حياة مختلفة إن كانت لديك الفرصة لمحو ندمك؟»

«هل أنا ميتة؟» سألت نورا.

هزّت السيدة إلم رأسها. «لا. استمعي لي جيدًا. بين الحياة والموت.» وأشارت بيدها باتجاه الرواق، نحو المسافة. «الموت في الخارج.»

«حسنًا، عليّ السير باتجاهه لأنني أريد أن أموت.» بدأت نورا المشي.

هزّت السيدة إلم رأسها مجددًا. «الموت لا يعمل بهذه الطريقة.»

«لماذا؟»

«لا يمكنك الذهاب إلى الموت. الموت يأتي إليك.»

حتى الموت كان أمرًا فشلت فيه نورا كما بدا لها.

لقد كان شعورًا مألوفًا. الشعور بالنقص الذي يحاصرها كمنشار منحنيات بشري لا ينتهي. حياتها ناقصة وموتها ناقص.

«لماذا لم أمت إذن؟ لماذا لم يأتِ الموت إليّ؟ لقد أرسلت له

دعـوة مفتوحـة. أردت المـوت، ولكنـي مـا زلـت حيّـة. مـا زلـت أعـي الأشـياء مـن حولـي.»

«إن كان يهمـك أمـر المـوت إلـى هـذه الدرجـة، فسـأخبرك بأنـكِ ستموتين قريبًـا علـى الأغلـب. جميـع الذيـن مـروا بالمكتبـة لـم يطيلـوا البقـاء فيهـا.»

التفتـت نـورا لفكـرة راودتهـا بشـكل متكـرر -إدراكهـا لذاتهـا كان منصبًـا بشـكل كامـل علـى الأشـياء التـي لـم تكنهـا. الأشـياء التـي لـم تنجـح فـي الحصـول عليهـا. وهـي كثيـرة. النـدم المسـتمر فـي عقلهـا. *لـم أصبـح سـبّاحة أولمبيّـة. لـم أصبـح عالمـة جليـد. لـم أصبـح زوجـةً لـدان. لـم أصبـح أمًـا. لـم أصبـح المغنيـة الأولـى فـي فرقـة المتاهـات. لـم أنجـح فـي أن أصبـح امـرأة مفيـدة أو سـعيدة. لـم أنجـح فـي الاعتنـاء بفولتيـر*. والآن، لـم تنجـح فـي المـوت. لقـد كان وضعهـا مثيـرًا للشـفقة، كل هـذه الاحتمـالات التـي أهدرتهـا.

«خـلال وجـود مكتبـة منتصـف الليـل، سـتكونين عصيّـة علـى المـوت يـا نـورا. أمـا الآن، فعليـكِ اختيـار الحيـاة التـي تريديـن عيشـها.»

بدأت الرفوف على جانبي نورا تتحرّك. لم تُغيّر الرفوف زواياها، بل كانت تنزلق أفقيًا. وربما لم تكن الرفوف هي التي تحرّكت، بل الكتب، ولم تعرف نورا سبب تلك الحركة أو كيفيتها. لم تكن هنالك طريقة واضحة لحركة الكتب، ولم تلحظ نورا سقوط الكتب ولم تسمع أصوات ارتطامها بالقاع. انزلقت الكتب بدرجات مختلفة من البطء، وفقًا للرف الذي تنتمي إليه، ولم ينتقل أيٌ منها بسرعة.

«ماذا يحدث؟»

تصلّبت تعابير السيدة إلم واستقام ظهرها، تراجع رأسها إلى الوراء باتجاه رقبتها. اقتربت من نورا وشبكت يديها معًا. «حان الوقت للبدء يا عزيزتي.»

«هل يمكنني أن أعرف. للبدء بماذا؟»

«كل حياة تحتوي على ملايين القرارات. بعضها كبيرة، وبعضها صغيرة. ولكن في كل مرة تتخذين فيها قرارًا، تتغيّر نتائجه. وتظهر مجموعة من الأحداث التي لا يمكن محوها، تقودك إلى مجموعة أخرى من الأحداث. هذه الكتب بوابات تأخذك لكل الحيوات التي يمكنك عيشها.»

«ماذا؟»

«لديك حيوات عديدة. بإمكانك اتخاذ قرارات مختلفة فيها. وهذه القرارات ستؤدي إلى نتائج مختلفة. إن قررتِ قرارًا مختلفًا واحدًا، ستحصلين على قصة حياة جديدة. وجميع هذه الحيوات

تُوجد في مكتبة منتصف الليل. وجميعها حقيقية تمامًا كهذه الحياة.»

«حيوات متوازية؟»

«ليست متوازية دائمًا. بعضها... عمودية. هل تريدين تجربة حياة جديدة؟ هل تريدين فرصة أخرى لتغيير قرارات حياتك السابقة؟ هل ارتكبتِ أي أخطاء في الماضي؟»

لقد كانت الإجابة سهلة. «نعم بالتأكيد، كل شيء.»

بدا وكأن إجابة نورا قد دغدغت أنف أمينة المكتبة.

جذبت السيدة إلم منديلًا ورقيًا بسرعة من جيب قميصها، ووضعته على وجهها وعطست.

«باركك الرب» قالت نورا، وهي تراقب اختفاء المنديل من يد أمينة المكتبة في اللحظة التي انتهت فيها من العطس، وكأنها عملية سحريّة تطهيرية غريبة.

«لا تقلقي. المناديل كالحيوات. هنالك دائمًا المزيد منها.» عادت السيدة إلم لتتبّع قطار أفكارها. «اتخاذ قرار واحد مختلف غالبًا ما يؤدي إلى تغيير كل شيء. لا يمكن محو أفعالنا في حياة واحدة، مهما حاولنا... ولكنكِ لم تعودي محاصرة في حياة واحدة. لقد تمكنتِ من الخروج. هذه فرصتك، نورا، لتكتشفي الاحتمالات.»

لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا، قالت نورا لنفسها.

بدا وكأن السيدة إلم قد قرأت أفكار نورا.

«أوه، هذا عالم حقيقي، نورا سيد. ولكنه ليس الواقع كما تفهمينه. بل هو عالم بيني. ليس حياةً. ليس موتًا. ليس عالمًا

حقيقيًا بالمعنى التقليدي. وليس حلمًا، بل -ببساطة- مكتبة منتصف الليل.»

توقفت الرفوف المتحركة. لاحظت نورا وجود فراغ كبير في أحد الرفوف، باتجاه كتفها اليمنى. كل الرفوف الأخرى كانت مكتظة بالكتب، إلا هذا الرف، لم يكن فيه سوى كتاب نحيل مُلقى.

لم يكن هذا الكتاب أخضر اللون مثل بقية الكتب. لقد كان رماديًا. تمامًا كلون الحجر في مقدمة المبنى الذي رأته من خلال الضباب عندما دخلت إلى هذه المكتبة.

جذبت السيدة إلم الكتاب من الرف وناولته لنورا. ظهرت على وجهها تعابير الفخر والترقّب، وكأنها ناولتها هدية كريسمس ستقوم بفتحها.

بدا الكتاب خفيف الوزن عندما كان في يد السيدة إلم، ولكنه أصبح ثقيلًا في يد نورا. همّت بفتحه.

هزّت السيدة إلم رأسها.

«عليكِ دائمًا انتظار إشارتي.»

«لماذا؟»

«كل كتاب هنا، كل كتاب في هذه المكتبة -عدا كتاب واحد- يمثّل نسخة من حياتك. هذه مكتبتك. وُجدت لأجلك. هنالك مسارات لا نهاية لها لحياتنا جميعًا. هذه الكتب على الرفوف ما هي إلا حياتك، ابتداءً من النقطة الزمنيّة ذاتها. الآن منتصف الليل، الثلاثاء الثامن والعشرون من إبريل. ولكن احتمالات منتصف الليل هذه ليست متطابقة تمامًا. بعضها متشابهة،

وبعضهـا مختلفـة جـدًا.»

«هـذا أمـر غيـر معقـول» قالـت نـورا. «عـدا كتـاب واحـد؟ هـذا الكتـاب؟» مـدّت نـورا الكتـاب الحجـري الرمـادي نحـو السـيدة إلـم.

رفعت السيدة إلـم حاجبيهـا. «نعـم، هـذا الكتـاب. لقـد كتبتِـه دون الحاجـة إلـى التفكيـر بكلمـة واحـدة.»

«ماذا؟»

«هذا الكتاب هو مصدر كل مشكلاتك، وهو أيضًا حلها كلها.»

«ماذا تقصدين؟»

«عنوان هذا الكتاب يا عزيزتي، *كتاب الندم*.»

كتاب الندم

حدّقت نورا إلى الكتاب. تمكّنت من رؤيته الآن. خط عنوان الكتاب منقوشًا على الغلاف.

كتاب الندم

«كل القرارات التي ندمتِ عليها منذ وُلدتِ مدوّنة هنا» قالت السيدة إلم وهي تنقر بإصبعها على الغلاف. «يمكنك فتح الكتاب الآن.»

ولأن الكتاب كان ثقيلًا جدًا، جلست نورا على الأرضيّة الحجريّة لتتمكّن من فتحه. وبدأت بتصفّحه.

كان الكتاب ينقسم إلى عدة فصول، كل فصل يمثل سنة من سنوات حياتها. 0، 1، 2، 3، وحتى 35. كانت الفصول تطول كلّما تقدّمت نورا في العمر، سنة بعد سنة. ولكن الندم الذي جمعته نورا لم يكن بالضرورة مرتبطًا بالسنة التي ورد فيها.

«الندم لا يعترف بالتسلسل الزمني، بل يعوم في كل اتجاه. ترتيب هذه القوائم يتغيّر باستمرار.»

«صحيح، نعم، هذا أمر منطقي.»

لاحظت نورا أن الأشياء التي ندمت عليها كانت تتأرجح بين يوميات بسيطة («ندمت لأنني لم أتمرن اليوم») وحسرات هائلة («ندمت لأنني لم أخبر والدي بحبي له قبل أن يموت»).

بعض حسراتها كانت تظهر باستمرار في صفحات عديدة.

«ندمت لأنني تركت الفرقة الموسيقية، وخذلت أخي.» «ندمت لأنني تركت الفرقة الموسيقية، وخذلت نفسي.» «ندمت لأنني لم أقم بالمزيد لحماية البيئة.» «ندمت لأنني قضيت أوقاتًا طويلة على وسائل التواصل الاجتماعي.» «ندمت لأنني لم أذهب إلى أستراليا مع إيزي.» «ندمت لأنني لم أستمتع بوقتي أكثر عندما كنت شابة.» «ندمت على كل المشاجرات مع والدي.» «ندمت لأنني لم أعمل مع الحيوانات.» «ندمت لأنني لم أختر تخصص الجيولوجيا بدلًا من الفلسفة.» «ندمت لأنني لم أتعلّم كيفية العيش بسعادة.» «ندمت لأنني أشعر بالذنب طوال الوقت.» «ندمت لأنني لم أستمر في تعلّم الإسبانيّة.» «ندمت لأنني لم أختر دراسة المزيد من المواد العلمية في المدرسة.» «ندمت لأنني لم أصبح عالمة جليد.» «ندمت لأنني لم أتزوج.» «ندمت لأنني لم أدرس ماجستير الفلسفة في جامعة كامبريدج.» «ندمت لأنني لم أحافظ على صحتي.» «ندمت لأنني لم أنتقل للعيش في لندن.» «ندمت لأنني لم أذهب إلى باريس لتعليم اللغة الإنجليزية.» «ندمت لأنني لم أُنهِ الرواية التي بدأت كتابتها في الجامعة.» «ندمت لأنني تركت لندن.» «ندمت لأنني عملت في وظيفة لا مستقبل لها.» «ندمت لأنني كنت أختًا سيئة.» «ندمت لأنني لم آخذ سنة تفرّغ بعد الجامعة.» «ندمت لأنني خيّبت أمل أبي.» «ندمت لأنني كنت أعلّم البيانو أكثر من عزفي عليه.» «ندمت على فشلي في الإدارة المالية.» «ندمت لأنني لم أعش في الأرياف.»

بعض هذه الحسرات كانت مكتوبة بدرجة باهتة على الصفحة وبعضها بدرجة غامقة. وكان أحد الخطوط يومض وينتقل من

كونه خفيًا إلى درجة أغمق، كان يختفي ويظهر كلما نظرت إليه. كُتب فيه «ندمت لأنني لم أنجب أطفالًا بعد.»

«هنالك حسرات تكون في محلها أحيانًا، وفي غير محلها أحيانًا أخرى» شرحت السيدة إلم، مرة أخرى بعد قراءتها لأفكار نورا. «ستجدين عدة حسرات من هذا النوع في الكتاب.»

وبعد انتهائها من الفصل الرابع والثلاثين، وصلت إلى الفصل الأطول من الكتاب، كان مليئًا بالندم المتعلق بحبيبها دان. كان خط الكتابة في هذا الفصل غامقًا وسميكًا، واستمر العزف في ذهنها كوترٍ قوي من كونشيرتو هايدن.

«ندمت لأنني كنت قاسية مع دان.» «ندمت لأنني انفصلت عنه.» «ندمت لأنني لا أعيش معه الآن في حانة ريفية.»

وبينما كانت تحدّق إلى الصفحات، فكّرت في الرجل الذي أوشكت على الزواج به.

كانت نورا قد التقت بدان عندما كانت تعيش مع إيزي في تووتنغ. كانت ابتسامته عريضة، ولحيته قصيرة. كان طريفًا، يحب المعرفة. يشرب الكحول، ولا يصيبه الصداع في اليوم التالي.

درس تاريخ الفن واستفاد من معرفته العميقة بفن روبنز وتنتوريتو ليصبح مدير العلاقات العامة لشركة تنتج فطائر البروتين. وعلى الرغم من هذا، كان لديه حلم كبير. حلم دان أن يمتلك حانة في الريف. وكان يريد من نورا أن تشاركه هذا الحلم.

وبعد مدة أصابها حماسه بالعدوى وقررا الزواج، ولكن نورا أدركت فجأة أنها لم ترد الزواج به.

في أعماقها، كانت تخشى أن تصبح مثل والدتها. لم ترد إعادة بعث قصة زواج والديها.

وبينما كانت تحدّق بصمت إلى *كتاب الندم*، تساءلت إن كان والداها قد وقعا في الحب قبل زواجهما، أم أنه كان مجرد قرار اتخذاه لضرورة الاستقرار وتكوين الأسرة. تلك اللعبة التي تجذب فيها أول شخص تتمكن من العثور عليه عند توقف الموسيقى.

لم ترد نورا أن تلعب هذه اللعبة.

قال برتراند رسل: «الخوف من الحب هو الخوف من الحياة، ومَن يخاف الحياة ما هو إلا شخص ميت.» ربما كانت هذه هي مشكلتها. ربما كانت تخشى الحياة. ولكن لبرتراند رسل من الزيجات والعلاقات ما يفوق وجبات العشاء، ولذلك فربما يجب عليها تجاهل نصائحه.

عندما توفيت والدة نورا قبل موعد حفل الزفاف بثلاثة أشهر، كان حزنها هائلاً. ورغم أنها اقترحت تأجيل الموعد، إلا أن حزن نورا قد انصهر مع الاكتئاب والقلق وشعورها بأن حياتها لم تعد تحت تحكّمها. وكان حفل الزفاف أشبه بعَرَض لهذا الشعور الفوضوي، وكأنها مقيدة على سكة حديد، والطريقة الوحيدة لفرارها تتمثل في إلغاء فكرة الزواج، رغم أن بقاءها وحدها في بدفورد، وخذلانها لصديقتها إيزي وإلغاء فكرة سفرها معها إلى أستراليا، والعمل في متجر نظرية الأوتار، وشراء قط، لم تكن قرارات جعلتها تشعر بالحريّة.

«أوه لا» قالت السيدة إلم، لتكسر تسلسل أفكار نورا. «هذا كثير جدًا.»

وفجأة كانت تشعر بكل هذا الندم، كل الألم المصاحب لخذلان من حولها وخذلان نفسها، الألم الذي حاولت الهرب منه قبل أقل من ساعة. بدأت الحسرات بالتكاثر حولها. وبينما كانت تحدّق إلى صفحات الكتاب المفتوحة، كان الألم أشد من ألمها وهي تتجوّل في ساحات بدفورد. طاقة الندم التي كانت تشع من الكتاب تحوّلت إلى عذاب شديد. ثقل الذنب والندامة والحزن كان مهولاً. استندت نورا على مرفقيها، أسقطت الكتاب الثقيل وعصرت عينيها لتغلقهما. كانت تتنفّس بصعوبة، وكأن حولها أيادٍ خفية.

«أوقفي كل هذا!»

«أغلقيه الآن» قالت لها السيدة إلم. «أغلقي الكتاب. لا تغلقي عينيك فقط. أغلقيه. عليكِ إغلاقه بنفسك.»

كانت نورا تقترب من فقدان وعيها، ولكنها جلست من جديد ووضعت يدها أسفل غلاف الكتاب. كان الكتاب أثقل بكثير من السابق، ولكنها تمكنت أخيرًا من إغلاقه وتنهّدت في ارتياح.

كل حياة تبدأ الآن

«والآن؟»

كانت السيدة إلم قد طوت ذراعيها. ورغم أنها كانت مطابقة تمامًا للسيدة إلم التي تحدثت معها نورا، كانت فظّة بعض الشيء. كانت السيدة إلم، ولم تكن السيدة إلم. لقد كان الأمر محيرًا لنورا.

«ماذا الآن؟» قالت نورا، وهي تتنهّد، وما زالت تشعر بالانفراج بعد زوال شعورها الهائل بالندم.

«أيّ حسراتك كان أكثرها وقعًا عليك؟ أيّ قرارٍ تريدين العودة إلى الوراء لتغييره؟ أيّ حياةٍ تريدين ارتداءها؟»

لقد استخدمت هذه المفردة بالضبط. *ارتداء*. وكأنها في متجر ملابس ونورا ستختار حياتها كما تختار قمصانها. كانت لعبة قاسية.

«لقد عذبني الكتاب الأوّل. شعرت كأنني على وشك الاختناق. ما فائدة كل هذا؟»

نظرت نورا للأعلى، ولاحظت الأضواء للمرة الأولى. كانت مجرد مصابيح عارية تتدلّى من أسلاك متصلة بالسقف، والذي كان أشبه بسقف رمادي عادي، إلا أنه لم يكن متصلًا بجدران. تمامًا كالأرضيّة هنا، كانت تمتد إلى ما لا نهاية.

«هنالك احتماليّة كبيرة تشير إلى أن حياتك القديمة قد انتهت. لقد أردتِ الموت وربما ستموتين. وستحتاجين إلى مكان ما لتهبطي فيه. حياة أخرى. ولذلك، عليك التفكير مليًا. هذه

المكتبة تُدعى مكتبة منتصف الليل، لأن كل حياة فيها تبدأ الآن. الآن منتصف الليل. تبدأ الآن كل الحيوات المستقبليّة. هذا ما يمثّله كتابك. كل حاضر معاصر ومستقبل مستمر يمكنك عيشه.»

«هذا يعني أن المكتبة تحوي الماضي أيضًا؟»

«لا، عواقب الماضي فقط، ولكن هذه الكتب أيضًا قد كُتبت. وأعرف كلّ ما فيها، ولكنها ليست لكِ.»

«ومتى تنتهي كل حياة؟»

«قد تنتهي في ثوانٍ، أو ساعات، أو أيام، أشهر. أكثر. إن وجدتِ حياة تريدين اختيارها، بإمكانك العيش فيها حتى الشيخوخة ثم ستموتين. إن كنتِ تريدين فعلًا عيش حياة ما، فلا تقلقي. ستمكثين فيها كما لو أنكِ وُلدتِ فيها. ولن يُعاد الكتاب. سيتحوّل بعد ذلك من كتاب مُعار إلى هدية. عند وصولك إلى اللحظة التي تقررين فيها رغبتك في عيش حياة ما، فسيتحوّل كل ما في ذهنك، بما فيه هذه المكتبة إلى ذكرى مبهمة تكاد تختفي.»

التمع أحد المصابيح في الأعلى.

«الخطر الوحيد» استمرت السيدة إلم بالحديث، «يكمن في وجودك هنا، *بين الحيوات*. إن فقدتِ عزيمة الاستمرار، سيؤثر ذلك في جذر حياتك - حياتك الأصليّة. وقد يؤدي هذا إلى انهيار مكتبة منتصف الليل. وستموتين للأبد. ولن تستطيعي العودة إلى هذا المكان.»

«هذا ما أريده. أريد أن أموت. سأكون ميتة لأنني أردت ذلك. ولهذا أخذت الجرعة المضاعفة. أريد الموت.»

«ربما. ولكنكِ الآن هنا.»

حاولت نورا فهم ما يحدث. «وكيف يمكنني العودة إلى المكتبة؟ إن علقتُ في حياة أسوأ من حياتي السابقة؟»

«في اللحظة التي يكتمل فيها شعورك بالخيبة، ستعودين. أحيانًا يسيطر عليك الشعور تدريجيًا، وأحيانًا يأتي دفعة واحدة. وإن لم تصبك الخيبة، ستشعرين بالسعادة هناك. الأمر بسيط. لذلك؛ اختاري أمرًا تريدين تغييره، وسأعثر لكِ على الكتاب. أقصد الحياة.»

حدّقت نورا إلى *كتاب الندم* وهو مُلقى على الأرض الصفراء-البنيّة.

تذكّرت حديثًا لها ذات ليلة مع دان عن حلمه بامتلاك حانة ريفية. كان حماسه معديًا، وكانت نورا على وشك تبني حلم الحانة أيضًا. «أتمنى لو لم أنفصل عن دان. ندمت على عدم بقائي معه للعمل على تحقيق ذلك الحلم. أهنالك حياة بإمكاني اختيارها لأعود إلى علاقتي مع دان؟»

«بالتأكيد» قالت السيدة إلم.

بدأت كتب المكتبة بالتحرّك من جديد، وكأن الرفوف أحزمة ناقلة في مصنع كبير. هذه المرة، بدلًا من التحرك ببطء يشبه بطء زفّة عروس، تحرّكت الكتب أسرع وأسرع وأسرع، حتى لم يعد من الممكن رؤية الكتب منفصلة عن بعضها. لتتحوّل إلى تيّارات خضراء اللون.

ثم توقّفت فجأة.

انحنت السيدة إلم لتأخذ كتابًا من أسفل رف في المكتبة. كان الكتاب له غلاف أخضر غامق. ناولت نورا الكتاب. كان أخف

بكثيـر مـن *كتـاب النـدم*، رغـم أن حجمـه مماثـل. ولـم يكـن هنالـك عنـوان علـى كعـب الكتـاب بـل علـى الغـلاف الأمامـي بخـط صغيـر محفـور، أخضـر غامـق اللـون أيضًـا.

كان العنوان: *حياتي*.

«ولكنها ليست حياتي...»

«أوه نورا، هذه كلها حيواتك.»

«وماذا أفعل الآن؟»

«افتحي الكتاب واتجهي إلى الصفحة الأولى.»

فعلت نورا ذلك.

«حسـنًا، قالـت السـيدة إلـم، بدقـة حـذرة. «الآن، اقرئـي السـطر الأول.»

حدّقت نورا إلى الصفحة وقرأت.

خرجت من الحانة تمشي

باتجاه هواء الليل البارد...

قالـت نـورا لنفسـها، «حانـة؟» وبعـد ذلـك، حـدث كل شـيء. دارت الكلمـات فـي دوّامـة بسـرعة هائلـة، وشـعرت نـورا بوهـن شـديد. لـم تفلـت الكتـاب مـن يدهـا عمـدًا، ولكنهـا شـعرت بعـد ذلـك بأنهـا لـم تعـد إنسـانة تقـرأ كتابًـا، وبعدهـا بلحظـة لـم يعـد للكتـاب -ولا للمكتبـة- أيّ وجـود.

كانت نورا تقف في الخارج لتتنفس الهواء النقي المتموّج. وعلى عكس طقس بدفورد، لم تكن الأمطار تهطل هنا.

«أين أنا؟» همست لنفسها.

كان هنالك صف صغير من المنازل الحجريّة على الجانب الآخر من الشارع الملتوي. كانت تلك المنازل قديمة وأنوارها مطفأة، تختبئ في حافة القرية قبل أن تتلاشى في سكون الريف. سماءٌ نقيّة، قبّةٌ زرقاء نُثرت عليها النجوم، هلالٌ يتضاءل وينحل. رائحة الحقول. صوت البومة السمراء. ثم يهيمن السكون. صمتٌ له حضور، له طاقةٌ في الهواء.

غريب.

كانت نورا في بدفورد. ثم في تلك المكتبة الغريبة. والآن وجدت نفسها هنا، في طريق قرية جميلة. دون أن تتحرّك من مكانها.

على جانب الطريق، بدت أضواء ذهبيّة من وراء نافذة في قبو. نظرت إلى الأعلى لترى لافتة حانة تتأرجح ببطء في الريح. وأسفلها حدوات حصان وكلمات مائلة بعناية: *حدوات الحصان الثلاثة*.

أمامها، رأت سبّورة ثُبّتت على الرصيف. عرفت خطّ يدها على السبّورة، في أجمل حالاته.

حدوات الحصان الثلاثة

ليلة الثلاثاء - ليلة المسابقات

8:30 مساءً

«المعرفة الحقيقية هي إدراكك أنك لا تعرف شيئًا.»

- سقراط (بعد أن خسر مسابقتنا!!!!)

كانت هذه حياةً تستخدم فيها نورا أربع علامات تعجّب متتالية. ويبدو أن البشر الأكثر سعادة والأقل غضبًا يقومون بمثل هذه الأشياء.

فأل حسن.

نظرت لترى أنها كانت ترتدي قميص جينز قد طوت أكمامه حتى ساعديها، وكانت ترتدي بنطال جينز، وحذاءً له كعب عريض، لم تكن لترتدي أيًا من هذا في حياتها الحقيقية. كانت تقشعر من البرد، ولم تكن مستعدة للبقاء خارجًا لوقت طويل بتلك الملابس.

كان هنالك خاتمان في بنصرها. خاتم خطوبتها الياقوتي -الخاتم الذي خلعته في خضم الدموع والانهيارات قبل سنة تقريبًا- ومعه خاتم زفاف فضّي بسيط.

كانت ترتدي ساعة. ليست رقميّة، في هذه الحياة. بل ساعة تقليدية أنيقة بأرقام رومانيّة. كانت تشير إلى دقيقة واحدة بعد منتصف الليل.

كيف حدث هذا؟

كانت يداها أنعم في هذه الحياة. ربما استخدمت مرطبات اليد. كانت أظافرها تلتمع بطلاء نقي. وشعرت بالاطمئنان لرؤية الشامة الصغيرة على يدها اليسرى.

تعالت أصوات الخطوات على الحصى. اتجه أحدهم نحو نورا. رجل يلتمع بين أضواء نوافذ الحانة وعمود الإنارة على الشارع المنفرد، رجل بخدّين ورديين ولحية ديكينزيّة رماديّة ومعطف طويل. إبريق توبي على هيئة إنسان. بدا، من مشيته المبالغة في الحذر، أنه ثمل بعض الشيء.

«ليلة سعيدة نورا. سأعود يوم الجمعة لأحضر حفلة المغني. قال دان إنه بارع.»

في هذه الحياة كانت نورا تعرف اسم هذا الرجل على الأرجح.

«نعم، بالتأكيد. الجمعة. ستكون ليلة عظيمة.»

على الأقل، كان صوتها مألوفًا بالنسبة إليها. راقبت الرجل وهو يعبر الشارع، وينظر يمنة ويسرة رغم خلو الشارع تمامًا من السيارات، ليختفي في زقاق صغير بين الأكواخ.

حدث ما كانت تتمناه نورا. هذه هي حياة الريف التي أرادتها. إنه الحلم بعد أن تحوّل إلى حقيقة.

«هذا غريب جدًا» قالت لنفسها باتجاه الليل. «غريب جدًا جدًا.»

خرجت امرأتان ورجل من الحانة. ارتسمت على وجوههم ابتسامة حين مرّوا بنورا.

«سنفوز في المرة القادمة» قالت إحداهن.

«نعم» ردّت نورا. «هنالك دائمًا مرة أخرى.»

اقتربت من الحانة واسترقت النظر عبر النافذة. بدت الحانة خالية، ولكن الأضواء ما زالت مشعلة. يبدو أنها رأت آخر المغادرين في الخارج.

بدت الحانة مبهجة ودافئة ومليئة باللمسات الذكيّة؛ طاولات صغيرة وأثاث خشبي وعجلة عربة عملاقة معلّقة على الحائط، سجّادة حمراء فاخرة وبار خشبي مليء بأنواع مذهلة من صنابير البيرة.

ابتعدت عن النافذة لترى لافتة أخرى وراء الحانة، عند انتهاء الرصيف وابتداء العشب.

قرأتها بسرعة.

ليتل ورث

نرحب بالسائقين الحذرين

ثم لاحظت في أعلى اللافتة شعارًا يحفّ جملة تقول: *مجلس مقاطعة أوكسفوردشاير*.

«لقد نجحنا» همست في هواء الريف. «لقد نجحنا بحق.»

كان هذا حلم دان الذي أخبرها به للمرة الأولى عندما كانا يسيران على ضفة نهر السين في باريس، يتناولان الماكرون بعد شرائه من بولفار سان ميشال.

لم يكن حلمه باريسيّ الملامح، بل حلمًا في الريف الإنجليزي، حيث يخططان للعيش معًا.

حانة في ريف أوكسفوردشاير.

عندما عاد سرطان والدة نورا بشراسة أكبر، ليصل إلى غددها

الليمفاوية ويحتلّ جسدها بسرعة، قررت نورا تأجيل هذا الحلم وانتقل دان للعيش معها في بدفورد. علمت والدتها بخطوبتهما وخططت للبقاء حيّة لتتمكّن من حضور حفل الزفاف، ولكنها ماتت قبل ذلك الموعد بأربعة أشهر.

ربما تكون هذه هي الحياة المنتظرة. قد تكون هذه ضربة الحظ الأولى أو الثانية.

سمحت نورا لنفسها بالابتسام ابتسامة قلقة.

سارت على طول الطريق لتخطو فوق الحصى، متجهة نحو الباب الجانبي الذي خرج منه الرجل الثمل صاحب المعطف للتو. أخذت نفسًا عميقًا ودخلت الحانة.

إنها دافئة.

وهادئة.

كانت في ممر أو زقاق. أرضيّة من البلاط الطيني. سقف خشبي منخفض، وورق حائط مليء برسومات أشجار الجميز.

مشت في الممر الصغير لتصل إلى قلب الحانة التي استرقت النظر إليه عبر النافذة. قفزت عندما ظهر أمامها قطّ وفاجأها.

قط بورميّ أنيق له لون الشوكولاتة. انحنت نورا لتربّت عليه ونظرت إلى الاسم المحفور في طوقه. *فولتير*.

قط آخر يحمل اسم *فولتير*. وعلى عكس قطها الحبيب، لم تعتقد نورا أنه قطّ تم إنقاذه. بدأ القط يصدر صوتًا لطيفًا. «أهلًا، فولتس الثاني. يبدو أنك سعيد هنا. هل نحن سعداء مثلك؟»

أصدر القط صوتًا يمكن اعتباره تأكيدًا على كلام نورا ثم حرّك رأسه على ساقها. حملته نورا واتجهت إلى البار. كان هنالك صف كامل من أنواع البيرة المختلفة ستاوتس سايدرز وبيل أيل وآي بي ايه.

كان هنالك صندوق تبرّعات على الطاولة لصالح جمعية *إنقاذ الفراشات*.

سمعت صوت خشخشة الزجاج. وكأن أحدهم يضع الكؤوس المتسخة في آلة غسل الأواني. شعرت نورا بقلقٍ يُثقل صدرها. شعور مألوف. ثم ظهر شاب عشريني نحيل يرتدي قميصَ رغبي من وراء البار، دون أن يعير نورا أي اهتمام، لينشغل بجمع الكؤوس المتبقية لوضعها في الآلة. أخذ معطفه ومفاتيح سيارته.

«وداعًا نورا، لقد رتّبت الكراسي ومسحت الطاولات. وتركت آلة غسل الأواني تعمل.»

«أوه، شكرًا.»

«أراكِ يوم الخميس.»

«نعم» قالت نورا، وهي تشعر بأنها جاسوسة سيتم اكتشاف أمرها في أيّ لحظة.

«أراكِ لاحقًا.»

بعد رحيل الشاب بلحظات، سمعت صوت وقع أقدام في القبو. اقترب الصوت حتى ظهر أخيرًا. لقد بدا مختلفًا بعض الشيء. اختفت لحيته، وظهرت تجاعيد إضافيّة حول عينيه ودائرتان سوداوان. كان يحمل في يده كأس بيرة شبه فارغة.

«دان» قالت له، وكأنه بحاجة إلى التعريف. وكأنه أرنب على حافة الطريق. «أريد أن أخبرك بأني فخورة بك. فخورة بك جدًا.»

نظر إليها باستغراب. «ذهبت لإغلاق وحدة التكييف. وسأنظّف الأنابيب غدًا. لقد تركناها لأسبوعين.»

لم تفهم نورا كلامه. ولكنها ربتت على القط وقالت: «صحيح. نعم. بالتأكيد. الأنابيب.»

زوجها -في هذه الحياة، والذي كان يتصرّف على سجيّته- نظر من حوله إلى الطاولات والكراسي المقلوبة. كان يرتدي قميص فيلم *Jaws* وقد تلاشت ألوانه. «هل ذهب بليك وصوفي إلى المنزل؟»

ترددت نورا. أخبرها حدسها بأنه يقصد مَن يعملان معها في الحانة. الشاب الذي غادر للتو، قد يكون بليك. لا يبدو أن هنالك احتمالًا آخر.

«نعم» قالت وهي تحاول أن تبدو طبيعية رغم الغرابة الجذريّة للظروف التي تحاصرها. «أظن أنهما غادرا، لقد قاما بعمل ممتاز الليلة.»

«جميل.»

تذكّرت أنها أهدته قميصه الذي يرتديه في عيد ميلاده السادس والعشرين قبل عشر سنوات.

«كانت الإجابات غريبة الليلة. بيت وجولي اعتقدا أن مادونا قامت بطلاء سقف كنيسة سيستين.»

هزّت نورا رأسها واستمرّت في مداعبة فولتس رقم اثنين وكأنها تعرف بيت وجولي.

«وللإنصاف، كانت الأسئلة صعبة عليهم الليلة. قد أحاول البحث عن موقع إلكتروني آخر في المرة القادمة. مَن يمكنه

معرفـة أعلـى قمـة فـي سلسـلة جبـل كارا -لا أعـرف مـا اسـمها؟»
«كاراكورام؟» سألته نورا. «الإجابة جبل كي 2.»
«حسـنًا، مـن الواضـح أنـكِ تعرفيـن هـذه الأشـياء. بينمـا كان الجميـع يسـتمع لموسـيقى الـروك، كنـتِ مهتمـة بالصخـور والحجـارة الفعليّـة.»
«أنت!» قالت له. «لقد كنت في فرقة موسيقية.»
تلك الفرقة التي كره دان وجودها فيها.
ضحـك دان. وتذكّـرت نـورا ضحكتـه، ولـم تـرق لهـا تمامًـا. لقـد نسـيت الطريقـة التـي كان يسـتخدم فيهـا دان فكاهتـه ضـد الآخريـن، خاصـة ضدهـا. وفـي السـابق، حاولـت نـورا تجاهـل هـذه الصفـة فيـه. لأن لديـه صفـات أخـرى جميلـة - لقـد كان لطيفًـا جـدًا مـع والدتهـا حيـن كانـت مريضـة، وبإمكانـه الحديث معهـا بسـهولة بالغـة، لقـد كان حالمًـا ومتطلعًـا للمسـتقبل، كان وسـيمًا ويسـهل الحديـث معـه، كان يحـب الفـن ويتوقـف دائمًـا للحديـث مـع المشـردين فـي الشـوارع. كان يهتـم بأمـر العالـم. البشـر أشـبه بالمـدن. يجب ألّا تـدع أحياءهـا السـيئة تفسـد عليـك تجربـة زيارتهـا. قـد تجـد بعـض المناطـق المريعـة فيهـا، عـدة شـوارع جانبيّـة ومناطـق ريفيـة معزولـة، ولكـن حسـناتها الرائعـة تشـفع لهـا فـي النهايـة.
كان يسـتمع إلـى العديـد مـن قنـوات البودكاسـت المزعجـة ويريـد لنـورا أن تسـتمع معـه، كان يضحـك بطريقـة تزعجهـا، ويغرغـر بصـوت مرتفـع عنـد اسـتخدامه غسـول الفـم. ونعـم، كان يسـتولي علـى اللحـاف فـي السـرير وقـد يبـدو جاهـلًا أحيانًـا حيـن يدلـي بآرائـه عـن الفـن والسـينما والموسـيقى، ولكـن -بشـكل عـام- لـم يكـن يعانـي مـن عيـوب كبـرى واضحـة.

أو على الأقل هكذا كانت تظن: لم يدعم مسيرتها الموسيقية قط، وأخبرها بأن استمرارها في الفرقة الموسيقية وتوقيع عقد رسمي مع شركة إنتاج سيؤثر في صحتها النفسية، وأن أخاها يتصرّف بأنانيّة، ولكنها لم تنظر إلى كل هذه المواقف بشكل سلبي في السابق، بل على العكس تمامًا. كانت تعتقد أنه يهتم بأمرها، ومن اللطيف وجود شخص يحبها، ولا يكترث للشهرة والأضواء، ويستطيع خوض غمار الحياة معها، ولذلك عندما طلب يدها للزواج في أعلى برج أكسو وافقت، ربما كان قرارها صائبًا.

تقدّم باتجاه الغرفة، وضع كأسه على الطاولة وانشغل بالبحث عن أسئلة جديدة على هاتفه للمسابقة القادمة.

تساءلت نورا عن الكميّة التي شربها الليلة. وتساءلت إن كان حلم امتلاكه لحانة لم يكن إلا حلمًا لشرب كميّات لا تنتهي من الكحول.

«ما اسم المضلع الذي يتكوّن من عشرين ضلعًا؟»

«لا أعلم» كذبت عليه نورا، لأنها لم ترد المخاطرة والاستماع لردّة فعل شبيهة بالتي سبقتها.

وضع الهاتف في جيبه.

«لقد قمنا بعمل رائع الليلة. طلب الزبائن الكثير من الكحول. لم تكن ليلة ثلاثاء سيئة. بدأت الأمور بالتحسّن. قد أتمكّن من إقناع البنك غدًا بتمديد القرض...»

حدّق إلى البيرة المتبقيّة في قاع الكأس، غمرها قليلًا، ثم شربها.

«عليّ إخبار إيه جاي بتغيير قائمة الغداء. لا أحد في ليتل ورث يريد أن يأكل الشمندر مع سلطة الفول وكعك الذرة. هذا ليس حي فيتزروفيا في لندن. ويجب علينا تغيير أنواع النبيذ التي قمتِ باختيارها. خاصة القادمة من كاليفورنيا.»

«حسنًا.»

التفت ونظر إلى الوراء. «أين السبّورة؟»

«ماذا؟»

«لوح السبّورة في الخارج. ظننت أنكِ أتيتِ به.»

كان هذا سبب وجودها خارج الحانة.

«لا. لا، سأذهب لأجلبه الآن.»

«لقد رأيتكِ في الخارج.»

ابتسمت نورا وحافظت على هدوء أعصابها. «نعم، حسنًا، لقد كنت في الخارج. كنت قلقة على القط ڤولتس. ڤولتير، لم أعثر عليه فذهبت إلى الخارج لأبحث عنه ثم وجدته.»

كان دان يصبّ لنفسه كأسًا من السكوتش.

لاحظ أنها بدأت بالحكم عليه. «إنها الكأس الثالثة فقط. الرابعة، ربما. هذه ليلة المسابقات. تعرفين جيدًا أنني أحتاج إلى بعض الكحول لأتمكن من إدارة الليلة وإلقاء النكات. وقد كنت طريفًا الليلة، ألا تتفقين معي؟»

«نعم. طريف جدًا. مضحك بشكل هستيري.»

أصبحت تعابير وجهه جادة فجأة. «رأيتك تتحدثين مع إرين. ماذا قلتِ لها؟»

لم تعرف نورا أفضل طريقة للإجابة عن سؤاله. «أوه، لا شيء. أحاديث عاديّة.»

«أحاديث عاديّة؟ لم أركِ تتحدثين معها من قبل على الإطلاق.»

«أقصد الأحاديث العاديّة التي يقولها الناس. لا أقصد أحاديث إرين العاديّة.»

«كيف حال ويل؟»

«بخير» خمّنت نورا. «يسلّم عليك.»

تفاجأ دان من قولها. «فعلاً!»

لم تكن نورا متأكدة مَن هو ويل. قد يكون طفلًا، قد يكون مستغرقًا في غيبوبة. «آسفة، لا، لا يسلّم عليك. آسفة، أنا مشوّشة. على كل حال، سأذهب لإحضار السبّورة.»

وضعت القط أرضًا واتجهت نحو الخارج. لاحظت هذه المرة أمرًا قد غاب عنها عند دخولها.

مقالة مؤطّرة من صحيفة *أكسفورد تايمز* بصورة نورا ودان وهما يقفان خارج الحانة. كان دان يضع يده حول نورا ويرتدي بدلة لم ترها نورا من قبل. كانت ترتدي فستانًا أنيقًا لم تكن لترتديه في حياتها السابقة (لم تكن ترتدي الفساتين إلا في مناسبات نادرة).

الحلم يتحوّل إلى حقيقة

لقد قاما، بحسب وصف المقالة، بشراء الحانة بسعر زهيد في منطقة نائية، وأعادا ترميمها بمساعدة مبلغ مالي متواضع ورثه دان عن والده وبعض مدخراتهما، بالإضافة إلى قرض بنكي. كانت المقالة تتحدث عن قصة نجاحهما، رغم أنها نُشرت قبل سنتين.

خرجت من الحانة، تساءلت إن كانت تستطيع الحكم على حياة كاملة بعد عدة دقائق قضتها فيها عند منتصف ليل الثلاثاء. ربما كان هذا كل ما تحتاج إليه للحكم عليها.

كانت الرياح باردة. وقفت وحدها في ذلك الشارع الريفي الهادئ، دفعت الرياح لوح السبّورة عدة خطوات، وأوشكت على إسقاطه. وقبل أن تلتقطه، شعرت باهتزاز الهاتف في جيبها. لم تلاحظ وجوده من قبل. فتحت الهاتف لتجد رسالة من إيزي.

لاحظت أن خلفية جوالها كانت صورة لها مع دان في منطقة حارة.

فتحت شاشة الهاتف باستخدام تقنية التعرّف على الوجه وذهبت لترى الرسالة. لقد كانت صورة حوت يرتفع عاليًا من عمق المحيط، والرذاذ الأبيض يشغل الهواء كاندفاع الشامپانيا. لقد كانت صورة رائعة ابتسمت نورا لرؤيتها.

كانت إيزي تكتب.

ظهرت رسالة أخرى:

هذه إحدى الصور التي التقطتها البارحة من القارب

وصورة أخرى:

لأم الحوت الأحدب

وصورة أخرى: للحوتين معًا، وهما يكسران الماء بظهريهما.

احتوت الصورة الأخيرة على أيقونات ايموجي لحيتان وأمواج.

شعرت نورا بتوهج دافئ. ليس بسبب الصور فقط -التي كانت رائعة بالطبع- وإنما بسبب تواصل إيزي معها أيضًا.

عندما تراجعت نورا عن قرار الزواج، أصرّت إيزي أن تأتي معها إلى أستراليا.

كان لديهما مخطط كامل للعيش قرب خليج بايرون والعمل في أحد قوارب متابعة الحيتان.

لقد شاركتا العديد من مقاطع الحيتان تطلعًا لهذه المغامرة الجديدة، ولكن نورا ترددت وغيّرت رأيها. تمامًا كما فعلت حين تركت السباحة، الفرقة الموسيقيّة، والزواج. ولكن على خلاف كل هذه الأشياء، لم يكن لديها سبب للتراجع عن السفر. نعم، لقد بدأت العمل في متجر نظرية الأوتار، ونعم، شعرت بالحاجة إلى البقاء قرب قبري والديها، ولكنها كانت تعرف أن بقاءها في بدفورد كان الخيار الأسوأ. واختارته رغم ذلك. بسبب حنين غريب لبلدتها بالإضافة إلى اكتئاب أقنعها بعدم *استحقاقها* للسعادة. وإيمانها بأن جرحها لدان كان خطيئة يجب أن تكفّر عنها بعيش حياة كئيبة وبائسة في بلدتها، وأنها لا تملك العزيمة، الإصرار، أو حتى الطاقة لعيش حياتها بعيدًا عنه.

وهكذا، يبدو أنها قررت استبدال قط بصديقتها المفضلة.

في حياتها الحقيقية، لم يسبق لنورا أن قاطعت إيزي. لم يكن للمشكلات وجود بينهما، ولكن بعد رحيل إيزي إلى أستراليا، بدأت علاقتهما بالفتور ولم يبق منها سوى بخار متقطّع من الإعجاب على صفحات فيسبوك وإنستقرام ورسائل أعياد الميلاد المدجّجة بأيقونات إيموجي.

عادت لقراءة بعض الرسائل بينها وبين إيزي وأدركت أنه رغم عشرات آلاف الأميال التي تفصلهما كانت علاقتهما في أفضل حالاتها.

عندما عادت إلى الحانة، ومعها السبّورة، لم تجد دان، فقامت بإغلاق الباب الخلفي وانتظرت لبرهة، في ردهة الحانة، متسائلة عن مكان الدرج، ومترددة بشأن اللحاق بزوجها الثمل.

وجدت السلالم خلف مبنى الحانة، عبر باب كُتب عليه *للعاملين فقط*. خطت على السجّادة البنيّة الفاتحة باتجاه الدرج، التي تبدأ بعد مرورها بملصق فيلم *Things You Learn in the Dark*- أحد أفلامها المفضلة لرايان بيلي، والذي اعتادت مشاهدته مع دان في بدفورد، لاحظت وجود صورة صغيرة في عتبة نافذة صغيرة ولطيفة.

كانت صورة حفل زفافها. بالأسود والأبيض. كانا قد خرجا من الكنيسة باتجاه شلال من القصاصات الملوّنة. كان من الصعب رؤية وجهيهما ولكنهما تشاركا ضحكة واحدة، وبدا عليهما -كما تبدو الأشياء في الصور الفوتوغرافيّة - أنهما واقعان في الحب. تذكّرت كلام والدتها عن دان. («دان رجل طيّب. أنتِ محظوظة. حافظي عليه.»)

رأت أخاها جو أيضًا، حليق الرأس وتبدو عليه السعادة، كأس الشامپانيا في يده وبجانبه صديقه الكارثي موظف البنك لويس. كانت إيزي حاضرة، ورافي أيضًا، والذي بدا وكأنه يعمل محاسبًا وليس قارع طبول في فرقة موسيقيّة، وبجانبه امرأة ترتدي النظارات لم يسبق لنورا رؤيتها من قبل.

وبينما كان دان في دورة المياه، استطاعت نورا العثور على غرفة النوم. ورغم وقوعهما في مشكلات ماليّة -موعد دان المقلق مع البنك في الغد أكّد ذلك- كانت الغرفة مليئة بالأثاث الفخم.

ستائر ذكيّة للنوافذ. سرير واسع ومريح. الملاءات مموّجة، نظيفة وبيضاء.

كانت هنالك كتب على جانبي السرير. في حياتها الحقيقية لم تضع نورا أي كتاب قرب سريرها في الأشهر الستة الماضية. لم تقرأ أيّ شيء خلال تلك المدة. ربما تمتعت في هذه الحياة بقدرة أكبر على التركيز.

أخذت أحد الكتب، *التأمّل للمبتدئين*. أسفله كانت نسخة من السيرة الذاتيّة لفيلسوفها المفضّل، هنري ديفيد ثورو. نظرت إلى كتب دان. كان آخر كتاب تتذكّر رؤيته معه سيرة تولوز لوترك الذاتيّة -*عملاق صغير*- ولكنه في هذه الحياة يقرأ كتابًا في إدارة الأعمال *من الصفر إلى البطولة: تسخير النجاح في العمل، المتعة، والحياة*. بالإضافة إلى الإصدار الأخير من كتاب *دليل الحانة*.

شعرت نورا بغرابة في جسدها. كانت صحتها أفضل، بعضلات أقوى، ولكنها كانت متوترة. تحسست بطنها لتدرك أنها أصبحت تلتزم بالتمارين الرياضيّة في هذه الحياة. كان شعرها مختلفًا. شعرت بثقل حركة رأسها وأدركت أن شعرها أطول من الخلف. كانت مشوّشة الذهن. يبدو أنها شربت بعض كؤوس النبيذ في الحانة.

بعد لحظات سمعت صوت تدفّق مياه المرحاض. ثم تلاه صوت غرغرة دان بغسول الفم. كان الصوت مزعجًا جدًا.

«هل أنتِ بخير؟» سألها دان، عندما جاء إلى غرفة النوم. أدركت أن صوته لم يكن كما تتذكّر. كان فارغًا. أكثر برودًا. ربما

كان متعبًا. ربما كان قلقًا. وربما كانت البيرة، أو الزواج.

كان من الصعب عليها تذكّر صوته في الماضي بالضبط. وهذه طبيعة الذاكرة. في الجامعة كانت نورا قد كتبت مقالة تحت عنوان «مبادئ توماس هوبز في الذاكرة والخيال.» وقد نظر هوبز إلى الذاكرة والخيال على أنهما الشيء ذاته، ومنذ أن قرأت هذا الرأي لم تعد تثق بذاكرتها قط.

خارج النافذة التمع مصباح الشارع بلون أصفر يضيء طريق القرية المهجور.

«نورا؟ أنتِ تتصرفين بغرابة. لماذا تقفين في منتصف الغرفة؟ هل ستستعدين للنوم أم أنكِ ستقومين بنوع من أنواع التأمّل وقوفًا؟»

ضحك دان. كان يعتقد أنه طريف.

ذهب باتجاه النافذة وأسدل الستائر. خلع بنطاله ووضعه على ظهر كرسي. نظرت إليه وحاولت أن تشعر بجاذبيّته. كانت تحتاج إلى مجهود هرقلي لتتمكن من إرغام نفسها على الانجذاب له. لم تتوقع هذا.

بإمكان حيوات الجميع أن تنتهي بعدد لا نهائي من الطرق.

انهار دان على السرير، كما يسقط الحوت في المحيط. التقط كتاب إدارة الأعمال. حاول التركيز. وضعه جانبًا. التقط جهازه المحمول، ووضع سماعة في أذنه. ربما كان يستمع إلى بودكاست.

«ما زلت أفكر في أمر ما.»

شعرت نورا بالدوار. وكأنها نصف حاضرة. تذكرت كلمات السيدة إلم حين أخبرتها بأن الخيبة في حياة ما ستُعيدها إلى

المكتبة. أدركت نورا أنها ليست مستعدة للنوم في سرير واحد مع رجل لم تره منذ سنتين.

لاحظت الوقت في الساعة الرقمية. 12:23.

ما زالت السمّاعة في أذنه، نظر إليها مجددًا. «حسنًا، إن لم ترغبي في النوم معي الليلة لتحملي فبإمكانك إخباري.»

«ماذا؟»

«أعرف أننا بحاجة إلى الانتظار للشهر القادم حتى تسنح الفرصة من جديد...»

«نحن نحاول الإنجاب؟ مَن قال إنني أريد طفلًا؟»

«نورا، ما خطبكِ اليوم؟ لماذا تتصرفين بغرابة؟»

خلعت حذاءها. «أنا لا أتصرف بغرابة.»

باغتتها ذاكرة متعلّقة بقميص *Jaws* الذي كان دان يرتديه.

أغنية. «Beautiful Sky.»

اليوم الذي أهدت دان هذا القميص هو اليوم ذاته الذي عزفت له أغنية كتبتها لفرقتها الموسيقية. «Beautiful Sky.» كانت -بحسب رأيها- أفضل أغنية كتبتها على الإطلاق. وكانت أغنية سعيدة تعكس تفاؤلها في تلك المرحلة من حياتها. لقد كانت أغنية مُستلهمة من حياتها الجديدة مع دان. وقد استمع لها باستهزاء ولا مبالاة آلمتها حينها، وكانت ستخبره بحقيقة شعورها لولا أنه كان يحتفل بعيد ميلاده.

«نعم» قال لها. «الأغنية لا بأس بها.»

تساءلت عن سبب دفن هذه الذكرى، وظهورها الآن، تمامًا كالقرش الأبيض العظيم على قميصه المهترئ.

وعادت إليها ذكريات أخرى أيضًا. ردة فعله المبالغ بها عندما حدثته عن أحد الزبائن -آش، الطبيب الجرّاح وعازف الغيتار الهاوي الذي زار متجر نظرية الأوتار- وسأل نورا إن كانت تريد الذهاب معه لشرب القهوة.

(«*بالتأكيد رفضت عرضه. توقّف عن الصراخ.*»)

وأسوأ من هذه الذكرى، عندما أرادت شركة الإنتاج الموسيقية توقيع عقد مع فرقة المتاهات. أخبرها دان بأنه يتوقع انفصالهما بسبب هذا العقد. لأنه سمع قصصًا مرعبة من أحد أصدقاء الجامعة والذي كان قد وقع عقدًا شبيهًا مع شركة إنتاج، وانتهى به الأمر أن سرقت أمواله ليصبح عاطلًا عن العمل مدمنًا على شرب الكحول.

«يمكنني أخذك معي» قالت له. «سأكتب ذلك في العقد. يمكننا الذهاب معًا إلى كل مكان.»

«آسف نورا، ولكنه *حلمكِ*. وليس حلمي.»

وآلمها إدراكها المتأخر هذه الحقيقة، خاصة أنها حاولت بشدة قبل زواجهما أن تجعل حلمه المتعلق بامتلاك الحانة في ريف أكسفوردشاير حلمها أيضًا.

لطالما قال دان إنه قلق بشأن نورا؛ كانت تمر بنوبات هلع عندما كانت في الفرقة، خاصة عند اقترابها من المسرح، ولكنها اكتشفت الآن أنه كان يتلاعب بها.

«ظننت» قال لها الآن، «أنكِ ستثقين بي من جديد.»

«أثق بك؟ دان، لماذا سأشك فيك من الأساس؟»

«أنتِ تعرفين السبب.»

«بالتأكيد أعرف» كذبت عليه. «أريد أن أسمعه منك مباشرة.»

«بسبب ما حدث بيني وبين إرين.»

حدّقت نحوه وكأنه بقعة حبر كتلك التي استخدمها عالم النفس رورشاخ دون أن ترى فيها أي صور واضحة.

«إرين؟ التي تحدثت معها الليلة؟»

«هل سأتعرض للتوبيخ إلى الأبد بسبب غلطة واحدة غبية قمت بها في لحظة سُكْر؟»

خارج النافذة، كانت الريح تزمجر وتعوي بين الأشجار كأنها تحاول ابتكار لغة.

هذه هي الحياة التي كانت في حداد عليها. هذه هي الحياة التي ندمت أنها لم تعشها. هذا هو الخط الزمني الذي اعتقدت أنها قد ضيّعته من بين يديها.

«غلطة واحدة غبيّة؟» ردّدت جملته.

«حسنًا، غلطتان.»

لقد كان العدد يتضاعف.

«غلطتان؟»

«لقد كنت أمر بضغوطات هائلة. بسبب العمل. وكنت ثملًا جدًا.»

«خنتني مع امرأة أخرى ولا يبدو عليك أنك تحاول... التكفير عن فعلتك.»

«لماذا تعيدين فتح هذه الملفات؟ لقد تحدثنا بهذا الشأن من قبل. هل تتذكرين ما قالته مستشارة الزواج. عن التركيز في المكان الذي نريد الذهاب إليه بدلًا من المكان الذي كنّا فيه؟»

«هل سبق لك التفكير في عدم ملاءمتنا لبعضنا؟»

«ماذا؟»

«أحبك دان، وبإمكانك أن تكون شخصًا لطيفًا جدًا. وقد كنت رائعًا مع والدتي. واعتدنا أن نخوض -أقصد أننا نخوض- محادثات ممتعة. ولكن، ألم يسبق لك التفكير في احتماليّة فشلنا في عيش الحياة التي تمنيناها معًا؟ أننا تغيّرنا؟»

جلست على حافة السرير. في أبعد نقطة ممكنة عنه.

«ألا تشعر أبدًا أنك محظوظ معي؟ ألا تدرك أنني أوشكت على تركك قبل يومين من حفل الزفاف؟ أتعرف إلى أي درجة كنت ستتحطم إن لم آت إلى الزفاف؟»

«واو. ثقتكِ عالية بنفسك يا نورا.»

«ألا يجب أن تكون ثقتي بنفسي عالية؟ أقصد، ألا يجب أن نتحلّى جميعًا بهذه الثقة؟ ما المشكلة في الاعتداد بالذات؟ بالإضافة إلى أنني محقة. في عالم موازٍ رأيت رسائلك عبر واتس آب وأنت محطم دوني. كيف سقطت في إدمان الكحول، على الرغم من أنك لم تترك الكحول وأنت معي، وتلقيت رسائلك التي تعبّر فيها عن اشتياقك إلى صوتي.»

أطلق صوتًا استنكاريًا، يقع بين الضحك والاستهجان. «حسنًا، أنا متأكد تمامًا من أنني لا أشتاق إلى صوتك الآن.»

لم تستطع خلع أي قطعة سوى حذائها. كان من الصعب عليها -وربما من المستحيل- أن تبدل ملابسها أمامه.

«وتوقفي عن الحديث عن شربي للكحول.»

«إن كنت تتعذّر بالكحول لخيانتي مع غيري، فبإمكاني الحديث عن شربك.»

«أنا مالك حانة ريفي» قال دان. «هذا ما يفعله ملّاك الحانات في الريف. نمرح ونلهو ونتذوّق ما نبيع. يا إلهي.»

منذ متى وهو يتحدّث بهذه الطريقة؟ هل هذه طريقته المعتادة؟

«تبًا، دان.»

لم يكترث لها. لم يشعر بالامتنان للكون الذي يعيش فيه. الكون الذي شعرت بذنب كبير لإيقاف حدوثه. فتح هاتفه، وجلس على السرير. راقبته نورا وهو يتصفّح الهاتف.

«هل هذا ما تخيّلته لحياتنا؟ هل هذا حلمك؟»

«نورا، لنتجاهل هذا الهراء الثقيل. ونخلد للنوم.»

«هل أنت سعيد يا دان؟»

«لا أحد سعيد يا نورا.»

«بلى. وقد كنت سعيدًا. كنت تُشرق عند حديثك عن حلمك، عن امتلاك الحانة، قبل أن تمتلكها. هذه هي الحياة التي تمنيتها. لقد أردت الزواج بي وأردت هذه الحياة، والآن أصبحت خائنًا وتشرب الكحول مثل السمكة وأعتقد أنك لا تقدّرني إلا حين تخسرني، وهذه صفة قبيحة فيك. ماذا عن *أحلامي*؟»

لم يكن يستمع لها. أغلق جهازه. «هل ستأتين إلى السرير أم ماذا؟»

لقد تضاءلت من أجله، ولكنه لم يجد المساحة التي يحتاج إليها بعد. لم يعد لديها المزيد.

«مضلّع عشريني، آيكوسغون.» قالت له.

«ماذا؟»

«سؤال المسابقة. المضلّع المكوّن من عشرين ضلعًا. *آيكوسغون*. كنت أعرف الإجابة ولكني لم أخبرك بها لأنك ستهزأ

بي. أما الآن، فلم أعد أكترث لرأيك لأن معرفتي لأشياء لا تعرفها يجب ألا تغضبك. سأذهب الآن إلى دورة المياه.»

وتركت دان، مشدوهًا، واتجهت بهدوء خارج الغرفة.

وصلت إلى دورة المياه. أشعلت الضوء. شعرت بوخز في ذراعيها، ساقيها، وجذعها. ككهرباء ساكنة تبحث عن محطّة. لقد كانت تتلاشى، وكانت متأكدة. لم يعد لها مكان هنا. لقد اكتملت الخيبة.

لقد كانت دورة مياه مذهلة. نظرت إلى المرآة. دُهشت حين رأت نفسها. لقد كانت أكثر صحة، وأكبر سنًا. وجعلها شعرها تبدو كإنسانة غريبة.

لم تكن هذه الحياة التي تخيلتها.

تمنّت نورا التوفيق لنفسها في المرآة «حظًا موفقًا.»

وبعد لحظة واحدة، وجدت نفسها قد عادت إلى مكتبة منتصف الليل، والسيدة إلم تحدّق إليها من مسافة قريبة بابتسامة فضوليّة.

«ماذا حدث معكِ؟»

الملاحظة قبل الأخيرة التي أرسلتها نورا قبل أن تجد نفسها بين الحياة والموت

هل تسأل نفسك «كيف وصلت هنا؟» وكأنك في متاهة، ضائع ولا تستطيع لوم أحد سواك لأنك اتخذت كل قرار عند كل منعطف؟ وأنت موقن من وجود العديد من الطرق التي كانت ستساعدك على الخروج، لأنك تسمع أصوات جميع مَن خرجوا من هذه المتاهة، وهم يضحكون ويبتسمون. وأحيانًا تتمكن من رؤيتهم عبر الأسوار. كشكل عابر من بين الأوراق. وتبدو عليهم السعادة لأنهم استطاعوا الخروج، ولا تشعر بالغضب تجاههم، بل تجاه ذاتك لعدم قدرتك على مجاراتهم. هل يراودك هذا الشعور؟ أم أن هذه متاهتي وحدي؟

ملاحظة: لقد مات قطي.

رقعة الشطرنج

كانت رفوف مكتبة منتصف الليل ساكنة من جديد، وكأن حركتها لم تكن ممكنة في السابق.

لاحظت نورا أنها الآن في قسم مختلف من المكتبة- لم تكن غرفة أخرى، لأنه لا يوجد سوى قاعة واحدة، ضخمة لا نهاية لها، لم تكن نورا متأكدة من أنها في قسم مختلف من المكتبة لأن الكتب ما زالت خضراء اللون، إلا أنها وجدت نفسها أقرب إلى رواق كانت بعيدة عنه في السابق. استطاعت أن ترى لمحة من شيء جديد بين الأكوام - مكتب وجهاز كمبيوتر في الرواق بين الممرات.

لم تكن السيدة إلم على المكتب، بل كانت تجلس قرب طاولة خشبية منخفضة أمام نورا، وتلعب الشطرنج.

«كانت حياةً مختلفة عمّا توقعت» قالت نورا.

بدت السيدة إلم وكأنها في منتصف مباراة شطرنج.

«من الصعب التوقّع، أليس كذلك؟» سألتها، وهي تنظر أمامها إلى الفراغ بينما تحرّك الفيل الأسود لتأخذ بيدقًا أبيض. «توقع الأشياء التي تتسبّب في سعادتنا.»

أدارت السيدة إلم رقعة الشطرنج لمئة وثمانين درجة. كانت، كما يبدو، تلعب ضد نفسها.

«نعم» قالت نورا. «من الصعب توقّع ذلك. ولكن ماذا حدث لها؟ لي؟ كيف تنتهي قصتها؟»

«كيف لي أن أعرف؟ لا علم لي بغير اليوم. أعرف الكثير عن اليوم، ولكني لا أعرف ما سيحدث غدًا.»

«ولكنّها في دورة المياه ولن تعلم كيف انتهى بها الحال هناك.»

«ألم يسبق لكِ الدخول إلى غرفة دون معرفة سبب وجودكِ فيها؟ ألم يسبق لك نسيان ما قمتِ بفعله للتو؟ ألم يسبق لك فقدان وعيك للحظة أو نسيان ما كنتِ تفعلينه؟»

«نعم، ولكنني كنت في تلك الحياة لنصف ساعة.»

«أنتِ الأخرى لن تعرف هذا. ستتذكّر كل ما فعلته وقلته. وكأنها هي التي فعلته وقالته.»

أخذت نورا نفسًا عميقًا. «لم يكن دان على طبيعته.»

«البشر يتغيّرون» قالت السيدة إلم، وهي تنظر إلى رقعة الشطرنج. ويدها تحوم حول الفيل.

فكّرت نورا مرة أخرى. «أو ربما كانت هذه طبيعته ولم أنتبه لها من قبل.»

«إذن» تساءلت السيدة إلم، وهي تنظر إلى نورا. «كيف تشعرين الآن؟»

«كما لو أنني ما زلت أريد الانتحار. اخترت الموت منذ فترة. أجريت حساباتي بحذر واستنتجت أنّ ألم حياتي أكبر من الألم الذي سيشعر به من حولي عندما أموت. في الحقيقة، أنا متأكدة من أنهم سيشعرون بالارتياح. أنا لست مفيدة لأحد. كنت سيئة في عملي. لقد خذلت الجميع. أنا -بكل صراحة- مضيعة للأثر الكربوني. تسبّبت في جرح من حولي. لم يبق لي أحد. حتى قطّي فولتس الذي مات لأنني لم أستطع حمايته. أريد أن أموت. حياتي كارثية، وأريد إنهاءها. لا أستحق العيش. ولا معنى لاستمراري بكل هذا. لأن التعاسة مكتوبة عليّ في حيوات أخرى أيضًا. هذه

أنا. لا أضيف شيئًا. إنني أنغمس في الشفقة على نفسي. أريد الموت.»

كانت السيدة إلم قد درست نورا جيدًا، وأصبحت كأنها تقرأ جملة في كتاب قد مرّ عليها من قبل لتجده يحتوي على معنى جديد. «الرغبة» قالت لها، بنبرة محكمة، «كلمة محيّرة. تدل على النقص. وأحيانًا إن قمنا بشغل هذا النقص بشيء آخر تختفي الرغبة الأصلية تمامًا، ربما تعانين من مشكلة نقصان لا من مشكلة رغبة، ربما توجد حياة تريدين عيشها بحق.»

«ظننت أنني جرّبت تلك الحياة مع دان، ولكنها لم تنجح.»

«نعم لم تنجح، ولكنها مجرد حياة واحدة من حيوات عديدة ممكنة، وحياة واحدة مقابل عدد لا نهائي من الحيوات ليس إلا كسرًا ضئيلًا جدًا.»

«كل حياة يمكن أن أعيشها ستفشل لأنني فيها.» لم تستمع لها السيدة إلم. «والآن، أخبريني، إلى أين تريدين الذهاب؟»

«إلى اللامكان، أرجوكِ.»

«أتريدين قراءة *كتاب الندم* من جديد؟»

هزّت نورا رأسها. تذكّرت شعور الاختناق الذي حاصرها بسبب الندم.

«لا.»

«ماذا عن قطّك؟ ما اسمه؟»

«ڤولتير. إنه اسم يدل على غرور صاحبه، ولم يكن ڤولتير قطًا مغرورًا على الإطلاق، لذلك صرت أناديه ڤولتس للاختصار. وأحيانًا ڤولتسي، إن رغبت في المرح معه. ونادرًا ما حدث ذلك. لم أتمكن حتى من الاستقرار على اسمٍ لقط.»

«حسنًا، قلتِ أنكِ فشلتِ في الاعتناء بقطّك. ماذا ستغيرين لو عاد بك الزمن؟»

اعتقدت نورا أن السيدة إلم تمارس عليها لعبة ما، ولكنها أرادت رؤية قطها من جديد، وليس مجرد قط يحمل الاسم ذاته. في الحقيقة، كانت تريد رؤية قطها أكثر من أي شيء آخر.

«حسنًا. أريد رؤية الحياة التي أبقيت فيها على ڤولتير في المنزل. أريد الحياة التي لم أحاول قتل نفسي فيها والتي أعتني فيها بڤولتير وأمنعه من الخروج إلى الشارع. أريد تلك الحياة، ولو لوهلة. تلك الحياة موجودة، أليس كذلك؟»

نظرت نورا من حولها لتجد نفسها في سريرها.

تفقّدت ساعتها. كانت تشير إلى دقيقة واحدة بعد منتصف الليل. أشعلت الضوء. كانت هذه حياتها السابقة، ولكنها ستتجه للأفضل، لأن ڤولتير سينجو هذه المرة. ڤولتير الحقيقي.

ولكن أين هو؟

«ڤولتس؟»

نهضت من سريرها.

«ڤولتس؟»

بحثت في كل أرجاء شقتها ولم تتمكن من العثور عليه. كان المطر يربّت على النوافذ -لم تتغيّر هذه الصورة. كان صندوقها المليء بمضادات الاكتئاب على طاولة المطبخ. وكان البيانو الكهربائي قرب الحائط، صمت تام.

«ڤولتسي؟»

كانت نبتة اليوكا ونباتات الصبّار الثلاث ساكنة قرب رفوف كتبها المتنوّعة بين كتب الفلسفة والروايات وكتب اليوغا التي لم تفتحها، بالإضافة إلى السير الذاتية لنجوم الروك، وبعض الكتب العلميّة. عدد قديم من مجلة *ناشيونال جيوغرافيك* وصورة سمكة قرش على الغلاف، وعدد من مجلة *إيلي*، مرّت عليه خمسة أشهر، كانت قد اشترته لقراءة مقابلة رايان بايلي.

كان أمامها وعاء مليء بطعام ڤولتس.

بحثت في كل مكان، نادت عليه. ولم تجده إلا حين عادت إلى غرفة النوم ونظرت أسفل السرير.

«ڤولتس!»

لم يتحرّك القط.

ولأن ذراعيها لم تصلا إليه، أزاحت السرير من مكانه.

«ڤولتسي، تعال، ڤولتسي» همست له.

وفي اللحظة التي لمست فيها جسده البارد عرفت الحقيقة، وغرقت في الحزن والحيرة. ثم وجدت نفسها مباشرة في مكتبة منتصف الليل، لتواجه السيدة إلم، التي كانت تجلس هذه المرة على كرسي مريح، منغمسة في قراءة أحد الكتب.

«لا أفهم» أخبرتها نورا.

أبقت السيدة إلم عينيها على الكتاب واستمرت بالقراءة. «ستحدث أشياء كثيرة لا تفهمينها.»

«طلبت العودة إلى حياة يعيش فيها ڤولتير.»

«لم تطلبي هذا.»

«ماذا؟»

وضعت كتابها. «لقد طلبتِ حياة يمكث فيها ڤولتير في المنزل. وهذا أمر مختلف تمامًا.»

«مختلف؟»

«نعم، تمامًا. إن طلبتِ الرجوع إلى حياة يعيش فيها ڤولتير، كنت سأرفض طلبك.»

«لماذا؟»

«لأنها غير موجودة.»

«ظننت أن كل الحيوات موجودة.»

«كل الحيوات *الممكنة*. كان ڤولتير يعاني من حالة» -تقرأ السيدة إلم من كتابها- «*اعتلال عضلة القلب المقيد*، منذ الولادة، ولهذا فإنه من المقدّر له الموت في عمر مبكّر.»

«ولكنه توفي بسبب حادث سيارة.»

«هنالك فرق، نورا، بين الموت على الطريق، وبين الموت بسبب حادث. في حياتك الأصليّة، عاش ڤولتير لفترة أطول من أي حياة أخرى، باستثناء الحياة التي جئتِ منها للتو، والتي مات فيها قبل ثلاث ساعات. ورغم أنه مرّ بسنوات أولى صعبة، إلا أن سنته معك كانت أفضل سنوات حياته. لڤولتير حيوات أخرى أسوأ بكثير، صدقيني.»

«لم تعرفي اسمه قبل لحظات. والآن أصبحتِ تعرفين اعتلال عضلة قلبه؟»

«كنت أعرف اسمه. ولم يكن هذا قبل لحظات، بل في اللحظة ذاتها، انظري إلى ساعتك.»

«لماذا كذبتِ علي؟»

«لم أكذب. سألتك عن اسم قطّك. لم أقل إنني لا أعرف اسمه. هل ترين الفرق؟ أردتك أن تنطقي اسمه لتشعري بشيء ما.»

شعرت نورا بغضب شديد. «هذا أسوأ بكثير! قمتِ بإرسالي إلى تلك الحياة مع علمك أن ڤولتس سيكون ميتًا فيها. وهذا ما حدث. لم يتغيّر شيء.»

ومضت عينا السيدة إلم من جديد. «باستثنائك أنتِ.»

«ماذا تقصدين؟»

«لم تعتبري نفسك مذنبة بحق ڤولتير. اعتنيتِ به على أكمل وجه. وأَحَبّكِ تمامًا كما أحببتِه، وربما لم يرد أن ترينه وهو يحتضر. القطط تعرف حين يأتي أجلها. لقد خرج من البيت لأنه أوشك على الموت، وعلم ذلك.»

حاولت نورا استيعاب كل هذا. فكّرت لوهلة، لم تجد أي إصابة على جسد قطها: قفزت مباشرة للاستنتاج الذي قفز إليه آش. وهو أن قطًا ميتًا على الطريق، قد مات بسبب الطريق. وإن كان هذا استنتاج طبيب جرّاح، فمن الطبيعي أن يكون هذا استنتاج شخص عادي أيضًا. اثنان زائد اثنان يساوي حادث سيارة.

«ڤولتس تعيس الحظ» همهمت نورا بحزن.

ابتسمت السيدة إلم كمعلّمة لاحظت أن طالبتها قد استوعبت الدرس.

«لقد أحبّكِ يا نورا. اعتنيتِ به كما يعتني البشر بالقطط. اذهبي وانظري إلى الصفحة الأخيرة من *كتاب الندم*.»

رأت نورا الكتاب وهو مُلقى على الأرض. ركعت على الأرض قربه.

«لا أريد فتحه من جديد.»

«لا تقلقي. ستكونين بأمان هذه المرة. التزمي بفتح الصفحة الأخيرة فقط.»

قفزت إلى الصفحة الأخيرة، رأت أحد آخر حسراتها –«لقد كنت سيئة في الاعتناء بڤولتير»– وهي تختفي ببطء من الصفحة. كانت الحروف تتلاشى كغرباء يختفون في الضباب.

أغلقت نورا الكتاب قبل أن تشعر بأي سوء.

«أرأيتِ؟» أحيانًا لا يستند الندم على الحقائق. أحيانًا يكون مجرد...» بحثت عن مصطلح مناسب ووجدته. «مجرد *هراء*.»

حاولت نورا استحضار أيام دراستها، لتتذكر إن كانت السيدة إلم قد استخدمت كلمة «هراء» من قبل، وكانت متأكدة أنها لم تستخدمها.

«ولكني ما زلت لا أفهم لماذا سمحتِ لي بالدخول إلى حياة كنتِ تعرفين أن ڤولتس سيموت فيها؟ كان بإمكانك إخباري. كان بإمكانك إخباري بأنني لم أفشل في الاعتناء به. لماذا لم تقولي لي؟»

«نورا، لأن الطريق الوحيد للتعلّم يمرّ *بالحياة*.»

«يبدو طريقًا صعبًا.»

«اجلسي» قالت لها السيدة إلم. «اجلسي على مقعد مريح. ليس من المناسب أن تجثمي على الأرض هكذا.» التفتت نورا لترى كرسيًا خلفها لم تلحظه من قبل. كان كرسيًا عتيقًا -من الخشب الماهوغاني والجلد ذي الأزرار، إدواردي ربما- بمسند كتب نحاسي في أحد جانبيه. «هبي نفسكِ لحظة.»

جلست نورا.

حدّقت إلى ساعتها. مهما كان طول اللحظة التي أخذتها كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل دائمًا.

«ما زلت لا أحب أيًا مما يحدث. حياة واحدة من الحزن كانت كافية. ما فائدة المخاطرة بالمزيد من الحزن؟»

«حسنًا.» هزّت السيدة إلم كتفيها.

«ماذا؟»

«لنتوقف إذن. يمكنك البقاء هنا في المكتبة ومن حولك كل هذه الحيوات المنتظرة على الرفوف دون أن تختاري منها شيئًا.»

شعرت نورا بأن السيدة إلم تحاول أن تلعب معها لعبة أخرى. ولكنها سايرتها في حديثها.

«حسنًا.»

وقفت نورا في مكانها بينما التقطت السيدة إلم كتابها من جديد.

شعرت نورا بالظلم لاستطاعة السيدة إلم قراءة ما يحدث في تلك الحيوات دون الوقوع فيها.

مضى الوقت.

رغم أنه لم يمض بالطبع.

بإمكان نورا البقاء في المكتبة للأبد دون الشعور بالجوع أو العطش أو التعب، ولكنها قد تشعر بالملل.

وبينما كان الوقت متجمدًا، بدأ فضول نورا تجاه الحيوات من حولها بالنمو تدريجيًا، واتضح أنه من المستحيل تقريبًا الوقوف في مكتبة دون الرغبة في سحب الكتب من رفوفها.

«لماذا لا تستطيعين منحي حياةً تعلمين أنها حياة جميلة؟» قالت فجأة.

«المكتبة لا تعمل بهذه الطريقة.»

كان لدى نورا سؤال آخر.

«بالتأكيد في أغلب تلك الحيوات سأكون نائمة الآن، أليس كذلك؟»

«في الكثير منها، نعم.»

«ماذا يحدث بعد ذلك؟»

«تنامين، ثم تستيقظين في تلك الحياة. لا شيء يدعو للقلق. ولكن إن كنتِ مترددة، بإمكانك تجربة حياة يختلف فيها التوقيت.»

«ماذا تقصدين؟»

«الليل لا يُطبق على كل الأماكن، أليس كذلك؟»

«ماذا؟»

هنالك عدد لا محدود من الأكوان الممكنة يمكنك العيش فيها. هل تعتقدين أنها جميعًا موجودة بتوقيت غرينتش؟»

«بالتأكيد لا» قالت نورا. أدركت أنها على وشك المساومة واختيار حياة أخرى. فكّرت في الحيتان الحدباء. فكّرت في الرسالة التي لم يُجب عنها. «أتمنى لو ذهبت إلى أستراليا مع إيزي. أتمنى تجربة تلك الحياة.»

«اختيار ممتاز.»

«ماذا؟ هل ستكون حياة جميلة؟»

«أوه، لم أقل هذا. أشعر فقط أنكِ تحسنتِ في الاختيار.»

«إذن، هل هي حياة سيئة؟»

«لم أقل هذا أيضًا.»

وتحرّكت الرفوف مرة أخرى، ثم توقفت بعد ثوانٍ.

«آه، نعم، ها هي» قالت السيدة إلم، وهي تأخذ كتابًا من الرف الثاني من الأسفل. عرفته مباشرة، وكان ذلك غريبًا، أن تراه مطابقًا للكتب من حوله.

ناولته لنورا، بود كبير، وكأنه هدية عيد ميلاد.

«إليكِ. تعلمين تمامًا ما عليكِ فعله.»

ترددت نورا.

«ماذا لو مت؟»

«عفوًا؟»

«أقصد، في حياة أخرى. من المؤكد أن هنالك حيوات أخرى أموت فيها قبل هذا اليوم.»

بدت السيدة إلم مهتمة بالسؤال. «أليست هذه رغبتك؟»

«نعم، ولكن...»

«لقد متِّ لعدد لا ينتهي من المرات قبل اليوم، نعم. حادث سيارة، جرعة مخدرات زائدة، غرق، تسمّم غذائي، اختناق بتفاحة، اختناق بقطعة بسكويت، اختناق بنقانق نباتيّة، اختناق بنقانق غير نباتيّة، كل الأمراض الممكنة... لقد متِّ بكل طريقة، وفي أي وقت.»

«إذن، قد أفتح الكتاب وأموت؟»

«لا، ليس مباشرة. كما حدث مع ڤولتير، الحيوات الوحيدة المتوفرة موجودة هنا. أقصد، قد تموتين في تلك الحياة، ولكنك لن تكوني ميتة قبل دخولها لأن مكتبة منتصف الليل ليست مكتبة أشباح ولا مكتبة جثث، بل هي مكتبة من الاحتمالات. والموت عكس الاحتمالات. هل فهمتِ؟»

«أظن ذلك.»

وحدّقت نورا إلى الكتاب الذي في يدها. أخضر صنوبري اللون. ناعم الملمس، حُفر فيه ذلك العنوان العريض المُحبِط والخالي من المعنى «**حياتي.**»

فتحت الكتاب ورأت صفحة فارغة، فانتقلت إلى الصفحة التالية وتساءلت عمّا سيحدث هذه المرة. «**المسبح كان مزدحمًا هذه المرة...**»

ثم وجدت نفسها في المسبح.

حريق

شهقت نورا. كانت مشاعرها غير متوقعة. الضجيج والماء. كان فمها مفتوحًا واختنقت. نكهة ولسعة الماء المالح.

حاولت تحسّس قدميها على قاع المسبح ولكنها لم تستطع فانزلقت سريعًا لتسبح على صدرها.

مسبح يحتوي على ماء مالح. في الخارج، قرب المحيط، نُحت في صخرة عملاقة برزت خارج خط الساحل. يمكنها رؤية المحيط أمامها. كانت الشمس فوقها، وكان الماء باردًا، ولكن حرارة الهواء فوقها جعلت برودة الماء مقبولة.

في حياة سابقة كانت أفضل سبّاحة مراهقة في بدفوردشاير.

فازت بمنافستين في فئتها العمريّة ببطولة السباحة الوطنية. السباحة الحرّة لمسافة 400 متر و200 متر. كان والدها يوصلها يوميًا إلى المسبح للتمرين. قبل بدء المدرسة أحيانًا وبعدها أيضًا. ولكن حينئذ -بينما كان أخوها يعزف أغاني نيرڤانا على غيتاره- علّمت نفسها عزف مقطوعات شوپان، بالإضافة إلى الأغنيات الكلاسيكية «Let It Be» و«Rainy Days And Mondays». بالإضافة إلى أنها بدأت، قبل أن تخطر فكرة تكوين فرقة موسيقية على بال أخيها، بكتابة موسيقاها الخاصة بها.

ولكنها لم تذهب للسباحة بسبب توترها.

وصلت إلى حافة المسبح. توقفت ونظرت حولها. بإمكانها رؤية شاطئ على مستوى منخفض بعيدًا، لينحني في شبه دائرة ويرحّب بالبحر الملتف على رماله. وراء الشاطئ، على اليابسة،

امتداد من عشب. حديقة مليئة بالنخيل والكلاب التي تمشي مع أصحابها.

وراء ذلك، بيوت ومجمعات لشقق سكنية، وسيارات تنزلق على الطريق. قد رأت صورًا لخليج بايرون، ولم تكن تشبه ما تراه الآن أمامها. بدا هذا المكان مدنيًا ومليئًا بالبشر.

أعادت انتباهها للمسبح من جديد، لاحظت أن رجلًا ابتسم لها بينما كان يعدّل نظارات السباحة. هل كانت تعرف هذا الرجل؟ هل كانت لترحب بهذه الابتسامة في هذه الحياة؟ لم تكن لديها أيّ فكرة، ابتسمت له بأقل ابتسامة ممكنة من باب الأدب. شعرت بأنها سائحة معها عملة أجنبيّة ولا تعرف كمية البقشيش المناسبة لدفعها.

ثم ابتسمت لها امرأة مسنّة بينما كانت تبحر باتجاهها.

«صباح الخير نورا» قالت لها، دون أن تتوقف عن العوم.

كانت تحيّة تشير إلى أن نورا تأتي إلى المسبح باستمرار.

«صباح الخير» قالت نورا.

بدأت من المحيط، لتتفادى أي محادثات محرجة. سربٌ من راكبي أمواج الصباح، بحجم بقعة، سبحوا على ألواحهم لتحيّة أمواج زرقاء عملاقة بلون الياقوت.

كانت هذه بداية واعدة لحياتها الأستراليّة. حدّقت في ساعتها. كانت برتقاليّة اللون، تبدو رخيصة الثمن من ماركة كاسيو. كانت تأمل أن ساعة مبهجة كهذه قد تدل على حياة مبهجة أيضًا. كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحًا. بجانب ساعتها وجدت إسوارة بلاستيكية وعليها مفتاح.

كان هـذا طقسـها اليومـي هنـا. فـي مسبح خارجي قرب الشـاطئ. تسـاءلت إن كانـت وحدهـا. فتشـت فـي المسـبح علـى أمـل أن تـرى إيـزي، ولكـن لا أثـر لهـا.

سبحت أكثر.

مـا كانـت تحبّـه فـي السـباحة مـن قبـل كان قدرتهـا علـى الاختفـاء. فـي المـاء، كان تركيزهـا نقيًـا لدرجـة أنهـا لا تفكـر فـي شـيء آخـر. كل مشـكلات المدرسـة والمنـزل تتلاشـى. فـن السـباحة -افترضـت نـورا أنـه كأي فـن آخـر- كان متعلقًـا بالنقـاء. كلمـا زاد تركيـزك علـى الفعل قلّ تركيـزك علـى كل مـا سـواه، كأنـك تتوقـف عـن الوجـود لتتحـوّل إلـى مـا تفعلـه.

ولكن نـورا لـم تسـتطع التركيـز بسـبب ألـم فـي ذراعيهـا وصدرهـا. شـعرت بأنهـا سـبحت لمـدة طويلـة وقـد حـان الوقـت للخـروج مـن المسـبح. رأت لافتـة كُتـب عليهـا *مسـبح شـاطئ برونتـي*. تذكّـرت دان بغمـوض، الـذي زار أسـتراليا فـي إحـدى السـنوات، وتحـدث عـن هـذا المـكان لتتذكـره نـورا -شـاطئ برونتـي- لأنـه كان سـهل الحفـظ. جيـن ايـر علـى لـوح تزلـج.

ولكنها تلقّت تأكيدًا لشكوكها.

شـاطئ برونتـي فـي مدينـة سـيدني. ولـم تكـن سـيدني جـزءًا مـن خليـج بايـرون.

هـذا يعنـي أحـد أمريـن. إمـا أن إيـزي، فـي هـذه الحيـاة، لـم تذهـب إلـى خليـج بايـرون، أو أن نـورا لـم تذهـب مـع إيـزي.

لاحظت أن بشرتها أصبحت سمراء كلون الكارميل من الشمس.

المشـكلة كانـت أنهـا لـم تعـرف أيـن تجـد ملابسـها! ثـم تذكّـرت الإسـوارة البلاسـتيكية والمفتـاح فـي يدهـا.

57. كان رقم خزانتها 57. وهكذا وجدت غرف تبديل الملابس وفتحت الخزانة لتجد أن ذوقها في الملابس، تمامًا كذوقها في الساعات، كان ملوّنًا في هذه الحياة. كان لديها قميص وعليه طبعة أناناس. العديد من قطع الأناناس. وبنطال قصير وردي، بنفسجي اللون. وحذاء سهل الارتداء.

مَن أنا؟ تساءلت نورا. *مقدمة برنامج تلفزيوني للأطفال؟*

واقٍ من الشمس. مرطّب شفاه بنكهة الكركديه.

وعندما ارتدت قميصها، لاحظت وجود عدة ندوب على يدها. تساءلت للحظة إن كانت قد جرحت نفسها. كان لديها وشم أسفل كتفها. طائر فينيق ونيران. لقد كان وشمًا سيئًا. في هذه الحياة، يبدو أنها لا تملك أيّ ذوق. ولكن منذ متى كان الذوق في اللباس والهيئة مرتبطًا بالسعادة؟

ارتدت ملابسها وأخرجت هاتفًا من جيب بنطالها. كان طرازه أقدم من طراز هاتفها في الحياة التي تزوجت فيها دان وعاشت معه في الحانة. من حسن حظها أنها تمكنت من فتحه عن طريق البصمة.

تركت غرف تبديل الملابس واتجهت نحو طريق موازٍ للشاطئ. لقد كان يومًا دافئًا. ربما كانت الحياة أفضل بطريقة تلقائيّة عندما أشرقت الشمس بثقة في شهر إبريل. كل شيء كان أكثر دقة، أكثر ألوانًا وأكثر حياةً مما هو عليه في إنجلترا.

رأت ببغاء -أزرق كالسماء وأصفر كقطعة موز- قفز إلى أعلى مقعد ليصوّره بعض السيّاح. مّر بجانبها درّاج بدا وكأنه راكب أمواج وفي يده عصير برتقالي اللون، ابتسم وقال لها: «يومك جميل.»

لم تكن هذه بلدة بدفورد بالتأكيد.

لاحظت نورا حدوث أمر ما لوجهها. لقد كانت -كيف بإمكانها فعل ذلك؟- تبتسم. برغبتها دون أن يجبرها أحد.

ثم لمحت عبارة كُتبت على حائط منخفض «العالم يحترق!» وأخرى «أرض واحدة = فرصة واحدة» فتلاشت ابتسامتها. وأدركت أن حياتها الجديدة لا تعني وجودها على كوكب جديد.

لم تكن تعرف أين تسكن أو أين يجب عليها الذهاب بعد تركها المسبح، وشعرت بالحريّة لهذا السبب. أن تُوجد دون أيّ توقعات، حتى توقعات نفسك. وبينما كانت تسير، بحثت في محرك بحث قوقل عن اسمها وأضافت «سيدني» لتجد إن كانت هنالك أي نتائج مفيدة.

وقبل أن تتمكن من النظر إلى النتائج، لمحت رجلًا يسير باتجاهها، كان مبتسمًا. قصير القامة، له أعين لطيفة وشعر طويل ربطه عاليًا، وكان يرتدي قميصًا لم يزرر بشكل صحيح.

«أهلًا نورا.»

«أهلًا» قالت له وهي تحاول ألا تُظهر حيرتها.

«متى تبدئين اليوم؟»

كيف يمكنها معرفة ذلك؟ «آه. أوه. تبًا. لقد نسيت تمامًا.»

ضحك كما لو أنه يتوقع منها قول ذلك، وكأنه جانب قد اعتاده في شخصيتها.

«لقد رأيت اسمك في جدول العمل. أظن أنكِ تبدئين عند الساعة الحادية عشرة.»

«الحادية عشرة صباحًا؟»

ضحك الرجل صاحب العينين اللطيفتين. «ما نوع الحشيش الذي تدخنينه؟ أريد أن أجربه.»

«ها. لا أدخن» قالت بجديّة. «لا أدخن الحشيش أبدًا. لم أتناول وجبة الفطور وحسب.»

«حسنًا، هل ترين ذلك ال...»

«نعم، أين مكان العمل؟»

ضحك، واستمر في المشي. ربما كانت نورا تعمل في باخرة تجوب قرب الحيتان بعيدًا عن سيدني. ربما كانت إيزي تعمل معها أيضًا.

لم تكن نورا تعرف مسكنها، ولم تعثر على أيّ معلومة مفيدة في محرك بحث قوقل. ربما كانت تعيش في المدينة. ربما جاءت إلى المسبح سيرًا على الأقدام. ربما كانت لها دراجة أوقفتها خارج المسبح. بحثت في محفظتها الصغيرة عن مفتاح للقفل، ولم تجد سوى مفتاح المنزل. لا توجد مفاتيح سيارة، ولا مفاتيح لقفل الدراجة. وهكذا استنتجت أنها جاءت إلى المسبح إما سيرًا على الأقدام أو بالحافلة. لم تجد أيّ معلومات على مفتاح المنزل، ولهذا جلست على أحد المقاعد على جانب الطريق بينما كانت حرارة الشمس تشتد على عنقها من الخلف لتتفحّص رسائلها النصيّة.

وجدت أسماءً لأشخاص لا تعرفهم.

إيمي. رودري. بيلا. لوسي پ كيمالا. لوك. لوسي م.

مَن هؤلاء؟

ووجدت رسالة من أحد الأرقام تحت اسم «العمل»، كُتب فيها: «أين أنتِ؟»

عرفت اسمًا واحدًا فقط من بين الأسماء.

دان.

غرق قلبها عندما نقرت على آخر رسالة وردتها منه.

أهلًا نورا! أتمنى أن تكون أستراليا لطيفة معكِ. قد يبدو هذا سخيفًا أو مرعبًا ولكني سأخبرك على أيّ حال. لقد حلمتُ البارحة بجانتنا. لقد كان حلمًا رائعًا. كنّا سعداء! أيًا يكن، تجاهلي ما قلته، أريد أن أخبركِ بشيء آخر: خمّني أين سأسافر في شهر مايو؟ أستراليا. ستكون المرة الأولى لي بعد أكثر من عقد كامل. سآتي للعمل. إنني موظف في الوكالة البحريّة. سيكون من الرائع رؤيتك، حتى ولو لشرب كوب من القهوة. دان

بالنسبة إلى نورا كانت هذه الرسالة غريبة لدرجة أنها أوشكت على الضحك. ولكنها لم تضحك. (ربما لا تناسبها هذه الحياة تمامًا، فكّرت في ذلك الآن.) تساءلت كم نسخة من دان في العالم تحلم بأشياء ستكرهها إن حدثت فعلًا. وكم نسخة من دان تدفع الآخرين من حولها إلى أفكارها الوهميّة عن السعادة؟

كان إنستقرام برنامج التواصل الوحيد الموجود على هاتفها، ويبدو أنها لا تنشر سوى مقاطع من قصائد في حسابها.

قرأت إحدى تلك القصائد:



نار

كل جزء منها

قد تغيّر

قد انسلخ

بسبب ضحكات في ساحة المدرسة

أو بسبب نصائح البالغين

اختفى تمامًا -

وألم الأصدقاء

قد مات.

جمعت تلك الشظايا عن البلاط.

وكأنها نشارة خشب.

وحوّلتها إلى وقود.

إلى **نار.**

واحترقت.

وأصبحت مضيئة بما يكفي لترى **للأبد**.

كانت هذه كلمات مقلقة، ولكنها ليست سوى قصيدة. انتقلت لتصفّح بعض رسائلها البريدية، ووجدت رسالة قد أرسلتها إلى تشارلوت -عازفة ناي في فرقة اسكتلنديّة، طريفة وتحب الضحك، وكانت صديقة نورا الوحيدة في متجر نظرية الأوتار قبل عودتها إلى اسكتلندا.

أهلا تشارل!

أتمنى أنكِ بخير.

سعيدة لأن حفلة عيد ميلادك كانت جميلة. أعتذر لعدم حضوري. الأمور على ما يرام في سيدني المشمسة. انتقلت أخيرًا إلى مسكن جديد. إنه قريب من شاطئ برونتي (جميل للغاية). حوله العديد من المقاهي والأماكن الساحرة. حصلت على وظيفة جديدة.

أذهب للسباحة في مسبح من الماء المالح كل صباح، وفي المساء أحتسي كأسًا من النبيذ الأسترالي. الحياة رائعة!

عنواني:

29/2 دارلينغ ستريت

برونتي

ن. س. و. 2024

أستراليا

نورا

كانت نبرتها بغيضة. بدا عليها التظاهر والغرور، وكأنها تكتب لإحدى قريباتها البعيدات. *حوله العديد من المقاهي والأماكن الساحرة*، وكأنها تكتب مراجعة للمكان في موقع TripAdvisor. لم يسبق لنورا الحديث مع تشارلوت -أو مع أي شخص آخر في حياتها - بهذه الطريقة.

لم يرد ذكر إيزي في هذه الرسالة قط. *انتقلت أخيرًا إلى مسكن جديد*. هل انتقلت وحدها أم مع إيزي؟ تشارلوت تعرف

إيـزي. لمـاذا لـم تذكرهـا نـورا إذن؟

ستكتشـف قريبًـا. بعـد عشـرين دقيقـة، وصلـت إلـى مدخـل شـقتها، لتحـدّق فـي أربعـة أكيـاس قمامـة يجـب أخذهـا إلـى الخـارج. بـدت غرفـة المعيشـة صغيـرة وكئيبـة. كانـت الأريكـة قديمـة ومهترئـة. كانـت رائحـة المـكان نتنـة.

علـى الجـدار ملصـق للعبـة *Angel* وعلـى الطاولـة سـيجارة إلكترونيّـة، وعليهـا ملصـق ورقـة حشـيش. وامـرأة تحـدّق إلـى شاشـة، تطلـق الرصاصـات علـى وحـوش الزومبـي.

كان شـعر هـذه المـرأة قصيـرًا أزرق اللـون، اعتقـدت نـورا لبرهـة أنهـا قـد تكـون إيـزي.

قالت لها نورا: «أهـلًا»

التفتـت المـرأة. لـم تكـن إيـزي. كانـت عيناهـا ناعسـتين وكان وجههـا خاليًـا مـن التعابيـر، وكأن أرواح وحـوش الزومبـي قـد انتقلـت إليهـا. قـد تكـون امـرأة لطيفـة جـدًا ولكـن لـم ترهـا نـورا مـن قبـل. ابتسـمت.

«ما أخبار قصيدتك الجديدة؟»

«أوه. نعم. ما زلت أعمل عليها. شكرًا.»

تجوّلـت نـورا فـي الشـقة وهـي تشـعر بالـدوار. فتحـت بابًـا عشـوائيًا لتكتشـف أنـه بـاب دورة الميـاه. لـم تكـن تريـد اسـتخدامها، ولكنهـا احتاجـت إلـى لحظـة للتفكيـر. أغلقـت البـاب وغسـلت يديهـا وحدّقـت إلـى انهمـار المـاء.

نظـرت إلـى حـوض الاسـتحمام. كانـت سـتائره متسـخة وكأنهـا فـي سـكن طـلابٍ قـذر. هـذا بالضبـط مـا تخيلتـه. سـكن طـلاب.

كانت نورا في الخامسة والثلاثين من عمرها، ووجدت نفسها في هذه الحياة تعيش كما لو أنها طالبة. رأت بعض أدوية الاكتئاب -فلوكستين- قرب المغسلة، أخذته. قرأت ما كُتب عليه *وصفة ن. سييد*. نظرت إلى ذراعها ورأت ندوبًا. كان الأمر غريبًا، أن يقودك جسدك لحل هذا اللغز الغامض.

كانت هنالك مجلة قرب سلة المهملات، *ناشيونال جيوغرافيك*. عدد الثقب الأسود ذاته الذي كانت تتصفحه في حياة أخرى، في الجهة المقابلة من العالم، بالأمس. افترضت أنها مجلتها لأنها أحبت قراءتها دائمًا، واستمرت في اقتناء أعدادها الورقيّة من حين لآخر لأن الأعداد الإلكترونيّة لا تنجح أبدًا في عكس روعة الصور بداخلها.

تذكرت رؤيتها صور سڤالبارد عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها، الأرخبيل النرويجي في القطب الشمالي، في نسخة خاصة بوالدها. كان الأرخبيل شاسعًا ومعزولاً وهائلًا، وتساءلت عن شعور وقوفها في وسطه، كالعلماء المستكشفين في المقالة، الذين قضوا صيفهم وهم يجرون الأبحاث الجيولوجيّة. قصّت الصورة وعلّقتها على لوح في غرفة نومها. ولسنوات عديدة، في المدرسة، حاولت بذل جهدها في دراسة العلوم والجغرافيا لتتمكّن من العمل كباحثة تقضي كل صيف بين الجبال الجليديّة والأزقة البحريّة، بينما تحلّق طيور البفن فوقها.

ولكن بعد موت والدها، وبعد قراءة كتاب نيتشه *ما وراء الخير والشر*، قررت التالي أ) الفلسفة هي التخصص الوحيد الملائم للكثافة المفاجئة في ذاتها. ب) أرادت أن تصبح نجمة روك أكثر من رغبتها في العمل كعالمة.

بعد خروجها من دورة المياه، عادت إلى المرأة الغامضة.

جلست على الأريكة وانتظرت للحظات.

أصيبت شخصية المرأة في اللعبة برصاصة في الرأس.

«تبًا لكم أيها الحمقى» صرخت المرأة على الشاشة.

أخذت سيجارتها الإلكترونيّة. تساءلت نورا عن الطريقة التي تعرّفت بها على هذه المرأة. افترضت أنها رفيقة سكنها.

«كنت أفكّر في كلامك.»

«ماذا تقصدين؟» سألتها نورا

«عن الاعتناء بالقط. ألم تتحدثي عن رغبتك في الاعتناء بذلك القط؟»

«أوه نعم. بالتأكيد. تذكرت الآن.»

«فكرة سيئة جدًا.»

«ماذا؟»

«القطط.»

«لماذا؟»

«لأنها مليئة بالطفيليات. توكسوبلاس. لا أعرف ما اسمها.»

كانت نورا على علم بهذا منذ أن كانت مراهقة، عندما عملت في مركز إنقاذ الحيوانات في بدفورد.

«توكسوبلاسموسيس.»

«نعم بالضبط! كنت أستمع إلى بودكاست، سمعت فيه نظرية تقول إن مجموعة عالمية من الأثرياء أصابوا القطط بهذا الداء للسيطرة على العالم عن طريق جعل بقية البشر أكثر غباءً. فكّري في الأمر. هنالك قطط في كل مكان. أخبرت جاريد بهذه النظرية

وقال لي: «جوجو، ماذا تدخنين؟» أجبته: «أدخن ما أعطيتني.» قال: «نعم، أعرف.» ثم أخبرني بقصة الجراد.»

«الجراد؟!»

«نعم. ألم تسمعي بما حدث؟» سألت جوجو.

«لا، ماذا حدث للجراد؟»

«أقدم الجراد على الانتحار بسبب دودة طفيلية تنمو داخله، لتصبح كائنًا مائيًا مكتملاً، وتسيطر على وظائف الدماغ لدى الجراد، ولهذا يخطر ببال الجراد، «أها، أنا أحب المياه» فيغطس مباشرة في الماء ليموت. هذا يحدث دائمًا. ابحثي عنه في محرك بحث قوقل «انتحار الجراد.» على كل حال، ما أردت قوله هو إن النخب تقتلنا باستخدام القطط ولذلك يجب أن تبقي حذرة.»

لم تستطع نورا التوقف عن التفكير في درجة اختلاف هذه الحياة عمّا تخيلته. لقد تخيّلت نفسها مع إيزي على قارب قرب خليج بايرون، للاستمتاع بعظمة الحيتان الحدباء، ولكنها وجدت نفسها في شقة صغيرة كصندوق في مدينة سيدني، لتعيش مع امرأة مؤمنة بنظريات المؤامرة تحذرها من الاقتراب من القطط.

«ماذا حدث لإيزي؟»

أدركت نورا أنها سألت السؤال بصوت مرتفع.

نظرت جوجو إليها باستغراب. «إيزي؟ صديقتك القديمة؟»

«نعم.»

«التي ماتت؟»

«ام، ماذا؟»

«الفتاة التي ماتت في حادث سيارة؟»

«ماذا؟»

بدت علامات الحيرة على جوجو، بينما تصاعدت أبخرة الدخان أمامها. «هل أنتِ بخير، نورا؟» أمسكت بسيجارة الحشيش. «هل تريدين تجربتها؟»

«لا، أنا بخير. شكرًا لك.»

ضحكت جوجو.

أخذت نورا هاتفها. بحثت على الإنترنت عن «إيزابيل هيرش.» ثم قرأت عناوين الأخبار.

وجدتها. خبر عن موتها. وصورة لوجهها المبتسم.

امرأة بريطانية قُتلت
في حادث على طريق ن. س. و.

امرأة في الثالثة والثلاثين من عمرها، توفيت وأصيب معها ثلاثة أشخاص في جنوب مرفأ كوفس ليلة البارحة عندما اصطدمت سيارة المرأة من نوع تويوتا كورولا بسيارة أخرى جاءت من الاتجاه المعاكس على طريق المحيط الهادئ السريع.

السائقة البريطانية إيزابيل هيرش، ماتت في الحادث قبل الساعة التاسعة مساءً. كانت وحدها في تلك السيارة.

ووفق ما قالته رفيقة سكنها، نورا سييد، كانت إيزابيل تقود سيارتها من بريسبان عائدة إلى خليج بايرون، لتحضر حفلة عيد ميلاد نورا. كانت إيزابيل قد بدأت العمل قبل وقت قصير في جولات مراقبة الحيتان في خليج بايرون.

«أنا محطمة تمامًا» قالت نورا. «لقد جئنا إلى أستراليا معًا قبل أقل من شهر، وكانت إيزابيل تخطط للبقاء هنا لأطول وقت ممكن. لقد كانت طاقة مشعة من الحياة ولا أستطيع تخيّل العالم دونها. لقد كانت متشوّقة للعمل مع الحيتان. إنه أمر محزن ولا يمكن استيعابه.»

الركّاب في السيارة الثانية جميعهم تعرّضوا للإصابة، وتم نقل سائقها -كريس ديل- باستخدام طائرة مروحيّة إلى مستشفى بارينغا.

شرطة جنوب ويلز تطلب من شهود العيان التواصل مع القسم للمساعدة في الإجابة عن أسئلتهم بشأن الحادث.

«يا إلهي» همست نورا لنفسها، وشعرت بالدوار. «أوه، إيزي.»

كانت تعرف أن إيزي لم تكن قد ماتت في جميع حيواتها الأخرى. أو أغلبها، ولكنها ماتت في هذه الحياة، وكان حزن نورا حقيقيًا. كان حزنها مألوفًا ومخيفًا ومحاطًا بالذنب.

وقبل أن تتمكن من استيعاب ما قرأته، رنّ هاتفها. كان اتصالًا من «العمل.»

سمعت صوتًا بطيئًا لرجل. «أين أنتِ؟»

«ماذا؟»

«كان عليكِ الحضور للعمل قبل نصف ساعة.»

«أين؟»

«في محطة العبّارة. أنتِ بائعة التذاكر. هذا الرقم صحيح، أليس كذلك؟ هذه نورا سييد؟»

«هذه إحداهن» تنهّدت نورا، ثم تلاشت ببطء.

حوض أسماك

أمينة المكتبة الذكية كانت مشغولة بلعب الشطرنج ولم تلتفت عند وصول نورا.

«كانت حياة كارثيّة.»

ابتسمت السيدة إلم بسخرية. «هذا دليل واضح.»

«على ماذا؟»

«على أن بإمكانك التحكم في قراراتك وليس في نتائجها، ولكني متمسكة بما قلته، لقد كان قرارك صائبًا لكن نتيجته لم تكن سعيدة.»

تفحّصت نورا وجه السيدة إلم. هل هي مستمتعة بما يحدث؟

«لماذا بقيت؟» سألت نورا. «لماذا لم أعد إلى وطني بعد أن ماتت؟»

هزّت السيدة إلم كتفيها. «لقد كنتِ محاصرة. كنتِ تشعرين بالحزن والاكتئاب. وأنتِ تعرفين معنى الاكتئاب.»

فهمت نورا معنى هذا. وتذكرت دراسة قرأتها في مكان ما عن الأسماك. الأسماك تشبه البشر.

يمكن للأسماك أن تشعر بالاكتئاب. أجريت تجربة علمية على أسماك الدانيو المخططة بوضعها في حوض أسماك ورسم خط أفقي على جانب الحوض عند منتصف ارتفاعه. بقيت الأسماك المكتئبة أسفل الخط. وبعد إعطاء تلك الأسماك جرعات من دواء پروزاك، تمكنت الأسماك من السباحة فوق الخط وكأنها لم تكن مكتئبة.

تصاب الأسماك بالاكتئاب عند افتقادها للتحفيز، عند افتقادها *لكل شيء*، عند عومها في حوض لا معنى له على الإطلاق.

ربما كانت أستراليا عبارة عن حوض نورا، عند وفاة إيزي. ربما لم تجد أي سبب أو دافع للسباحة فوق الخط. وربما لم تساعدها الأدوية على النهوض مجددا، ولذلك ستبقى في تلك الشقة مع جوجو، ولن تتحرك حتى يتم ترحيلها من البلاد.

ربما كانت محاولة الانتحار صعبة عليها لأنها لم تستطع الحركة. ربما كانت عائمة في بعض الحيوات دون أن تتغيّر. ربما كانت هذه معظم حيواتها.

«نعم» قالت نورا. «ربما كنت عالقة. ربما كنت عالقة في كل حيواتي. أقصد، ربما أنها طبيعتي. نجمة البحر تظل نجمة بحر مهما اختلفت حيواتها. لا يمكن لها التحوّل إلى بروفسور في هندسة الطيران. وربما لا توجد حياة أتمكن فيها من التغيّر.»

«أظن أنكِ مخطئة.»

«حسنًا إذن. أريد تجربة حياة لا أعلق فيها. أي حياة ستكون؟»

«أليس من المفترض بك إخباري؟»

حرّكت السيدة إلم قطعة الملكة لتأخذ بيدقًا، ثم أدارت الرقعة.

«أخشى أنني مجرد أمينة مكتبة.»

«أمينة المكتبة تملك المعرفة: يمكنها أن تدل الزائرين على الكتب المناسبة. العوالم المناسبة. بإمكانها العثور على أفضل الأماكن. تمامًا كمحرك بحث متطوّر الروح.»

«بالضبط، ولكن عليك أيضًا معرفة ما تحبين. لتتمكني من وضع كلمات في محرّك البحث المجازي. وأحيانًا عليكِ تجربة

عدة كلمات قبل الوصول إلى النتيجة المطلوبة.»

«لا أستطيع التحمّل. لا أظنني قادرة على فعل هذا.»

«الطريقة الوحيدة للتعلّم تمر عبر الحياة.»

«نعم. ما زلت ترددين هذه العبارة.»

زفرت نورا بثقل. لم تكن تعرف أنها قادرة على التنفّس في المكتبة. شعرت بجسدها. شعرت به كعادتها. ولم يكن هذا المكان عاديًا. ولم تكن ذاتها الفيزيائية هنا، لأنها كانت في مكان آخر. تقف على الأرض، وكأن الجاذبيّة ما زالت موجودة.

«حسنًا» قالت. «أريد حياة أكون ناجحة فيها.»

استنكرت السيدة إلم طلبها. «على الرغم من كل الكتب التي قرأتِها إلا أنكِ تفشلين في اختيار كلمات محددة.»

«عفوًا؟»

«النجاح. ما معناه بالنسبة إليك؟ المال؟»

«لا. ربما، ولكنه ليس الخاصية المعرّفة للنجاح.»

«ما النجاح بالنسبة إليكِ إذن؟»

لم تكن لدى نورا أدنى فكرة عن معنى النجاح بالنسبة إليها. شعرت بأنها فاشلة لفترة طويلة من الزمن.

ابتسمت السيدة إلم بصبر. «هل تريدين فتح *كتاب الندم* مرة أخرى؟ هل تريدين التفكير في تلك القرارات الخاطئة التي منعتك من الوصول إلى النجاح حسب مفهومك؟»

هزّت نورا رأسها بالنفي سريعًا، وكأنها كلب يهزّ رأسه للتخلّص من البلل. لم ترد أن تواجه تلك القائمة الطويلة من الحسرات والمنعطفات الخاطئة من جديد. لقد كانت مكتئبة بما يكفي.

بالإضافة إلى أنها تعرف الندم. الندم لا يغادر. ولم يكن مجرد لسعة بعوضة. بل حكّة أبديّة.

«لا، هذا غير صحيح» قالت السيدة إلم وهي تقرأ أفكارها. «لم تندمي على ما حدث مع قطك. ولا على ذهابك إلى أستراليا مع إيزي.»

هزّت نورا رأسها. كانت السيدة إلم محقّة.

فكّرت في السباحة في مسبح شاطئ برونتي. كان شعورًا رائعًا، مألوفًا بشكل غريب.

«منذ طفولتك وعائلتك تشجعك على السباحة» قالت السيدة إلم.

«نعم.»

«كان والدك سعيدًا دائمًا عند أخذك للمسبح.»

«كان أحد الأشياء القليلة التي جعلته يشعر بالسعادة» قالت نورا.

ربطت نورا بين السباحة وبين رضا والدها واستمتعت بصمت بقائها في المسبح لأنه كان الضد لصراخ والديها المستمر وشجارهما في المنزل.

«عند فوزي ببطولات السباحة، أصبحت معروفة ولم أكن أريد ذلك. كان الجميع يراني بزي السباحة وأنا في سن المراهقة، تلك المرحلة التي لم أشعر بالارتياح فيها تجاه جسدي. قال أحدهم أن لي كتفي صبي. كان تعليقًا غبيًا، ولكنني تلقيت الكثير من التعليقات الغبية التي جرحتني في ذلك السن. كنت أتمنى لو كنت خفيّة. كانوا ينادونني «السمكة.» لم يكن هذا إطراءً. لقد

كنت خجولة. ولهذا كنت آتي إلى المكتبة بدلًا من البقاء في ساحة المدرسة. بدا أمرًا بسيطًا، ولكنه ساعدني بشكل كبير، وجودي في المكتبة.»

«لا تقلّلي من القيمة الكبرى للأشياء الصغيرة» قالت السيدة إلم. «عليكِ دائمًا تذكّر هذا.»

فكّرت نورا. مزيج مراهقتها المكوّن من الخجل والظهور تسبّب بالمشكلات، ولكنها لم تتعرّض للتنمّر، ربما لأن الجميع كان يعرف أخاها جو، الذي لم يكن عنيفًا في المدرسة، ولكنه كان محبوبًا ومشهورًا لدرجة منحت نورا حصانة ضد التعرض للأذى في ساحة المدرسة.

فازت ببطولات سباحة محلية ووطنيّة، ولكن عند وصولها إلى سن الخامسة عشرة كان الأمر صعبًا عليها. السباحة بشكل يومي، مسافة بعد مسافة بعد مسافة.

«كان عليّ الانسحاب.»

هزّت السيدة إلم رأسها. «وعلاقتك بوالدك توتّرت بعد ذلك وأوشكت على الانقطاع تمامًا.»

«نعم.»

تخيّلت وجه والدها، في السيارة، من وراء زجاج النافذة والمطر يتساقط صباح يوم أحد خارج مركز بدفورد، عندما أخبرته أنها لم ترد المشاركة في بطولات السباحة القادمة. نظرة الخذلان والإحباط العميق.

«ولكن بإمكانك النجاح في حياتك» قال لها. نعم. تذكّرت الآن. «لن تصبحي نجمة غناء، ولكنك قد تنجحين في السباحة. إنها

فرصتك. إن استمررتِ بالتمرين، ستصلين إلى الأولمبياد. أنا متأكد من هذا.»

غضبت نورا عند سماعها كلماته. وكأن طريق السعادة نحيل ووحيد وهو الطريق الذي اختاره لها. وكأن كل قراراتها في حياتها ستصبح خاطئة تلقائيًا.

ولكن الأمر الذي لم تقدّره نورا في مراهقتها إلى أيّ درجة بإمكان الندم أن يؤلم صاحبه، وإلى أيّ درجة شعر والدها بالألم لاقترابه الشديد من تحقيق حلم كاد يلمسه.

صحيح أن والد نورا كان رجلًا صعب المعشر.

بالإضافة إلى أنه كان يُكثر من انتقاد ما تفعله نورا وما تريده وما تؤمن به، إلا إن كان متعلقًا بالسباحة، شعرت نورا بأنها ترتكب جريمة خفيّة كل مرة تقترب فيها من والدها. منذ أن تعرض لإصابة في الرباط وتوقف عن مسيرته في رياضة الرغبي، وهو يشعر بأن الكون بأكمله يقف ضده. وشعرت نورا أنه كان يعتبرها جزءًا من الخطة الكونيّة ذاتها. منذ اللحظة التي تحدثت فيها معه بصراحة عن رغبتها في التوقف عن السباحة وهي تشعر بأنها مجرد امتداد لألم ركبته اليسرى. كجرح يمشي على قدمين.

ولكن ربما كان والدها يعرف أن هذا سيحدث، وأن الندم يؤدي إلى ندم أكبر، حتى يتحوّل إلى كتاب كامل.

«حسنًا، سيدة إلم. أريد أن أعرف ما سيحدث في الحياة التي أطعت فيها والدي. وتدرّبت على السباحة باستمرار. دون أن أشتكي عند الاستيقاظ عند الساعة الخامسة صباحًا، أو عند الانتهاء من التدريب عند التاسعة مساءً. في الحياة التي أسبح

فيها كل يوم دون التفكير في التوقف. دون الانشغال بالموسيقى أو الكتابة. في الحياة التي أضحي فيها بكل شيء على ضريح السباحة الحرة. في الحياة التي لا أستسلم فيها وأفعل فيها كل ما يلزم للوصول إلى الأولمبياد. خذيني إلى تلك الحياة.»

للحظة، بدا وكأن السيدة إلم لم تنتبه لخطاب نورا المصغّر، لأنها كانت مشغولة بالنظر إلى رقعة الشطرنج في محاولة للانتصار على نفسها.

«القلعة قطعتي المفضلة» قالت. «إنها القطعة التي تعتقدين أنها واضحة الاحتمالات فتتجاهلينها. منشغلة بمراقبة الملكة، الأحصنة، والفيل لأنها القطع المخادعة. ولكن القلعة تتسبب في هزيمتك في نهاية الأمر. المباشرة والوضوح بإمكانهما الانتصار أيضًا.»

أدركت نورا أن السيدة إلم قد لا تكون تتحدث عن الشطرنج. ولكن الرفوف بدأت بالتحرّك. بسرعة القطارات.

«هذه الحياة التي طلبتِها» قالت السيدة إلم، «أبعد بقليل من حياة الحانة والمغامرة الأستراليّة. هذه الحياة تحتوي على العديد من القرارات المختلفة، لمدة زمنيّة أطول. ولهذا فإن الكتاب أبعد بعض الشيء، هل فهمتِ؟»

«نعم.»

«لكل مكتبة نظام.»

بدأت الكتب بالتحرّك ببطء. «آه، وصل الكتاب.»

هذه المرة لم تقف السيدة إلم، بل رفعت يدها اليسرى وطار الكتاب نحوها.

«كيف تمكنتِ من فعل هذا؟»

«لا أعرف. والآن، هذه هي الحياة التي طلبتها. انطلقي.»

أخذت نورا الكتاب. كان أخضر اللون، فاتحًا كالليمون. فتحت الصفحة الأولى. وهذه المرة كانت واعية بانعدام الشعور بشكل كامل.

آخر منشور كتبته نورا قبل أن تجد نفسها بين الحياة والموت

أشتاق إلى قطّي. أنا منهكة.

حياة النجاح

كانت نائمة.

نوم عميق، خالٍ من الأحلام، لا شيء، والآن -بفضل رنين منبّه هاتفها- استيقظت ولم تكن تعرف أين هي.

الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحًا في هاتفها. عثرت على مفتاح الضوء قرب السرير بفضل ضوء الهاتف. أشعلت المصباح لتجد نفسها في غرفة فارهة في فندق فخم.

على الجدار رأت لوحة شبه تجريدية كلوحات سيزان لتفّاحة، أو ربما كمثرى.

هنالك قارورة زجاجية أسطوانيّة الشكل نصف ممتلئة بالماء قرب السرير. وعلبة بسكويت مغلقة. عدة أوراق مطبوعة. جدول زمني.

نظرت إلى الجدول.

مسار رحلة نورا سيد، الضيفة المتحدّثة،

مركز أبحاث غوليڤر إلهام للنجاح

مؤتمر الربيع

8.45 صباحًا: اجتماع مع پريا نافولوري (مركز أبحاث غوليڤر) وروري لونغفورد (سليبرتي سپيكرز) وجاي في ردهة فندق إنتركونتينتال.

9.00 صباحًا: تفقّد الصوتيات.

9.05 صباحًا: تفقّد الأجهزة.

9.30 صباحًا: على نورا الانتظار في قاعة كبار الشخصيات أو مشاهدة المتحدث الأول في القاعة الرئيسية (جاي پي بلايث، مبتكرة تطبيق MeTime وصاحبة كتاب «حياتك، شروطك»)

10.15 صباحًا: حديث مع نورا

10.45 صباحًا: أسئلة الحضور

11.00 صباحًا: لقاء الجمهور

11.30 صباحًا: الختام

نورا سيد. حاملة رتبة الإمبراطورية البريطانيّة.

نجاح ملهم.

كانت هذه حياةً تمكنت نورا من تحقيق النجاح فيها. كان هذا رائعًا.

تساءلت عن جاي وبقية الأشخاص الذين ستلتقيهم في قاعة كبار الشخصيات، ثم وضعت الورقة جانبًا ونهضت من السرير. كان لديها الكثير من الوقت. لماذا استيقظت إذن عند السادسة والنصف صباحًا؟ ربما اعتادت السباحة كل صباح. هذا أمر منطقي. ضغطت على زر الستائر لتُفتح ولها صوت طنين منخفض وينكشف مشهد من الماء وناطحات السحاب وقبّة صالة O_2. لم يسبق لها آن رأت هذا المنظر من هذه الزاوية من قبل. لندن. كناري وارف. في الدور العشرين.

ذهبت إلى دورة المياه -بلاط بيجي اللون، زاوية استحمام كبيرة، مناشف بيضاء ريشيّة- وأدركت أنها لا تشعر بالسوء ذاته

الذي كان يسيطر على صباحاتها. كانت هنالك مرآة على الجانب المقابل للجدار. نظرت إلى نفسها ثم ضحكت. كان جسدها قويًا ووزنها مثاليًا، إلا أن ذوقها في ملابس النوم كان مريعًا في هذه الحياة (بيجامة، صفراء وخضراء، منقوشة).

كانت دورة المياه كبيرة بما يكفي للنزول وممارسة تمارين الضغط. تمكّنت من إنهاء عشر عدّات كاملة -دون الاستناد على ركبها- دون أن تلهث حتى.

ثم أخذت وضعية لوح الخشب (پلانك)، وحاولتها بيد واحدة، ثم الثانية، ولم ترتجف. ثم قامت ببعض تمارين القفز والضغط (بربيز).

لم تواجه أيّ صعوبة فيها.

واو.

وقفت لتضع يدها على عضلات بطنها الصلبة. وتذكّرت كم كانت تعاني في حياتها الأصليّة عند المشي في طريق مرتفع.

لم تشعر بهذه القوّة منذ أن كانت في مرحلة المراهقة. وربما كانت هذه أقوى نسخة منها على الإطلاق.

بحثت على فيسبوك عن اسم صديقتها «إيزابيل هيرش» لتجد أنها ما زالت حيّة في أستراليا، فشعرت بالسعادة. لم تكترث لحقيقة أن إيزي لم تعد صديقتها على فيسبوك، لأنه من المحتمل جدًا أن نورا لم تلتحق بجامعة بريستول في هذه الحياة. وحتى لو التحقت بها، فاحتمال اجتماعها بإيزي في القاعة ذاتها ضئيل جدًا. شعرت نورا بضآلة تأثيرها على إيزي عندما أدركت أنه على الرغم من عدم التقاء إيزابيل هيرش بنورا سيبيد في هذه

الحياة فإنها ذهبت إلى أستراليا، تمامًا كما فعلت في حياة نورا الأصلية.

تفقّدت أيضًا حياة دان لتجد أنه متزوج من مدرّبة درّاجة تُدعى جينا. «جينا لورد.» عقدا حفل زفافهما في صقلية.

ثم بحثت نورا عن اسمها «نورا سيد.»

كان لديها صفحة خاصة على ويكيبيديا! علمت منها أنها تمكنت من الوصول إلى الأولمبياد. مرتين. وأنها تميزت في السباحة الحرّة. فازت بالميدالية الذهبية لمسافة 800 متر في وقت قياسي وصل إلى ثماني دقائق وخمس ثوانٍ، وفازت أيضًا بميدالية فضيّة لمسافة 400 متر.

حققت هاتين الميداليتين عندما كانت في الثانية والعشرين من عمرها، ثم حققت ميدالية فضية أخرى في سن السادسة والعشرين، ثم تفاجأت عندما عرفت أنها كانت صاحبة الرقم القياسي في السباحة الحرّة للنساء لمسافة 400 متر عندما شاركت في بطولة العالم المائية، وانتهى بها الأمر بعد ذلك للتقاعد من المنافسات الدوليّة.

تقاعدت في سن الثامنة والعشرين.

ويبدو أنها الآن تعمل في قناة بي بي سي لتغطية فعاليات السباحة العالمية، وقد ظهرت في برنامج تلفزيوني يُدعى A Question of Sport، وكتبت سيرتها الذاتية في كتاب بعنوان *الغرق أو السباحة*، وعملت كمساعدة مدرب للفريق البريطاني للسباحة، وكانت تسبح لمدة ساعتين يوميًا.

تبرّعت بالكثير من الأموال لمنظمات خيريّة -خاصة مركز

ماري كوري للسرطان- ونظّمت فعاليّات سباحة خيرية لجمع التبرعات قرب رصيف برايتون لصالح جمعية حماية البيئة البحرية، ومنذ تقاعدها كانت قد سبحت عبر القناة المائية مرتين.

وجدت رابطًا لحديثها على منصة TED عن أهمية الصمود في الرياضة، والتمرين، والحياة. حصل الفيديو على أكثر من مليون مشاهدة. وعندما بدأت بمشاهدته، شعرت وكأنها تشاهد شخصًا آخر. كانت هذه المرأة واثقة من نفسها، مسيطرة على المسرح، وقفت بشموخ، ابتسمت بشكل تلقائي، وتمكّنت من إضحاك الجمهور ودفعه إلى التصفيق والتفاعل في اللحظات الصحيحة.

لم تتخيّل أنها قادرة على فعل كل هذا، وحاولت حفظ كل ما قامت به نورا في هذا الفيديو، ولكنها أدركت عدم قدرتها على مجاراتها أبدًا.

«أولئك الذين يملكون الصلابة والقدرة على التحمّل هم بشر مثلنا» قالت في حديثها. «الفرق الوحيد الذي يميّزهم هو امتلاكهم هدفًا واضحًا في مخيلتهم، وإصرارهم الكامل على تحقيق هذا الهدف. الصلابة تعني التركيز في حياة مليئة بالملهيات. إنها القدرة على الالتزام بتنفيذ مهمة واحدة عند وصول جسدك وعقلك إلى حدود طاقتهما، إنها القدرة على خفض رأسك والسباحة في مسارك، دون النظر من حولك، دون القلق بشأن منافسيك...»

يا إلهي، مَن هذه المرأة؟

انتقلت نورا إلى نهاية الڤيديو، لتجد أنها ما زالت تتحدث بثقة القديسة جان دارك.

«إن حاولت الوصول إلى ذات غير ذاتك، فسوف تفشل حتمًا. حاول الوصول إليك، حاول النظر والتصرف والتفكير كذاتك، حاول أن تصبح أصدق نسخة من ذاتك، احتضن ذاتك، ادعمها، قع في حبها، اعمل على تحسينها ولا تشكّك فيها إن سخر الآخرون بها. النميمة تنبع من الغيرة. اخفض رأسك. حافظ على صلابتك، واستمر بالسباحة...»

«بالسباحة» رددت نورا، وكأنها صدى ذاتها الأخرى وتساءلت إن كان في الفندق مسبح يمكنها الذهاب إليه.

اختفى الڤيديو وبعد ثانية واحدة بدأ هاتفها يرنّ.

ظهر اسم المتصلة على شاشتها. «ناديا.»

لم تكن تعرف أحدًا بهذا الاسم في حياتها الأصليّة. لم تعرف إن كان هذا الاتصال يدعو للسعادة أم للقلق.

هنالك طريقة واحدة للتأكد.

«أهلًا؟»

«عزيزتي» كان صوتًا لم يسبق لها سماعه من قبل، شعرت بقربه ولم تشعر بدفئه. كانت لغة ناديا الإنجليزية توحي أنها من بلد آخر. ربما كانت روسيّة. «أتمنى أنكِ بخير.»

«أهلًا ناديا. شكرًا. أنا بخير. ما زلت في الفندق. إنني أستعد للمؤتمر.»

«أوه نعم، المؤتمر. 15 ألف جنيه مقابل حديث واحد. صفقة ممتازة.»

كان مبلغًا هائلًا. ولكن، كيف عرفت ناديا بتفاصيله.

«أوه نعم.»

«جو أخبرني.»

«جو؟»

«نعم. اسمعي، أريد الحديث معك لاحقًا عن عيد ميلاد والدك.»

«ماذا؟»

«أعرف أنه يتمنى منك المجيء لزيارتنا.»

اكتسح البرد والضعف جسدها فجأة، وكأنها قد تحوّلت إلى شبح.

تذكّرت جنازة والدها، احتضان أخيها وقد انهمرا بالبكاء معًا.

«أبي؟»

أبي. أبي المتوفى.

«لقد جاء للتو من الحديقة. هل تريدين الحديث معه؟»

كانت هذه لحظة مذهلة، محطمة لكل ما تعرفه نورا عن عالمها، لدرجة أنها لم تستطع الرد بنبرة صوت مناسبة.

«ماذا؟»

«أتريدين الحديث مع والدك؟»

استغرقها الأمر لحظات. شعرت بفقدان توازنها.

«أنا ---»

لم تستطع إخراج الكلمات أو التنفّس. شعرت بأنها في عالم خيالي أشبه بالسفر عبر الزمن، كأنها سقطت بين عقدين من الزمن.

تأخرت نورا في الرد. تأخرت ولم يعد الأمر بيدها لأن ناديا استمرت بالحديث وقالت: «تحدثي مع والدك...»

أوشكت نورا على إنهاء المكالمة. ربما كان عليها فعل ذلك. ولكنها لم تنهها. بعد أن أدركت وجود فرصة أخرى للحديث معه، احتاجت لسماع صوته من جديد.

سمعت نَفَسه الأوّل.

ثم: «أهلًا نورا، كيف حالك؟»

بهذه البساطة. سألها عن حالها بطريقة اعتيادية يومية. سمعته بصوته القوي ذاته، ولكنه أصبح أكثر نحلًا وضعفًا الآن بعد أن مرّت عليه خمس عشرة سنة إضافيّة.

«أبي» قالت. كان صوتها همسًا. «هذا أنت.»

«هل أنتِ بخير، نورا؟ أهنالك مشكلة في الاتصال؟ هل تريدين استخدام فيس تايم؟»

فيس تايم. لترى وجهه. لا. سيكون هذا كثيرًا عليها. صوته ثقيل بما يكفي. مجرد التفكير في وجود نسخة من والدها في عالم قد اختُرع فيه تطبيق فيس تايم. والدها ينتمي إلى عالم الخطوط الأرضيّة عندما توفي في حياتها الأصليّة، كان يعاني عند استخدام اختراعات بدائية كالبريد الإلكتروني والرسائل النصيّة.

«لا» قالت. «إنني مشغولة البال. أشعر بالتشتت اليوم. آسفة. كيف حالك؟»

«بخير. أخذنا سالي إلى الطبيب البيطري بالأمس.»

افترضت نورا أن سالي اسم كلبتهم. لم يسبق لوالديها اقتناء

كلب من قبل، أو أيّ حيوان أليف. توسّلت نورا إليهما لسنوات عندما كانت طفلة لاقتناء كلب أو قطة، إلا أن والدها رفض الفكرة تمامًا.

«هل سالي بخير؟» سألت نورا في محاولة للتظاهر بأنها عادت إلى طبيعتها.

«التهاب أذنيها عاد من جديد.»

«أوه صحيح» قالت، وكأنها تعرف سالي وتعرف مشكلات أذنيها. «سالي المسكينة. أنا... أنا أحبك يا أبي. وأردت فقط قول ذلك ---»

«هل أنتِ بخير، نورا؟ يبدو أنكِ... حسّاسة اليوم.»

«لم يسبق لي إخبارك... أقصد أنني لا أخبرك بحبي لك. أردتك أن تعرف هذا فقط. أنت أب رائع. في حياة أخرى - الحياة التي تركت فيها السباحة - ندمت كثيرًا لعدم قدرتي على الحديث معك.»

«نورا؟»

شعرت بالإحراج منه، ولكنها لم تستطع منع نفسها من طرح الأسئلة. وانطلقت الأسئلة من فمها كالماء المتدفق من نبع حار.

«هل أنتَ بخير؟»

«لمَ لا أكون بخير؟»

«كنت تعاني في السابق من آلام في الصدر.»

«لم أشعر بأي ألم في صدري منذ أن بدأت بالاهتمام بصحتي منذ سنوات عديدة، هل تتذكرين؟ عندما غيّرت من عاداتي الصحيّة؟ صحبة الأبطال الأولمبيين لها أثر فيك. عدت للياقة

لم أعرفها منذ سنوات لعبي للرغبي. لم أشرب الكحول منذ ستة عشر عامًا. انخفض الكولسترول وضغط الدم لدي، هكذا قال الأطباء.»

«نعم، بالتأكيد... أتذكر كل هذا.» ثم باغتها سؤال آخر. ولكن لم تعرف كيفية طرحه. فسألته بشكل مباشر.

«منذ متى وأنت على علاقة بناديا؟»

«هل تعانين من مشكلة في الذاكرة اليوم؟»

«لا. ممم، نعم، ربما. بدأت بتأمل الحياة مؤخرًا، ودفعني هذا لطرح بعض الأسئلة.»

«هل أنتِ فيلسوفة الآن؟»

«لقد درست الفلسفة.»

«متى؟»

«لا عليك. أخبرني بقصة التقائك بناديا.»

سمعت صوت تنهيدة غريبة. بدا والدها منزعجًا. «أنتِ تعرفين كيف التقينا... لماذا تعيدين فتح هذه الملفات؟ هل طلب منك طبيبك النفسي سؤالي عن هذا؟»

لدي طبيب نفسي.

«آسفة يا أبي.»

«لا عليكِ.»

«أريد فقط التأكد أنك سعيد.»

«بالتأكيد أنا سعيد. ابنتي بطلة أولمبيّة وزوجتي حب حياتي. وها أنتِ تعودين إلى الحياة من جديد. ذهنيًا، أقصد. بعد ما حدث في البرتغال.»

أرادت نورا أن تعرف ما حدث في البرتغال ولكن كان لديها سؤال أهم.

«ماذا عن أمي؟ ألم تكن هي حب حياتك؟»

«كانت في السابق، ولكن الأشياء تغيّرت. أنتِ امرأة كبيرة الآن يا نورا وتفهمين هذا.»

«أنا...»

وضعت نورا المكالمة على مكبر الصوت. عادت إلى صفحتها على ويكيبيديا. قرأت أن والديها تطلقا بعد أن خان والدها أمها مع ناديا ڤانكو، والدة السبّاح الأوكراني، ييغور ڤانكو، وفي هذه الحياة كانت أمها قد توفيت سنة 2011.

وكل هذا حدث لأن نورا لم تخبر والدها في بدفورد بأنها لا تريد الاستمرار في السباحة.

شعرت بذلك الشعور المألوف مجددًا وكأنها تختفي تدريجيًا، وكأنها عرفت أن هذه الحياة لا تناسبها ولذلك بدأت بالتلاشي والعودة إلى المكتبة. ودّعت والدها، أنهت المكالمة واستمرت بالقراءة وحدها.

كانت عزباء، رغم علاقتها السابقة مع الغطّاس الأمريكي الفائز بعدة ميداليات أولمبيّة سكوت ريتشاردز لثلاث سنوات، ورغم عيشها معه في كاليفورنيا، كانا يعيشان في لا هويا سان دييغو. أما الآن فهي تعيش في غرب مدينة لندن.

بعد انتهائها من قراءة الصفحة كاملة قررت الذهاب للبحث عن مسبح في الفندق. أرادت التصرّف كذاتها في هذه الحياة، أرادت السباحة. ربما يساعدها الماء على اختيار الكلمات الصحيحة.

كانت سباحتها في المسبح استثنائيّة، شعرت بالإلهام والهدوء بعد تلك المحادثة الغريبة مع والدها الميت. كانت وحدها في المسبح، وانتقلت من أول المسبح إلى آخره مرة بعد مرة دون تفكير. شعرت بطاقة هائلة، طاقة الصحة والقوّة، وكانت لها سيطرة كاملة على الماء، حتى أنها نسيت محادثتها مع والدها للحظات وتوقفت عن القلق بشأن الخطاب الذي ستلقيه عليه في المرة القادمة.

وبينما كانت تسبح، تغيّر مزاجها. فكّرت في السنوات التي كسبها والدها والتي خسرتها والدتها، وشعرت بالغضب تجاه والدها، ليتحوّل غضبها إلى وقود وسرعة في سباحتها. لطالما اعتقدت أن غرور والديها سيمنعهما من الطلاق، وسيجعلهما يحتفظان بغضبهما، لتوجيهه نحو أبنائهما، نورا بالتحديد. ولم يكن لدى نورا سوى السباحة لتحصل على رضا والديها.

هنا، في هذه الحياة، استمرت نورا في مهنتها كسبّاحة لترضي والدها، وضحّت بعلاقاتها، بحبّها للموسيقى، بأحلامها، *بحياتها*. وكافأها والدها بخيانة أمها مع تلك المدعوّة ناديا.

تبًا له. أو على الأقل، تبًا لهذه النسخة منه.

وبينما بدأت السباحة الحرّة، أدركت أنها لم تكن مذنبة في فشل والديها في حبها دون شروط. لم تكن مذنبة في تركيز والدتها على كل عيبٍ فيها، بدءًا من حجم أذنيها. لا. عادت بذاكرتها للحظة أقدم. بدأت المشكلة عندما تجرّأت نورا ووُلدت في وقت كانت فيه علاقة والديها هشة. أصيبت والدتها بالاكتئاب وانغمس والدها في شرب الكحول.

سبحت إلى آخر المسبح لثلاثين مرة، حتى شعرت بالهدوء والحريّة، وحدها والماء.

وعندما خرجت من المسبح وعادت إلى غرفتها، ارتدت الزي الوحيد النظيف في غرفتها (بنطال كحلي وبدلة أنيقة) ثم حدّقت في حقيبتها. شعرت بالوحدة الهائلة تشع منها. وجدت فيها نسخة من كتابها. كانت صورتها على غلافه وهي ترتدي ملابس السباحة الخاصة بالمنتخب البريطاني. أخذت الكتاب ورأت اسمًا قد كُتب بخط صغير: «كُتب بمساعدة أماندا ساندز.»

بعد بحث على الإنترنت، اكتشفت أن أماندا ساندز كاتبة مساعدة للعديد من مشاهير الرياضة.

نظرت إلى ساعتها. حان الوقت للتوجه إلى ردهة الفندق.

وقف بانتظارها شخصان يرتديان ملابس أنيقة، لم تعرفهما. بجانبهما شخص ثالث كانت نورا تعرفه جيدًا. كان يرتدي بدلة أنيقة، حليق الذقن، مرتب الشعر، لكنه جو ذاته. حاجباه غليظان كعادتهما - «هذه جيناتك الإيطاليّة» كما اعتادت أمهما أن تقول.

«جو؟»

كان يبتسم لها ابتسامة أخ حنون.

«صباح الخير يا أختي» قال لها، وتفاجأ من طول مدة حضنها له.

عندما انتهى الحضن، عرّفها على الشخصين الآخرين بجانبه.

«هذه بريا من مركز غوليفر للأبحاث، إنها مسؤولة عن تنظيم المؤتمر، وهذا روري، من *سليبرتي سبيكرز*.»

«أهلًا بريا!» قالت نورا. «أهلًا روري. سعيدة بالتعرّف عليكما.»

«ونحن سعداء أيضًا» قالت بريا.

«تقولين هذا وكأنكِ لم تتحدثي معنا من قبل!» قال روري، بضحكة مرتفعة.

استدركت نورا. «نعم، أعرف أننا التقينا، روري. هذه مزحتي المعتادة. ألا تعرف حس فكاهتي؟»

«لديكِ حس فكاهي؟»

«بالتأكيد روري!»

«حسنًا» قال أخوها، وهو ينظر إليها ويبتسم. «هل تريدين رؤية القاعة؟»

لم تستطع التوقف عن الابتسام. كان هذا أخوها الذي لم تره منذ عامين ولم يسبق لها أن حظيت بعلاقة طيبة معه، بدا سعيدًا وناجحًا، ومحبًا لها. «القاعة؟»

«نعم. حيث ستلقين كلمتك.»

«كل شيء جاهز» قالت بريا.

«إنها قاعة ضخمة» أضاف روري، بينما كان يحمل كوبًا ورقيًا مليئًا بالقهوة.

وافقت نورا على الذهاب لرؤية القاعة، وتم أخذها إلى قاعة عملاقة زرقاء بمسرح عريض أمامه ألف كرسي خالٍ. اتجه نحوها فنّي الصوتيات مرتديًا زيّه الأسود وسألها: «أي الخيارات تفضلين؟ مكبّر صوت مثبّت في بدلتك، أم سماعات رأس مدمجة، أم مكبّر صوت يدوي؟»

«عفوًا؟»

«ما نوع مكبّر الصوت الذي تريدين استخدامه على المسرح؟»

«سماعات رأس مدمجة» أجاب أخوها نيابة عنها.

«نعم. سماعات رأس» قالت نورا.

«كنت أفكر» قال لها أخوها، «بعد ذلك الكابوس الذي تعرّضنا له بسبب مكبّر الصوت في كارديف.»

«نعم، بالضبط. يا له من كابوس.»

كانت پريا تبتسم لنورا، وتحاول سؤالها. «هل لديك أيّ مواد تريدين عرضها على الشاشة عند حديثك؟»

«أمم، أنا ---»

نظر أخوها وروري إليها، وبدا عليهما القلق. كان من الواضح أن هذا سؤال بديهي ويجب عليها معرفة إجابته.

«لا» قالت نورا، ثم رأت ملامح أخيها، «لا... لا يوجد لدي أيّ مواد للعرض.»

نظر الجميع إليها وكأنها اختارت الإجابة الخاطئة إلا أنها استمرت في الابتسام.

بعد عشر دقائق كانت نورا تجلس مع أخيها في «صالة كبار الشخصيات»، والتي كانت مجرد غرفة صغيرة مخنوقة تحتوي على عدد من المقاعد وطاولة وُضعت عليها صحف اليوم. عدد من الرجال أصحاب البدل الفاخرة كانوا مشغولين بنقر مفاتيح أجهزتهم المحمولة.

استنتجت نورا أن أخاها يعمل كمدير أعمالها. وأنه يدير أعمالها لسبع سنوات، منذ أن اعتزلت كسبّاحة محترفة.

«هل أنتِ موافقة على كل هذا؟» سألها أخوها، بعد أن جاء وفي يده كوبان من آلة إعداد القهوة. مزّق كيس الشاي وأسقطه في أحد الكوبين بعد أن ملأه بالماء الساخن من آلة القهوة. شاي نعناع.

وضعه أمام نورا.

لم يسبق لها أن شربت شاي نعناع في حياتها. «هل هذا الشاي لي؟»

«نعم. إنه الخيار العشبي الوحيد المتوفّر لديهم.»

كان في يده كوب قهوة لنفسه، تمنّت نورا لو استطاعت شرب القهوة أيضًا. ربما توقّفت عن شرب الكافيين في هذه الحياة.

هل أنتِ موافقة على كل هذا؟

«ماذا تقصد؟» تساءلت نورا.

«الحديث في المؤتمر، اليوم.»

«أوه، امم، نعم. كم مدة الحديث؟»

«40 دقيقة.»

«لا مشكلة.»

«سنحصل على مبلغ مجزٍ. تفاوضت معهم لزيادته بعد أن عرضوا 10 آلاف جنيه.»

«أحسنت.»

«نصيبي 20 بالمئة من المبلغ. لم أقم بعمل إنساني.»

حاولت نورا أن تكشف ماضيها مع أخيها. كيف يمكن لها اكتشاف سبب قربهما من بعضهما في هذه الحياة. قد يكون المال سبب هذه العلاقة، ولكن أخاها لم يكن طمّاعًا ولم يغره المال من قبل. ونعم، بالتأكيد، من الواضح أنه ما زال غاضبًا بسبب انسحاب نورا من عرض الشركة الموسيقية لأنه كان يرغب في عزف الغيتار في فرقة «المتاهات» طوال حياته ليصبح نجم روك عالمي.

بعد غطس كيس الشاي عدة مرات في الكوب تركته نورا ليسبح في الماء. «هل سبق لك التفكير في احتمالات أخرى لحياتنا؟ ماذا سيحدث لو لم أكمل مسيرتي الأولمبيّة في السباحة؟»

«لم أفكر في هذا.»

«أقصد، ماذا كنت ستفعل لو لم تكن مدير أعمالي؟»

«لدي عملاء آخرون أدير أعمالهم أيضًا.»

«نعم، أعرف هذا.»

«قد لا أنجح في الحصول على أي عملاء دونك لأنكِ كنتِ عميلتي الأولى. ثم عرفتني على كاي، ثم نتالي. ثم إيلاي، إذن...»

هزّت رأسها وكأنها تعرف كاي، نتالي، وإيلاي. «صحيح، ولكن

ربما كنت ستنجح في الوصول إلى هدفك بطريقة أخرى.»

«مَن يعلم؟ ربما كنت سأظل في مانشستر، لا أعرف.»

«مانشستر؟»

«نعم. تذكرين إلى أي درجة أحببت بقائي فيها. أيام الجامعة.»

كان من الصعب التظاهر أن هذا لم يكن مفاجئًا. حقيقة أن أخاها ذهب إلى الجامعة. في حياتها الأصليّة، حاول جو التقديم على جامعة مانشستر لدراسة التاريخ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق الدرجات المطلوبة، ربما لأنه كان مشغولًا بتدخين الحشيش مع رافي كل ليلة. ثم قرر أنه لن يكمل دراسته الجامعيّة أبدًا.

تحدثا لبعض الوقت.

انشغل جو بهاتفه.

لاحظت أن خلفيّة جواله كانت صورة لرجل وسيم، مبتسم لم يسبق لها رؤيته. لاحظت خاتم الزواج في إصبع أخيها وتظاهرت بأن تعبيراتها محايدة.

«كيف وجدت الحياة الزوجيّة؟»

ابتسم جو. كانت ابتسامة صادقة وسعيدة. لم يسبق لها رؤيته يبتسم بهذه الطريقة منذ سنوات. في حياتها الأصلية، لطالما كان حظ جو تعيسًا في الحب. رغم أنها كانت تعرف ميوله منذ مراهقته، إلا أنه لم يكشف عن هذا إلا عندما أصبح في الثانية والعشرين من عمره. ولم يسبق له أن خاض علاقة سعيدة أو جادة. شعرت بالذنب، لأن لحياتها أثرًا هائلًا في تحوير مسار حياة أخيها بشكل جذري.

«أوه، تعرفين إيوان.»

ابتسمت نورا وكأنها تعرف إيوان تمامًا. «نعم، إنه عظيم. أنا سعيدة لأجلكما.»

ضحك. «لقد مرت خمس سنوات على زواجي. تتحدثين وكأنني تزوجت بالأمس.»

«لا، أحيانًا أحب التعبير عن سعادتي. لأنكما محظوظان، واقعان في الحب، وسعيدان.»

«يريد إيوان اقتناء كلب.» ابتسم. «هذا موضوع جدالنا الحالي. أقصد أنني لا أمانع وجود الكلب. ولكني أريد اقتناء كلب ضخم. لا أريد كلبًا من نوع مالتيپوو أو بيشون. أريد ذئبًا.»

تذكّرت نورا ڤولتير. «رفقة الحيوانات جميلة...»

«نعم. هل ما زلت ترغبين في اقتناء كلب؟»

«نعم. أو قط.»

«القطط متمردة» قال جو، كعادة أخيها الذي تعرفه. «الكلاب تحترم البشر.»

«التمرّد أساس الحريّة. والطاعة أصل العبوديّة.»

بدت عليه الحيرة. «من أين جئتِ بهذا الكلام؟ هل هو اقتباس لأحدهم؟»

«نعم. هنري ديڤيد ثورو. فيلسوفي المفضّل.»

«منذ متى وأنتِ تحبين الفلسفة؟»

في هذه الحياة لم تدرس نورا الفلسفة. وبينما كانت ذاتها الأصليّة تقرأ أعمال ثورو، لاو تزو، وسارتر في شقة طلاب قذرة في بريستول، كانت ذاتها الحالية تقف على المسارح الأولمبيّة في بكين. وبغرابة شديدة حزنت نورا على ذاتها التي لم تقع في

حب فلسفة ثورو، أو التأملات الرواقيّة لماركوس أوريليوس، كما حزنت على ذاتها التي لم تحقق أحلامها الأولمبيّة.

«أوه، لا أعرف... لقد قرأت بعض مقولاته على الإنترنت.»

«اه. جميل. سوف أقرأ عنه لاحقًا. بإمكانك استخدام هذه الاقتباسات في حديثك اليوم.»

شعرت نورا بالقلق. «أمم، أفكّر في تجربة شيء جديد اليوم. ربما، امم، أرتجل حديثي.»

كان الارتجال أمرًا تجيده نورا مؤخرًا.

«شاهدت فيلمًا وثائقيًا قبل أيام عن غرينلاند. ذكّرني هذا بهوسك بالقطب الشمالي وصور الدببة القطبيّة في غرفتك.»

«نعم. قالت السيدة إلم إن أفضل طريقة للعمل كمستكشفة في القطب الشمالي تمر بدراسة علم الجليد. وهذا ما أردت دراسته.»

«السيدة إلم» قال جو. «قد سمعت بها من قبل.»

«أمينة مكتبة المدرسة.»

«نعم صحيح. كنتِ تسكنين في تلك المكتبة.»

«تقريبًا.»

«فكّري في الأمر، لو لم تستمري في السباحة لكنتِ الآن في غرينلاند.»

«سفالبارد» قالت.

«عفوًا؟»

«إنها أرخبيل نرويجي. في المحيط المتجمد الشمالي.»

«حسنًا، النرويج إذن. ستكونين في النرويج.»

«ربما. أو ربما سأكون عالقة في بدفورد. عاطلة عن العمل. أعاني كل شهر لدفع أجر الشقة.»

«لا تكوني سخيفة. لطالما كنتِ قادرة على تحقيق أشياء عظيمة.»

ابتسمت بسبب براءة أخيها. «في حيوات أخرى قد لا تتحدث معي من الأساس.»

«غير صحيح.»

«أتمنى ذلك.»

شعر جو بالتوتر، وأراد تغيير المحادثة.

«خمّني مَن رأيت البارحة؟»

هزّت نورا كتفيها، وتمنّت أن يكون شخصًا تعرفه.

«رافي. هل تتذكرين رافي؟»

تذكّرت نورا رؤية رافي في متجر الصحف بالأمس. «أوه نعم. رافي.»

«صادفته في طريقي.»

«في بدفورد؟»

«ماذا! لا. لم أذهب إلى بدفورد منذ سنوات. لا. صادفته في محطة بلاكفرايرز بطريقة عشوائية. لم أره منذ أكثر من عشر سنوات. *على الأقل*. أراد الذهاب إلى حانة. أخبرته بأنني توقفت عن شرب الكحول، واضطررت إلى إخباره بإدماني السابق. وقلت له إنني لم أشرب النبيذ ولم أدخن الحشيش لسنوات طويلة. هزّت نورا رأسها وكأنها تعرف كل هذا. «منذ أن تدهورت حياتي بعد وفاة أمي. أظن أنه تفاجأ من تحوّلي. ولكنه بخير، ويعمل

مصوّرًا الآن، ويعزف الموسيقى في أوقات فراغه. لم يعد ينتج موسيقى الروك، بل يبدو أنه دي جي الآن. هل تتذكرين الفرقة الموسيقية التي كنّا فيها معًا برفقة رافي؟ فرقة المتاهات؟»

كان من السهل عليها التظاهر بعدم التذكّر. «أوه نعم. المتاهات. بالتأكيد. كانت تلك أيامًا رائعة.»

«نعم، أشعر أن رافي يشتاق إلى تلك الأيام. رغم أننا كنا فاشلين ولم نستطع الغناء.»

ماذا عنك؟ هل فكّرت في احتمال نجاح الفرقة؟»

ضحك جو. «لا أعرف إن كان هنالك أيّ احتمالات.»

«ربما كنتَ بحاجة إلى شخص إضافي. عزفتُ في الماضي البيانو الذي ابتاعه أبي وأمي لك.»

«حقًا؟ كيف وجدتِ الوقت لفعل هذا؟»

حياة دون موسيقى. حياة دون قراءة الكتب التي أحبّتها.

ولكن: حياة أصبحت فيها علاقتها بأخيها قويّة. حياة لم تخيّب فيها ظنّه.

«على كل حال، رافي يريد إلقاء التحيّة علينا والحديث معنا. يقع مقر عمله بالقرب منّا. لذلك سيحاول المجيء لاحقًا للجلوس معنا.»

«ماذا؟ أوه. أفضّل ألّا يأتي.»

«لماذا؟»

«لم يرق لي رافي قط.»

حزن جو. «حقًا؟ لم أعرف هذا من قبل... إنه رجل طيّب. كان يسكر أحيانًا في الماضي، ولكنه يحاول السيطرة على حياته

الآن...»

«جو؟»

«نعم.»

«أتعرف... عندما توفيت أمي؟»

«نعم.»

«أين كنتُ؟»

«ماذا تقصدين؟ هل أنتِ بخير اليوم؟ هل أخذتِ أقراصك الجديدة؟»

«أقراص؟»

نظرت إلى حقيبتها بحثًا عنها. وجدت عبوة من مضادات الاكتئاب. غاص قلبها.

«أريد فقط أن أعرف. هل رأيتُ أمي قبل وفاتها؟»

شعر جو بالحزن. لم يستطع أن يقرأ وجه أخته. وحاول الهرب من الواقع كعادته. «تعرفين أنكِ لم تكوني قربها. حدث كل شيء بسرعة فائقة. لم تخبرنا أمي بخطورة مرضها لحمايتنا، أو ربما لأنها لم ترد التوقف عن الشراب.»

«الشراب؟ كانت أمي تشرب؟»

ازداد قلق جو. «أختي، هل فقدتِ ذاكرتك؟ كانت أمي تشرب زجاجة جِن كاملة كل يوم منذ أن دخلت ناديا إلى حياتنا.»

«نعم. بالطبع. أتذكر.»

«بالإضافة إلى انشغالك بالبطولة الأوروبية، ولم ترد أمي صرفك عنها...»

«يا إلهي. كان يجب عليّ البقاء قربها. كان على أحدنا الاعتناء بها، جو.»

تجمّدت تعابير جو فجأة. «لم تكوني قريبة منها قط. لماذا تشعرين فجأة...»

«اقتربت منها. أقصد، كنت سأقترب منها. كنت---»

«بدأت بالقلق عليكِ نورا. إنك تتصرفين بغرابة.»

«نعم، أنا... أنا... نعم، أظن أنك محق... أظن أنها الأقراص...»

تذكّرت أمها، في شهورها الأخيرة وهي تقول: «لا أعرف ماذا كنت سأفعل لولاك.» وربما أخبرت جو بهذا أيضًا. ولكن في هذه الحياة، لم يكن حولها أحد.

ثم دخلت پريا إلى الغرفة. مبتسمة، ومتشبّثة بهاتفها وبعض الأوراق.

قالت: «حان وقت العرض.»

بعد خمس دقائق عادت نورا إلى قاعة المؤتمرات الضخمة في الفندق. شاهد قرابة الألف شخص المتحدثة الأولى وهي تقدم عرضها. صاحبة كتاب *من الصفر إلى البطولة*. الكتاب الذي وضعه دان قرب سريره في حياة أخرى. ولكن نورا لم تستمع لأيّ مما قالته المتحدثة بينما كانت تجلس في الصف الأول. كانت حزينة على أمها، وقلقة بشأن دورها في الحديث، لذلك بدأت بالتقاط الكلمات والعبارات العشوائية التي تسبح في ذهنها كما تسبح قطع الخبز في الحساء. «معلومة لا يعرفها أحد»، «طموح»، «قد تتفاجأ عندما تعرف أن»، «إن استطعت فعلها»، «طرق عنيف.»

كان التنفّس صعبًا في تلك القاعة. تنبعث فيها رائحة المسك والسجاجيد الجديدة.

حاولت الحفاظ على هدوئها.

مالت نحو أخيها وهمست، «لا أظن أنني أستطيع التحدث هنا.»

«ماذا؟»

«أظن أنني أمر بنوبة ذعر.»

نظر إليها مبتسمًا وفي عينيه صرامة تذكّرتها من حياة أخرى، عندما مرّت بنوبة ذعر في إحدى حفلات الفرقة الموسيقية في بدفورد. «ستكونين بخير.»

«لا أظن أنني سأنجح. اختفى كل شيء من أمامي.»

«لا تبالغي في التفكير بالأمر.»

«أشعر بالقلق. لا أستطيع تغيير نوع تفكيري.»

«لا تخذلينا.»

لا تخذلينا.

«ولكن –»

حاولت التفكير في الموسيقى.

خطرت لها نغمة موسيقية. شعرت بالخجل، حتى أمام نفسها، لأن الأغنية التي خطرت لها كانت "Beautiful Sky". أغنية سعيدة مليئة بالأمل لم تتذكرها منذ وقت طويل.

The sky grows dark

The black over blue

Yet the stars still dare

to shine for...

ولكن المرأة التي جلست إلى جانب نورا -يبدو أنها سيدة أعمال في الخمسين من عمرها، ويبدو أنها مصدر رائحة المسك- مالت باتجاه نورا وهمست: «أشعر بالأسف تجاه ما حدث لكِ. في البرتغال...»

«ماذا تقصدين؟»

تبخّر رد المرأة وسط عاصفة من التصفيق في تلك اللحظة.

«ماذا؟» سألت مرة أخرى.

ولكن الوقت قد حان. على نورا الصعود على خشبة المسرح الآن، وجو يدلّها على الطريق.

سمعت صوت أخيها العميق: «الجميع يريد الاستماع إليك. انطلقي.»

اتجهت نحو منصة المسرح باتجاه صورة وجهها العملاق المبتسم والمنتصر، وحول عنقها ميدالية ذهبية.

لطالما كرهت نورا الوقوف ليراقبها الجميع.

«أهلًا» قالت بتوتر، باستخدام مكبّر الصوت. «سعيدة لكوني هنا اليوم...»

حدّق نحوها ألف وجه تقريبًا، في ترقّب.

لم يسبق لها الحديث إلى هذا العدد الكبير من الناس. حتى عندما كانت في فرقة المتاهات، لم يسبق لها الوقوف أمام أكثر من مئة شخص، ولم تكن تتحدث إلا باقتضاب شديد بين الأغاني. عند عملها في متجر نظرية الأوتار، رغم أنها كانت تتحدث مع الزبائن، إلا أنها ظلت صامتة في اجتماعات الموظفين، رغم وجود خمسة أشخاص فقط في الغرفة. وفي الجامعة، بينما كانت إيزي تقدّم العروض والنقاشات بكل سلاسة، كانت نورا تقلق منها وتحضّر لها لأسابيع.

حدّق جو وروري نحو نورا باستغراب.

نورا التي تحدثت في فعالية TED ليست ذاتها نورا التي تقف الآن على المسرح، وشكّت في عدم قدرتها على التحوّل إلى تلك الشخصيّة. ليس دون تحقيق كل تلك الإنجازات.

«أهلًا. اسمي نورا سييد.»

لم تقصد إضحاك الجمهور، ولكنهم ضحكوا. من الواضح أنها لم تكن بحاجة إلى التعريف بنفسها.

«الحياة غريبة» قالت. «كيف نعيشها مرة واحدة. في خط مستقيم. هذه ليست الصورة الكاملة دائمًا. لأن الحياة لا تُعرّف

بالأشياء التي نفعلها فقط، بل بالأشياء التي لا نفعلها أيضًا. وكل لحظة في حياتنا... عبارة عن منعطف.»

لم يتفاعل أحد معها.

«فكّروا في الأمر. فكّروا في الطريقة التي بدأنا بها... كشيء ثابت، كبذرة شجرة زُرعت في التربة، ثم ننمو... ننمو... ننمو... ونتحوّل إلى جذع...»

صمت تام.

«ثم تطوّر الشجرة -الشجرة التي هي حياتنا- أغصانها. فكّروا في كل تلك الأغصان، تنطلق من الجذع في ارتفاعات مختلفة. وفكّروا في كل تلك الأغصان، تتفرع مرة أخرى، في اتجاهات معاكسة. فكّروا في تلك الأغصان وهي تتحوّل إلى أغصان أخرى أصغر منها. وفكّروا في نهايات تلك الأغصان، في أماكن مختلفة، وجميعها بدأت من مكان واحد. الحياة تشبه هذه الشجرة، ولكن بطريقة أكبر. أغصان جديدة تُولد كل ثانية في كل يوم. ومن وجهة نظرنا -من وجهة نظر الجميع- يبدو الأمر مستمرًا. وكأن كل غصن قد سافر في رحلة واحدة فقط. ولكن، هنالك أغصان أخرى، وأيام حاضرة أخرى، حيوات أخرى ستتغيّر لو انطلقنا في اتجاهات مختلفة في حياتنا. هذه شجرة الحياة. ديانات كثيرة وأساطير كثيرة تحدّثت عنها. موجودة في البوذية، اليهودية، والمسيحية. العديد من الفلاسفة والكتّاب تحدّثوا عن استعارات الشجرة أيضًا. اعتبرت سيلڤيا پلاث الوجود عبارة عن شجرة تين وكل حياة ممكنة تستطيع عيشها -حياة الزوجة السعيدة، حياة الشاعرة الناجحة- عبارة عن حبة تين لذيذة، ولكنها لم

تستطع تذوّق كل حبّات التين في الشجرة، لذلك تعفّنت أمامها. قد يقودك الأمر إلى الجنون، إن استغرقت بالتفكير في كل التي لم تعشها.»

«على سبيل المثال، في أغلب حيواتي لا ينتهي بي الأمر لأقف على هذا المسرح وأتحدث معكم عن النجاح... في أغلب حيواتي لست بطلة أولمبيّة.» تذكّرت شيئًا أخبرتها السيدة إلم به في مكتبة منتصف الليل. «تغيير فعل واحد غالبًا ما يتسبّب في تغيير كل شيء. لا يمكن محو الأفعال خلال حياة واحدة، مهما حاولنا...»

كان الجميع يستمع لها. ومن الواضح احتياجهم إلى السيدة إلم في حياتهم.

«الطريق الوحيد للتعلّم يمر بالحياة.»

واستمرت في الحديث عن هذه الفكرة لعشرين دقيقة، وهي تتذكّر أكبر قدر ممكن مما أخبرته بها السيدة إلم، ثم نظرت إلى يديها لترى التماعها أسفل إضاءة المنصّة.

«و... والحقيقة... الحقيقة هي... أن ما نعتقد أنه أكثر الطرق نجاحًا لنا، قد لا يكون كذلك. لأن نظرتنا إلى النجاح متعلّقة بفكرة خارجيّة سخيفة عن الإنجازات – ميداليّة أولمبيّة، زوج مثالي، راتب مرتفع. ونستمر في مطاردة هذه المقاييس. بينما النجاح الحقيقي يكمن في الأشياء التي لا يمكن قياسها، والحياة ليست سباقًا تستطيع الفوز به. في الحقيقة... كل هذا مجرد هراء...»

بدا الانزعاج واضحًا على الجمهور. لم يكن هذا الخطاب المنتظر. مسحت نورا وجوه الحاضرين سريعًا لترى وجهًا واحدًا

مبتسمًا. استغرقها الأمر ثانية واحدة للعثور عليه، لارتدائه قميصًا قطنيًا أزرق اللون وبشعر أقصر مما كان عليه في حياته في بدفورد، أدركت أنه رافي. بدت هذه النسخة من رافي أكثر لطفًا، ولكنها لم تستطع نسيان رافي القديم، الذي غادر متجر الصحف بغضب لأنه لم يملك المال الكافي لشراء مجلة وألقى باللوم على نورا.

«أعرف أنكم كنتم تتوقعون مني خطابًا رنانًا عن النجاح. ولكن الحقيقة تكمن في أن النجاح وهم. كل ما فيه وهم. أقصد، نعم، هنالك صعوبات بإمكاننا تجاوزها. على سبيل المثال، لطالما شعرت بالذعر قبل الصعود إلى المسرح، ولكني أقف أمامكم الآن. انظروا إليّ... على المسرح! وقد أخبرني أحدهم مؤخرًا بأن مشكلتي ليست في الخوف من المسرح، بل في *الخوف من الحياة*. أتفق معه. لأن الحياة مخيفة، وهي مخيفة لأنه لا يهم أيّ غصن تتفرّع له حياتنا، سنظل دائمًا الشجرة المتعفّنة ذاتها. أردت عيش تجارب كثيرة في حياتي. ولكن إن كانت حياتك متعفّنة، فإنها ستستمر في التعفّن مهما فعلت. البلل يتسبب في تعفّن الشجرة بأكملها...»

كان جو يحاول يائسًا أن يشير لها بيده، كي تتوقف عن الحديث.

«على كل حال، كونوا لطفاء مع بعضكم و... كونوا لطفاء وحسب. أشعر بأنني على وشك الاختفاء، لذلك أريد أن أعبّر عن حبّي لأخي جو. أحبك يا أخي، وأحبكم جميعًا في هذه القاعة، وسررت بوجودي هنا.»

واللحظة التي عبّرت فيها عن سرورها لوجودها في القاعة، كانت ذاتها اللحظة التي لم يعد لها وجود فيها على الإطلاق.

خطأ في النظام

وصلت إلى مكتبة منتصف الليل.

وجدت نفسها أبعد عن رفوف الكتب هذه المرة. كانت هذه هي مساحة المكتب المفتوحة التي لمحتها من قبل، في أحد الأروقة الواسعة. كان المكتب مليئًا بالصناديق الإداريّة التي تحتوي على أكوام منثورة من الأوراق، بالإضافة إلى جهاز كمبيوتر.

كان جهاز الكمبيوتر قديمًا أبيض اللون له شكل صندوق. وكأنه جهاز السيدة إلم في مكتبة المدرسة. كانت السيدة إلم مشغولة بإدخال شيء عاجل باستخدام لوحة المفاتيح وهي تحدّق إلى الشاشة بينما وقفت نورا خلفها.

الأضواء العالية -ذاتها المتدلية من الأسلاك- كانت تومض بشدّة.

«كان والدي حيًا بسببي. ولكنه خان والدتي، وتوفّيت قبله، علاقتي بأخي كانت جيدة لأنني لم أخذله، ولكنه لم يتغير، ولم يكن طيبًا معي إلا لأنني ساعدته على جني المال و... و... لم يكن ذلك هو الحلم الأولمبي الذي تخيّلته. لم أتغيّر. وحدث لي أمر مريع في البرتغال. ربما حاولت الانتحار... هل هنالك حيوات أخرى فعلًا أم أن ما يتغيّر هو أثاثها فقط؟»

لم تستمع لها السيدة إلم. لاحظت نورا وجود قلم بلاستيكي برتقالي قديم على المكتب، يشبه القلم الذي كانت نورا تستخدمه في المدرسة.

«سيدة إلم، هل تسمعين؟»

حدث أمر ما.

كان وجه أمينة المكتبة متوترًا وقلقًا. قرأت ما كُتب على الشاشة. «خطأ في النظام.»

«سيدة إلم؟ يوو-هووو! هل بإمكانكِ رؤيتي؟»

لمست كتفها. لتدرك السيدة إلم أخيرًا وجودها.

ظهرت علامات الارتياح فجأة على وجه السيدة إلم بينما كانت تبتعد عن جهاز الكمبيوتر. «أوه نورا، وصلتِ أخيرًا!»

«هل توقعتِ عدم عودتي؟ هل اعتقدتِ أنني سأظل في تلك الحياة؟»

هزّت رأسها دون تحريكه. إن كان هذا ممكنًا. «لا. لم أعتقد ذلك. كان هشًا.»

«ماذا تقصدين؟»

«الانتقال.»

«الانتقال؟»

«من الكتاب إلى المكتبة. *الحياة التي اخترتِ* إلى هنا. يبدو أن هنالك مشكلة. مشكلة متعلقة بالنظام بأكمله. شيء لا أستطيع التحكم به. شيء خارجي.»

«تقصدين، في حياتي الأصليّة؟»

حدّقت مجددًا في الشاشة. «نعم. مكتبة منتصف الليل وُجدت فقط لأنك موجودة. في حياتك الأصلية.»

«هل يعني هذا أنني مت؟»

بدا الغضب واضحًا على السيدة إلم. «من المحتمل. ومن المحتمل أننا وصلنا إلى نهاية الاحتمالات.»

تذكّرت نورا روعة شعور السباحة في المسبح. شعور الحياة. ثم حدث شيء في داخلها. شعور غريب. في معدتها. تحوّل *فيزيائي*. تغيير فيها. سيطرت عليها فكرة الموت فجأة. وفي الوقت نفسه توقّفت الأضواء عن الوميض وأضاءت بإشراق.

صفقت السيدة إلم بيديها وهي تتلقّى معلومة جديدة على شاشة الكمبيوتر.

«أوه، عاد النظام إلى العمل. هذا رائع. اختفى الخلل. بفضلكِ.»

«ماذا؟»

«وفقًا للنظام فإن السبب الجذري للمشكلة في المُضيفة قد تم إصلاحه مؤقتًا. وأنتِ السبب الجذري. أنتِ المُضيفة.» ابتسمت. رمشت نورا، وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها تقف مع السيدة إلم في مكان آخر من المكتبة. بين رفوف الكتب من جديد. لتقفا بصلابة، وغرابة، وجهًا لوجه.

«حسنًا، الآن استقري» قالت السيدة إلم، قبل أن تتنهد بعمق. من الواضح أنها تتحدث مع نفسها.

«ماتت أمي في تواريخ مختلفة في حيوات مختلفة. أريد حياة تعيش فيها أمي. هل لهذه الحياة وجود؟»

التفتت السيدة إلم إلى نورا.

«ربما.»

«رائع.»

«ولكن لا يمكنك الذهاب إليها.»

«لماذا؟»

«لأن هذه المكتبة متعلقة *بقراراتك*. لا يوجد قرار يمكنك اتخاذه لإطالة عمرها. أنا آسفة.»

ومض أحد الأضواء فوق رأس نورا. وظلت بقية أضواء المكتبة ساكنة.

«عليكِ التفكير بطريقة أخرى يا نورا. ما الذي أعجبكِ في تلك الحياة؟»

«السباحة. أحببت السباحة. ولكن لا أظنني سعيدة في تلك الحياة. لا أعرف إن كنت سأصبح سعيدة في أيّ حياة.»

«هل السعادة هدفك؟»

«لا أعرف. أريد أن يكون لحياتي معنى. أريد القيام بشيء مفيد.»

«أردتِ أن تصبحي عالمة جليد منذ أيام المدرسة» تذكرت السيدة إلم.

«نعم.»

«كنتِ تتحدثين عن حلمك. قلتِ لي أنكِ مهتمة بالحياة في القطب الشمالي، لذلك اقترحت عليك أن تصبحي عالمة جليد.»

«أتذكر. أحببت تلك الفكرة. أمي وأبي لم يعجبا بها قط.»

«لماذا؟»

«لا أعرف. كانا يشجعاني على السباحة. أبي كان يشجعني على السباحة. ولكنهما لم يهتما بأي خيار له علاقة بالنجاح الأكاديمي.»

شعرت نورا بحزن عميق. منذ أن وصلت إلى الحياة لم يعاملها والداها كأخيها جو.

«كانا يتوقعان لجو مستقبلًا واعدًا» قالت للسيدة إلم. «كانت أمي تثنيني عن أيّ فكرة قد تأخذني بعيدًا عنها. على عكس

والـدي، لـم تـرد لـي أن أسـبح. ولكـن بالتأكيـد هنالـك حيـاة توقفـت فيهـا عـن الاسـتماع لأمـي وأصبحـت عالمـة جليـد. بعيـدًا عـن كل شـيء. بهـدف واضـح. لمسـاعدة الكوكـب. وللبحـث فـي آثـار التغيّـر المناخـي. فـي الصفـوف الأماميـة.»

«إذن، هل تريدين تجربة تلك الحياة؟»

تنهّدت نـورا. لـم تكـن متأكـدة مـن رغبتهـا. ولكنهـا ستكون تجربـة مختلفـة بالتأكيـد.

«حسنًا. نعم.»

استيقظت في سرير نحيل داخل قمرة صغيرة على قارب. عرفت أنه قارب بسبب تأرجحه الذي تسبب في إيقاظها من نومها. كانت القمرة بسيطة. وكانت نورا ترتدي سترة ثقيلة من الصوف. جذبت اللحاف لتلاحظ أنها تشعر بالصداع. كان فمها جافًا لدرجة أنها شعرت بخدّيها يُمتصان باتجاه أسنانها. سعلت بعمق، وشعرت بأنها أبعد ما تكون عن جسد وصحة بطلة أولمبيّة. كانت رائحة التبغ تنبعث من أصابعها. جلست على السرير لترى امرأة شقراء، قوية، قاسية تجلس على السرير المقابل وتحدّق نحوها.

«غود مورغن، نورا.»

ابتسمت. وتمنّت ألا تكون تتقن اللغة الإسكندنافية التي تتحدثها هذه المرأة.

«صباح الخير.»

لاحظت وجود زجاجة ڤودكا نصف فارغة وكوب بجانب سرير المرأة. رزنامة سنويّة عليها صور أصناف من الكلاب. (إبريل: سبرينغر سبانيل). الكتب الثلاثة فوقه كانت جميعها إنجليزية. الكتاب الأقرب إلى المرأة كان عنوانه «*مبادئ ميكانيكا الأنهار الجليدية*.» الكتابان قرب نورا: *دليل علماء الطبيعة إلى القطب الشمالي* ونسخة كلاسيكيّة من پينغوين *ملحمة ڤولسونغس: الملحمة الاسكندناڤية لسيغورد قاهر التنين*. لاحظت أمرًا آخر. شعرت بالبرد. كان المكان باردًا جدًا لدرجة اللسع وحرق الأصابع

وتحجّر الخدّين. حتى في الداخل. رغم طبقات من الملابس الداخليّة الخاصة. والسترة. وأجهزة التدفئة الكهربائيّة. كل زفرة تشكّل سحابة في الغرفة.

«لماذا جئتِ هنا، نورا؟» سألت المرأة، بلكنة ثقيلة.

سؤال محيّر، خاصة إن كنت لا تعرف أين أنت.

«ما زال الوقت مبكرًا على الأسئلة الفلسفيّة، أليس كذلك؟» ضحكت نورا بتوتر.

رأت حائطًا من الجليد عبر أحد الثقوب وهو يرتفع في البحر. إما أنها في الشمال البعيد أو في الجنوب البعيد. كانت في مكان بعيد حتمًا.

ما زالت المرأة تحدّق نحو نورا. لم تعرف نورا إن كانا على وفاق أم لا. بدت تلك المرأة قوية، مباشرة، فظّة، ولكنها لم تكن مملة.

«لا أقصد الفلسفة. لا أقصد ما دفعك للاهتمام بأبحاث الجليد. رغم أنه قد يكون الدافع ذاته. أقصد، لماذا اخترتِ السفر إلى أبعد نقطة عن الحضارة الإنسانية؟ لم يسبق لكِ إخباري بهذا.»

«لا أعرف» قالت. «أحب البرد.»

«لا أحد يحب *هذا* البرد. إلا إن كان لهم ميول سادية-مازوخية.»

كانت محقة. جذبت نورا سترتها من فوق السرير وارتدتها فوق السترة التي كانت ترتديها. وعندما فعلت ذلك رأت، قرب زجاجة الفودكا، بطاقة مُغلّفة على الأرض.

إنغريد سكيريك

بروفسور العلوم الجيولوجيّة

المؤسسة العالمية للأبحاث القطبية

«لا أعرف، إنغريد. أحب الأنهار الجليدية وحسب. أريد فهمها. لماذا ... تذوب.»

لم تكن هذه كلمات خبيرة في أبحاث الجليد، خاصة عند النظر إلى استغراب إنغريد مما سمعته.

«ماذا عنك؟» سألتها.

تنهّدت إنغريد. فركت إبهامها في راحة يديها. «بعد موت پير، لم أستطع البقاء في أوسلو. كل أولئك الناس من دونه. كان هنالك مقهى اعتدنا الذهاب إليه، في الجامعة. حيث نجلس معًا، بصمت. صمت سعيد. نقرأ الصحف، نحتسي القهوة. كان من الصعب تفادي تلك الأماكن. اعتدنا المشي في كل مكان. روحه المتعبة باقية في كل الشوارع... حاولت تجاهل ذكراه دون فائدة. الحزن لعين. إن بقيت لفترة أطول، كنت سأكره البشريّة. لذلك، عندما علمت بفرصة العمل كباحثة في سڤالبارد، قلت لنفسي، هذه فرصة نجاتي... أردت أن أذهب إلى مكان لم يسبق له رؤيته. أردت ترك شبحه ورائي. ولكن الحقيقة، خطتي لم تنجح تمامًا. الأماكن هي الأماكن والذكريات هي الذكريات والحياة اللعينة هي الحياة اللعينة.»

امتصت نورا كل هذا. من الواضح أن إنغريد قالت كل هذا لشخص تعرفه جيدًا، ولكن نورا كانت غريبة عنها تمامًا. كان أمرًا غريبًا. خاطئًا. من المؤكد أن هذا أصعب جزء من مهمة

الجواسيس، فكّرت نورا. المشاعر التي يأتمنك الآخرون عليها، كاستثمار خاسر. لتشعر وكأنك سارق.

ابتسمت إنغريد، لتقطع حبل أفكار نورا. «على كل حال، شكرًا على ليلة البارحة... كانت محادثتنا ممتعة. هنالك العديد من الحمقى على هذا القارب وأنتِ لستِ واحدة منهم.»

«أوه. شكرًا.»

عندها أدركت نورا وجود البندقيّة، بمقبض بنيّ ثقيل، مائلة على جدار الغرفة، أسفل خطافات المعاطف.

شعرت بالسعادة بعد رؤية ذلك المنظر. وشعرت أن نورا الطفلة ذات الأحد عشر عامًا ستشعر بالفخر. من الواضح أنها *كانت تخوض مغامرة*.

مشت نورا وهي تشعر بالصداع في ممر خشبي لتصل إلى قاعة طعام صغيرة تفوح منها رائحة السمك المجفف، ويجلس فيها عدد من العلماء والباحثين لتناول وجبة الفطور.

أخذت كوب قهوة وبعض خبز الذرة الجاف وجلست.

حولها، خارج النافذة، رأت أكثر المناظر جمالًا على الإطلاق. جزر من الجليد، صخور بيضاء صافية اللون تظهر وسط الضباب. كانت قاعة الطعام تحتوي على سبعة عشر شخصًا، قامت نورا بعدّهم. أحد عشر رجلًا، ست نساء. جلست نورا بمفردها وبعد خمس دقائق انضم إلى طاولتها رجل قصير الشعر، له لحية يكتمل نموها خلال يومين. كان يرتدي معطفًا كأغلب الموجودين في القاعة، ولكن من الواضح أن هذا الزي لا يناسبه، وكأنه اعتاد العيش في مدينة ساحلية وكان يرتدي سراويل قصيرة وقمصان بولو ورديّة. ابتسم لنورا. حاولت نورا ترجمة الابتسامة، لتفهم علاقتها بهذا الرجل. راقبها لبعض الوقت، ثم حرّك كرسيّه ليجلس مقابلها تمامًا. حاولت نورا البحث عن بطاقته التعريفيّة، ولكنه لم يكن يرتديها. تساءلت إن كان يجدر بها معرفة اسمه.

«أنا هوغو» قال لها. «هوغو ليفيڤر. أنتِ نورا، صحيح؟»

«نعم.»

«رأيتك من قبل في سڤالبارد، في مركز الأبحاث، ولكن لم يسبق لنا الحديث من قبل. أردت فقط إخبارك بأن بحثك عن الأنهار الجليدية النابضة قد أذهلني.»

«فعلاً؟»

«نعم. أقصد، لطالما أذهلتني هذه الظاهرة، لماذا تحدث هنا تحديدًا. إنه أمر غريب.»

«الحياة مليئة بالظواهر الغريبة.»

كانت المحادثة مع هوغو مغرية، ولكنها خطرة. ابتسمت نورا ابتسامة مهذبة ثم نظرت إلى النافذة. جزر الجليد تحوّلت إلى جزر حقيقية. تلال جليدية مدببة، كقمم الجبال، أو كأطباق مسطّحة خشنة من اليابسة. ووراءها، النهر الجليدي الذي رأته نورا من ثقب القمرة. بإمكانها رؤيته بوضوح الآن، رغم أن نصفه العلوي كان يختفي وراء قناع من السحاب. أما نصفه الآخر فقد كان خاليًا من الضباب. كان مشهدًا مهيبًا.

عند رؤية مشاهد الأنهار الجليدية على شاشة التلفزيون أو على صفحات المجلات تبدو ككتل بيضاء ناعمة. ولكن ما رأته نورا كان مليئًا بالتضاريس كالجبال. بني أسود وأبيض. وللأبيض تنويعات لا نهاية لها، أبيض-أبيض، أزرق-أبيض، فيروزي-أبيض، ذهبي-أبيض، فضي-أبيض، شفاف-أبيض - ألوان مطليّة بالحياة ومذهلة للبصر. أكثر إبهارًا من منظر الفطور.

«الأمر يدعو للكآبة أليس كذلك؟» قال هوغو.

«ماذا؟»

«حقيقة أن الأيام لا تنتهي هنا.»

انزعجت نورا من هذه الفكرة. «ماذا تقصد؟»

انتظر هوغو لبرهة قبل الإجابة عن سؤالها.

«الضوء الأبدي» قال قبل أن يقضم قطعة بسكويت في يده. «ابتداءً من شهر إبريل. سنعيش في يوم واحد لا ينتهي... أكره هذا الشعور.»

«أخبرني عنه.»

«أشعة الشمس تصل إلى قمرات النوم. النوافذ الصغيرة في القمرات تظل مكشوفة دون ستائر. لم أستطع النوم منذ أن وصلت إلى هنا.»

سألته نورا: «متى وصلت إلى المركز؟»

ضحك. كانت ضحكة لطيفة. دون فتح فمه. ضحكة متحضرة.

«شربت الكثير من الڤودكا مع إنغريد بالأمس. لقد سرقت الڤودكا ذاكرتي.»

«هل أنتِ متأكدة أنها الڤودكا؟»

«ماذا تقصد؟»

كانت نظراته فضوليّة، وشعرت نورا تلقائيًا بأنها مذنبة.

نظرت إلى إنغريد، والتي كانت تشرب قهوتها وتستخدم جهازها المحمول. تمنّت نورا لو أنها جلست بجانبها.

«كانت تلك ليلتنا الثالثة» قال هوغو. «كنا نبحر حول الأرخبيل منذ يوم الأحد. نعم، الأحد. عندها غادرنا لونغييرباين.»

حاولت نورا التظاهر بمعرفتها لكل ما قاله. «يبدو الأحد بعيدًا جدًا.»

بدا وكأن القارب قد غيّر من اتجاه حركته. اضطرت نورا إلى الميل في كرسيها.

«قبل عشرين سنة من الآن لم يكن للمياه وجود في سڤالبارد

في شهر إبريل. أما الآن فكأننا نبحر في البحر المتوسط.»

حاولت نورا الابتسام بهدوء.

«على كل حال، سمعت أنكِ خسرتِ القرعة اليوم؟»

حاولت نورا عدم الاستغراب مما قاله. «فعلاً؟»

«أنتِ المسؤولة عن المراقبة، أليس كذلك؟»

لم تعرف نورا ما قصده، ولكنها خشيت التماع عينيه.

«نعم» أجابته. «نعم، أنا. أنا المراقبة.»

اتسعت عينا هوغو من الدهشة. أو ربما من التظاهر بالدهشة. لم تستطع نورا قراءة تعابيره.

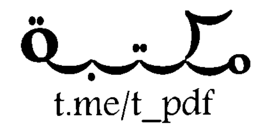
«المراقبة؟»

«نعم؟»

أرادت نورا معرفة مهمة المراقبة بالضبط، ولكنها لم تستطع سؤاله.

«حسنًا، حظًا سعيدًا» قال هوغو، بنظرة ريبة.

«شكرًا» قالت نورا، وهي تحدّق في الضوء الحاد للقطب الشمالي وفي منظر لم تره من قبل سوى في المجلات. «أنا مستعدة للتحدي.»



بعد ساعة من تلك المحادثة كانت نورا تقف على صخرة مغطاة بالثلج. جزيرة صغيرة. صغيرة إلى درجة عدم وجود اسم لها، ويمكن رؤية جزيرة أكبر منها -تُدعى جزيرة الدب- عبر الماء المتجمد. وقفت نورا بجانب زورق صغير. لم يكن *لانس*، (اسم القارب الكبير الذي تناولت طعامها عليه) ولكن زورق صغير يعمل بمحرك. كان الزورق صغيرًا لدرجة أن رجلًا عملاقًا يُدعى رون استطاع سحبه من الماء. ورغم أن رون اسم إسكندنافي إلا أنه كان يتحدث بلكنة أمريكية تنتمي إلى الساحل الغربي.

عند قدميها وجدت حقيبة ظهر صفراء. وبجانبها البندقيّة ذاتها التي رأتها في قمرتها. كانت هذه *بندقيتها*. في هذه الحياة، كان لديها سلاح خاص بها. بجانب البندقيّة رأت قدرًا بداخله ملعقة. وفي يدها سلاح آخر أقل خطرًا، مسدس صغير.

اكتشفت الآن نوع «المراقبة» التي عليها القيام بها. بينما كان تسعة من العلماء يسجلون درجات الحرارة على تلك الجزيرة الصغيرة، كان عليها حمايتهم من الدببة القطبيّة. من الواضح أن ظهور الدببة أمر محتمل جدًا. وإن رأت أحدها عليها إطلاق النار. وهذا سيؤدي غرضين اثنين أ) إخافة الدب ليهرب. ب) إنذار الباحثين.

كان الخطر حقيقيًا. يمثل البشر مصدرًا شهيًا للبروتين بالنسبة إلى الدببة التي لا تخشى شيئًا، خاصة في السنوات الأخيرة مع تناقص مصادر الغذاء.

قـال قائـد المجموعـة: «فـور إطلاقـك النـار، اقرعـي القـدر بالملعقـة. اقرعيـه بجنـون واصرخـي. للدببـة آذان حسّاسـة. تمامًـا كالقطـط. تسـع مـرات مـن عشـر تتسـبّب الضوضـاء فـي هروبهـا.» كان هـذا رجـلًا مسـنًا، حليق الذقـن. يُدعـى بيتـر. وكان لحديثـه نبـرة صارمـة.

«وماذا عن المرة العاشرة؟»

أشار لها نحو البندقية. «عليكِ قتلها. قبلِ أن تقتلك.»

لـم تكـن نـورا وحدهـا مَـن تحمـل السـلاح. جميعهـم لديهـم أسـلحة. لقـد كانـوا علمـاء مسـلحين. علـى كل حـال، ضحـك بيتر وربتـت إنغريد علـى ظهـر نورا.

«أتمنـى» قالـت إنغريـد، وهـي تضحـك، «أتمنـى لـكِ النجـاة. سأشـتاق إليـك. ولكـن مـا دمـتِ لسـت فـي فتـرة الطمـث، سـتكونين بخيـر.»

«يا إلهي. ماذا؟»

«بإمكان الدببة شم الدم على بعد ميل كامل.»

شـخص آخـر -قـد غطـى وجهـه تمامًـا لدرجـة تجعـل التعـرف عليـه مسـتحيلًا- قـال لهـا «حظًـا موفقًـا.»

«سـنعود بعـد خمـس سـاعات...» قـال بيتـر. ضحـك مـرة أخـرى، وتمنّـت نـورا أنـه يمـزح. «سـيري فـي دوائـر للحفـاظ علـى دفء جسـدك.»

ثم غادر العلماء، باتجاه الضباب.

فـي السـاعة الأولـى، لـم يحـدث شـيء. سـارت نـورا فـي دوائـر. قفـزت يمنـة ويسـرة. بـدأ الضبـاب بالتلاشـي بعـض الشـيء وحدّقـت

باتجاه المشهد المنكشف. تساءلت عن سبب عدم عودتها إلى المكتبة. من الواضح أن هذه حياة سيئة. بالتأكيد هنالك حيوات أخرى أفضل من هذه، حيث تجلس فيها قرب بركة سباحة تحت أشعة الشمس. حيوات تعزف فيها الموسيقى، أو تحظى فيها بحمام برائحة اللافندر، أو تستمتع بالعلاقات الحميميّة بعد الموعد الثالث، أو تقرأ كتابًا على أحد شواطئ المكسيك، أو تأكل في مطعم فاخر، أو تتجوّل في شوارع باريس، أو تضيع في ساحات روما، أو تحدّق في معبد قرب كيوتو، أو تشعر بدفء علاقة عاطفية سعيدة.

في أغلب الحيوات، ستكون على الأقل أكثر استرخاءً. ولكن على الرغم من هذا، فقد كانت تمر بتجربة جديدة هنا. أو ربما تجربة قديمة دُفنت منذ زمن. المشاهد الجليدية ذكّرتها أنها ما زالت إنسانة تعيش على كوكب. وأدركت أن أغلب ما قامت به في حياتها -أغلب ما اشترته وعملت لأجله واستهلكته- قد جرفها بعيدًا عن إدراك حقيقة أنها وبقية البشر على الكوكب ليسوا سوى صنف واحد من بين تسعة ملايين صنف آخر حي على الكوكب.

«إن تقدم أحدنا بثقة» كتب ثورو في كتابه *والدِن*، «باتجاه أحلامه، ليعيش الحياة التي تخيّلها، سيلتقي بنجاح غير متوقع في ساعات عادية.» يعتقد ثورو أيضًا أن النجاح هو نتيجة للعزلة. «لم أعثر على رفيق أستطيع تحمله أكثر من العزلة.»

شعرت نورا بشعور مماثل في تلك اللحظة. رغم أنها لم تكن وحدها لأكثر من ساعة، لم يسبق لها تجربة عزلة كهذه وسط الطبيعة الخالية.

كانت تعتقد في ساعاتها المظلمة حين فكّرت في الانتحار، أن العزلة هي المشكلة. ولكنها كانت مشكلة لأنها لم تكن عزلة حقيقية. العقل الوحيد في المدينة المزدحمة يتوق إلى الاتصال بالآخر لأنه يعتقد أن الاتصال البشري هو المعنى الكلّي للأشياء. ولكن في الطبيعة (أو «منشط التوحش» كما يصفها ثورو) ارتدت العزلة زيًا آخر. أصبحت نوعًا من الاتصال. اتصال بين نورا والعالم، أو بينها وبين نفسها.

تذكرت محادثة خاضتها مع آش. الشاب الطويل، الخجول واللطيف، والذي يحتاج دائمًا إلى أغانٍ جديدة.

لم تكن محادثتهما في المتجر بل في المستشفى، عندما كانت أمها مريضة. بعد أن اكتشفت إصابتها بسرطان المبيض، وحاجتها إلى إجراء عملية جراحيّة. أخذت نورا أمها لرؤية جميع الاستشاريين في مستشفى بدفورد العام، وأمسكت يد أمها في تلك الأسابيع لفترة أطول مما فعلت في سنوات حياتها مجتمعة.

بينما كانت أمها تخضع للعملية الجراحيّة، انتظرت نورا في مطعم المستشفى. وآش -بملابس الجرّاح، يتذكر أنها المرأة التي اعتاد الحديث معها في متجر نظرية الأوتار- اقترب منها ولاحظ أنها قلقة.

وبعد أن ألقى التحيّة عليها وأخبرها بأنه يعمل في المستشفى، سألته العديد من الأسئلة عن عمله (في ذلك اليوم كان قد أجرى عملية استئصال للزائدة). سألته أيضًا عن الوقت المتوقع للتعافي بعد عملية جراحية خطيرة، وكانت إجاباته مطمئنة لها. واستمر الحديث بينهما في مواضيع عديدة لوقت طويل. نصحها بعدم

المبالغة في البحث عن أعراض الأمراض على الإنترنت. ثم بدأ بالحديث عن وسائل التواصل الاجتماعي -كان يؤمن بأن زيادة اتصال الناس على مواقع التواصل، يؤدي إلى إنتاج مجتمع يعاني من الوحدة.

«لهذا يكره الناس بعضهم اليوم» قال لها. «لأنهم يتواصلون مع أصدقاء مزيفين. هل تعرفين عدد دنبار؟»

ثم حدثها عن قصة رجل يُدعى روجر دنبار في جامعة أكسفورد، والذي اكتشف أن البشر مستعدون للتعرف على مئة وخمسين شخصًا فقط، لأن هذا العدد يقترب من متوسط حجم مجتمعات الصيادين.

«وكتاب يوم الحساب» أخبرها آش، أسفل الإضاءة الصارخة لمطعم المستشفى، «إن قرأتِ كتاب يوم الحساب، ستجدين أن حجم المجتمع في إنجلترا في تلك الفترة كان يقترب من مئة وخمسين شخصًا. عدا كينت. حيث كان العدد يقترب من مئة شخص فقط. أنا من كينت. لدينا حمض نووي معادٍ للعلاقات الاجتماعيّة.»

«قد زرت كينت» قالت نورا. «لاحظت ذلك. ولكني أحب هذه النظريّة. بإمكاني رؤية مئة وخمسين شخصًا على إنستقرام خلال ساعة واحدة.»

«بالضبط. إنه أمر مضر! عقولنا لا تستطيع التعامل مع ما يحدث. ولهذا نتوق إلى التواصل الجسدي المباشر. و... لهذا لن أفكّر في شراء كتاب الأغاني الخاص بغيتاري عن طريق الإنترنت!»

ابتسمت لهذه الذكرى، ثم عادت إلى واقع المشهد القطبي عند سماعها لصوت دفقة ماء صاخبة.

على بعد عدة أمتار منها، بين الجزيرة الصغيرة التي تقف فيها وجزيرة الدب، كانت هنالك صخرة صغيرة، أو مجموعة من الصخور فوق الماء. ومن رغوة البحر ظهر ببطء جسم ثقيل، يصطدم بالصخور بوزنه. ارتعشت نورا، استعدت لإطلاق النار، ولكنه لم يكن دبًا، بل حصان البحر. الوحش السمين البني، كان يسحب ثقله على الجليد، ثم توقف ليحدّق باتجاه نورا. بدت عليه علامات الكبر. لم يكن حصان البحر يشعر بالخجل، وبإمكانه التحديق للأبد. خافت نورا. لم تكن تعرف عن أحصنة البحر سوى أمرين: بإمكانها أن تكون عدائيّة، وأنها لا تتجوّل وحدها لوقت طويل.

من المؤكد أن مجموعة من أحصنة البحر ستظهر قريبًا إلى السطح.

فكّرت في إطلاق النار.

ثبت حصان البحر في مكانه، وكأنه شبح، وبدأ بالاختفاء تدريجيًا وراء غطاء من الضباب. مرّت الدقائق. كانت نورا ترتدي سبع طبقات من الملابس، إلا أن جفنيها كانا على وشك التجمّد إن أغمضتهما لوقت طويل. كانت تسمع أصوات زملائها وهي تقترب منها أحيانًا، لدرجة أنها رأت بعضهم. خيالات في الضباب، راكعة، تقرأ عيّنات الجليد باستخدام أدوات لا تعرفها. ثم اختفوا مجددًا. تناولت أحد ألواح البروتين من حقيبتها. كان اللوح متجمدًا. تفقّدت هاتفها دون وجود اتصال بالشبكة.

كان كل ما حولها ساكنًا.

جعلها السكون تفكّر في حجم الصخب في العالم. هنا، للصخب معنى. إن سمعت صوتًا عليك الحذر منه.

وبينما كانت تمضغ لوح البروتين سمعت صوت ارتطام آخر، ولكن من جهة أخرى. اجتمع الضباب وضعف الضوء عليها ولم تستطع الرؤية بوضوح. ولكنه لم يكن حصان البحر. تأكدت من هذا عندما أدركت أن الخيال المتجه نحوها كان كبيرًا. أكبر من حصان البحر، وأكبر بكثير من أيّ إنسان.

«أوه تبًا» همست نورا، في البرد.

انقشع الضباب لينكشف دب أبيض عملاق، يقف على قدميه. وضع أطرافه الأربعة على الأرض واتجه نحوها بسرعة مفزعة وثقل مخيف. لم تفعل نورا شيئًا. كان ذهنها مزدحمًا بالفزع. كانت ساكنة كالأرض التي تقف عليها.

تبًا.

تبًا تبًا.

تبًا تبًا تبًا تبًا.

تبًا تبًا تبًا تبًا.

أخيرًا استجابت غريزة نورا وحملت مسدسها وأطلقته، انطلقت النار كمذنّب صغير واختفت في الماء، وانحسر توهجها كما انحسر أمل نورا. كان الدب مستمرًا باتجاهه نحوها. جثمت على ركبتيها وبدأت بقرع الملعقة بالقدر وصرخت بأعلى صوتها.

«دب! دب! دب!»

توقف الدب للحظات.

لم ينجح القرع. ما زال الدب قريبًا. فكّرت نورا في جذب البندقيّة، وهي مستلقية على الجليد. بإمكانها رؤية أقدام الدب ومخالبه المخيفة وهي تترك آثارها على الجليد. كان رأسه منخفضًا وعيناه السوداوان تنظران باتجاه نورا.

«مكتبة!» صرخت نورا. «السيدة إلم! أرجوكِ أعيديني! هذه حياة خاطئة! خذيني إلى المكتبة! لا أريد المغامرة! أين المكتبة! أريد المكتبة!»

لـم تكـن عينـا الـدب مليئتيـن بالكراهيـة. كانـت نـورا بالنسـبة إليـه مجـرد طعـام. لحـم. نبـض قلبهـا كطبـل وصـل إلـى أسـرع قطعـة موسـيقية. نهايـة الأغنيـة. وأدركـت نـورا بوضـوح أخيـرًا:

أنها لم ترد الموت.

وهـذه هـي المشـكلة. عنـد مواجهـة المـوت، تبـدو الحيـاة أكثـر جاذبيّـة، وإن بـدت الحيـاة أكثـر جاذبيّـة هنـا، كيـف لهـا أن تعـود إلـى مكتبـة منتصـف الليـل؟ كان عليهـا أن تُحبـط مـن حيـاة، لا أن تخـاف منهـا، كـي تحـاول فتـح كتـاب آخـر.

المـوت المخيـف، المـوت المحتـوم، فـي صـورة دب، يحـدّق نحوهـا بعينيـن سـوداوين. وعرفـت حينهـا، أنهـا لـم تكـن مسـتعدة للمـوت. نمـت هـذه الحقيقـة فـي داخلهـا لتصبـح أكبـر مـن خوفهـا. وهـي تقـف وجهًـا لوجـه أمـام دب قطبـي جائـع ويائـس، وقرعـت القـدر بـكل قوتهـا. بإيقـاع متقطّـع بانـغ بانـغ بانـغ.

أنا. لست. خائفة.

أنا. لست. خائفة.

أنا. لست. خائفة.

أنا. لست. خائفة.

أنا. لست. خائفة.

أنا. لست. خائفة.

وقـف الـدب وحـدّق نحوهـا، كمـا فعـل حصـان البحـر. لمحـت البندقيّـة. نعـم. كانـت بعيـدة عنهـا. وقـد لا تسـتطيع الوصـول إليهـا واسـتخدامها قبـل فـوات الأوان. ولـم تكـن تعتقـد أنهـا قـادرة علـى قتـل دب قطبـي علـى كل حـال. لذلـك اسـتمرت بالقـرع.

أغمضت نورا عينيها، تمنّت أن تجد نفسها في المكتبة وهي تقرع القدر. عندما فتحت عينيها رأت الدب وهو يغطس في الماء. استمرت بالقرع حتى بعد اختفائه. بعد دقيقة واحدة، سمعت أصواتًا بشريّة تنادي باسمها من وراء الضباب.

جزيرة

كانت مصدومة. ولكنها صدمة مختلفة عن تلك التي افترضها زملاؤها في الزورق. لم تكن صدمة الاقتراب من الموت، بل صدمة إدراكها أنها ترغب في الحياة.

عبر الزورق بجزيرة صغيرة، مليئة بالحياة. أشنات منتشرة فوق كل صخرة. طيور الأوك والپفن تجتمع معًا - تتصدّى لرياح القطب الشمالي. حياة النجاة ضد الاحتمالات.

شربت نورا من القهوة التي أعطاها إياها هوغو، ساخنة من قنينته. أمسكت الكأس بيدين متجمدتين رغم ارتدائها ثلاثة قفازات.

أن تكون جزءًا من الطبيعة هنا يعني أن تصبح جزءًا من إرادة الحياة.

عند بقائك في مكان واحد لفترة طويلة، قد تنسى حقيقة ضخامة العالم. لا يمكنك تخيّل اتساع خطوط عرضه وطوله. تمامًا كما افترضت أنه من الصعب إدراك اتساع أعماق أيّ إنسان.

ولكن إن تمكنت من إدراك ذلك الاتساع وكشفه، يظهر الأمل، ويتشبّث بك كالأشنات على ظهور الصخور.

تربة صقيعية

درجات حرارة السطح في سفالبارد كانت ترتفع بأكثر من ضعفي المعدل العالمي. كان التغيّر المناخي يحدث هنا أسرع من أيّ مكان آخر على الأرض.

امرأة ترتدي قبعة صوفيّة بنفسجيّة متدلّية فوق حاجبيها، تحدثت عن رؤية قمم جليدية تتأرجح بسبب ارتفاع درجات حرارة المياه في الأسفل، ليؤدي هذا لثقل وزن القمم.

مشكلة أخرى تكمن في ذوبان التربة الصقيعية، لتلين الأرض، وتؤدي إلى انهيارات جليدية قد تؤدي إلى تدمير المنازل في لونغييربايـن، أكبر مدن سفالبارد. بالإضافة إلى خطر خروج هياكل الموتى في مقبرة المدينة.

كان من الملهم لنورا وقوفها بين هؤلاء العلماء الذين يحاولون اكتشاف ما يحدث بالضبط للكوكب، عن طريق مراقبة الأنهار الجليدية والتغييرات الحرارية لحماية الحياة على كوكب الأرض.

وعند عودتها إلى القارب الكبير، جلست نورا بصمت في قاعة الطعام بينما حاول الجميع التخفيف عنها بعد حادثة الدب. لم تستطع إخبارهم أنها تشعر بالامتنان لتلك التجربة. اكتفت بابتسامة مهذبة وحاولت تجنّب الحديث معهم.

كانت هذه الحياة حادة، دون مساومة. كانت درجة الحرارة سبعة عشرة درجة مئوية تحت الصفر، وكاد يلتهمها دب قطبي، ورغم هذا ربما كانت مشكلة حياتها الأصليّة أنها هادئة ومملة. وأصبحت تتخيّل أن خيبة الأمل قدرها.

لطالما شعرت نورا بأنها جاءت من سلالة طويلة من الحسرات والآمال المحطمة التي يتردد صداها في كل جيل.

على سبيل المثال، كان جدّها من جهة أمها يُدعى لورينزو كونتي. كان قد غادر پوليا -الكعب الأنيق في حذاء خريطة إيطاليا- ليصل إلى لندن في ستينيات القرن الماضي.

وكبقية الرجال في مدينة الميناء المهجورة برينديزي، هاجر جدّها إلى بريطانيا، ليقايض حياته قرب بحر البنادقة بوظيفة في شركة لندن للطوب. تخيّل لورينزو بسذاجة أن حياته في صناعة الطوب ستكون رائعة، حيث سيقضي يومه يعمل في المصنع، ثم يقضي مساءاته مع فرقة ذا بيتلز ليسير معهم في شارع كارنابي برفقة جين شريمپتن أو ماريانا فيثفول. إلا أن المشكلة الوحيدة كانت أن شركة لندن للطوب، رغم اسمها، لا تقع في لندن، بل كانت تقع في بلدة تبعد 60 ميلًا عن لندن، وتدعى بدفورد، والتي اكتشف لورينزو لاحقًا أنها لم تكن مثيرة بما يكفي لتعجبه. ولكنه وصل إلى قناعة جعلته يرضى بالواقع ويستقر فيها. لم يكن عمله ساحرًا، لكنه سمح له بالعيش والنجاة.

تزوّج لورينزو من امرأة إنجليزيّة تُدعى پاتريشا براون، والتي كانت أيضًا تتقبّل حياة من الخيبات، بعد أن قايضت أحلامها ورغبتها في العمل كممثلة، وأصبحت ربّة منزل مسرحها الوحيد هو حياتها في الريف، والتي بقيت كل مهاراتها في الطهي مجرد ظلّ باهت لأطباق حماتها الإيطاليّة المتوفاة، والتي لا يمكن مجاراتها من وجهة نظر لورينزو أبدًا.

رُزق لورينزو وپاتريشا بطفلة بعد سنة من زواجهما -والدة نورا- وكان اسمها دونا.

عاشت دونا طفولتها بين والدين يتشاجران باستمرار، وآمنت عندما كبرت أن الزواج أمر لا يمكن تفاديه، ولا يمكن تفادي تعاسته. أصبحت سكرتيرة في شركة قانونيّة، ثم موظفة اتصالات في مجلس بدفورد، ولكنها مرت بتجربة لم تتحدث عنها، على الأقل مع نورا. كانت تلك تجربة انهيارها -الأولى والتي تلتها انهيارات عديدة- وتسببت في بقائها في المنزل، ورغم تعافيها، لم ترد الذهاب إلى العمل من جديد.

كان هنالك عصا خفية من الفشل مررتها أمها لها، وكانت نورا متشبّثة بهذه العصا لوقت طويل. ربما كان هذا سبب تخلّيها عن الكثير من أحلامها. لأن الفشل مكتوب عليها في حمضها النووي.

حملت نورا هذه الفكرة معها بينما كان القارب يمخر مياه القطب الشمالي وطيور النورس الشمالية السوداء، بحسب وصف إنغريد – تحلّق عاليًا.

كانت عائلة نورا من جانبيها تؤمن باعتقاد دفين مفاده أن الحياة تقف لهم بالمرصاد. والد نورا، جيف، عاش حياة ضائعة لم تكن تصبو إلى هدف.

عاش طفولته مع أمه بعد موت أبيه بسكتة قلبية. كان والدها في الثانية من عمره. ليختبئ خلف ذكرياته الأولى القاسية. جدّة نورا من جهة أبيها وُلدت في أرياف أيرلندا وهاجرت إلى إنجلترا لتعمل في تنظيف إحدى المدارس، وتعاني في سبيل توفير المال الكافي للطعام، ناهيك عن الاقتراب من *المتعة*.

تعرّض جيف للتنمّر في طفولته ولكنه كبر ليصبح عملاقًا وعريضًا ليتمكّن من تلقين هؤلاء المتنمّرين درسًا قاسيًا. عمل

بجد وأثبت نجاحه في لعب كرة القدم، والرغبي أيضًا. كان قد لعب في فريق بدفورد بلوز للشباب ليصبح أفضل لاعب فيه، وكاد ينجح في اللعب بشكل احترافي قبل أن تمنعه إصابة في الرباط الجانبي من الوصول إلى هدفه. ثم أصبح مدرسًا للتربية الرياضيّة وكبت امتعاضه الصامت تجاه الكون. لطالما كان يحلم بالسفر، ولكن أحلامه لم تتجاوز اشتراكًا شهريًا في مجلة *ناشيونال جيوغرافيك* وعطلة موسميّة في سيكلادس - تذكّرته نورا في ناكسوس، بصورة لمعبد أبولو وقت الغروب.

ربما كانت هذه نهاية كل الحيوات، ربما كانت أكثر الحيوات امتلاءً بالكثافة والمثاليّة مشابهة لغيرها. مساحات من الخيبة والتكرار والألم والمنافسة، تتخلّلها ومضات من العجب والجمال، ربما كان هذا هو المعنى الوحيد؛ أن تكون العالم، شاهدًا على نفسه، ربما لم يكن انعدام الإنجازات ما جعلها وما جعل والديّ أخيها تعساء، بل توقع الإنجاز من الأساس. لم تكن تعرف عنه شيئًا قط. ولكن وهي في القارب أدركت أمرًا ما. لقد أحبّت والديها أكثر مما كانت تعتقد، وفي تلك اللحظة، سامحتهما بشكل كامل.

استغرق الأمر ساعتين للوصول إلى ميناء لونغييربياين الصغير. لونغييربياين هي آخر مدن النرويج -والعالم- في الجهة الشماليّة، ويبلغ عدد سكّانها ألفي نسمة.

كانت نورا تعرف هذه المعلومات من حياتها الأصليّة. لأنها كانت مسحورة بهذا الجزء من العالم منذ أن كانت في الحادية عشرة من عمرها، ولكن معرفتها لم تتجاوز مقالات المجلات التي قرأتها وما زالت متوترة من الحديث.

كانت رحلة العودة في القارب مقبولة، لأن بإمكانها إحالة عدم قدرتها على مناقشة عينات الحجارة والجليد والنباتات التي جمعها فريق البحث، أو فهم عبارات مثل «حجر البازلت المخطط» و«نظائر ما بعد جليدية»، إلى تأثرها بصدمة مواجهة الدب القطبي.

وقد كانت مصدومة فعلًا، ولكنها لم تكن الصدمة التي تخيّلها زملاؤها. لم تكن صدمتها بسبب اعتقادها أنها على وشك أن تموت، لأنها رأت الموت منذ أن دخلت إلى مكتبة منتصف الليل. لا، كانت صدمتها بسبب شعورها باقترابها من الحياة، أو على الأقل قدرتها على تخيّل الرغبة في الحياة من جديد، وأرادت أن تسخّر حياتها للقيام بالخير.

حياة الإنسان، وفقًا للفيلسوف الاسكتلندي ديڤيد هيوم، ليست أكثر أهمية بالنسبة إلى الكون من حياة محارة.

ولكن إن كانت مهمة بما يكفي لديڤيد هيوم ليقوم بكتابة تلك الفكرة، إذن ربما كانت مهمة بما يكفي للقيام بالخير. للمساعدة في حماية الحياة، بأشكالها كافة.

حسب فهم نورا، العمل الذي جاءت للقيام به مع زملائها العلماء يتعلّق بتحديد سرعة ذوبان الجليد والأنهار الجليدية في المنطقة، لقياس معدل تسارع التغيّر المناخي. كانت للمهمة البحثيّة أهداف أخرى، ولكن كان هذا أهمها، كما فهمت نورا.

إذن، في هذه الحياة، كانت تقوم بدورها لإنقاذ الكوكب، أو على الأقل كانت تراقب الخراب المستمر الذي حلّ بالكوكب لتحذير سكّان الكوكب من حقائق هذه الأزمة البيئية. كان هذا أمرًا محبطًا ولكنه فعل خيّر أيضًا ومُرضٍ لها، هكذا تخيّلت نورا. كان لديها هدف. كان لوجودها معنى.

كان الآخرون منبهرين أيضًا بقصة الدب القطبي. كانت نورا بطلة من نوع خاص - ليست كبطولة السباحة الأولمبيّة، ولكن بطريقة أخرى مرضية لها.

وضعت إنغريد يديها حول نورا. «أنتِ محاربة القدر. وأظن أنكِ بحاجة إلى تتويج شجاعتك، واكتشافاتك الرائدة بوجبة. وجبة لذيذة، وبعض الڤودكا. ما رأيك يا پيتر؟»

«وجبة لذيذة؟ في لونغييربايين؟ هل لها وجود هنا؟»

وكما اتضح لاحقًا: لها وجود.

بعد الوصول إلى اليابسة اتجه الجميع إلى كوخ خشبي في مكان يُدعى غروڤيليجريه يقع في وادٍ ثلجي قاسٍ. شربت نورا بيرة القطب الشمالي وفاجأت زملاءها بطلب الخيار النباتي الوحيد في قائمة الطعام التي احتوت على شرائح لحم الرنة وبرغر لحم الغزال. من الواضح أن علامات التعب بدت على نورا

لأن زملاءهـا أخبروهـا بذلـك، ولكـن ربمـا كان سـبب تحفظهـا هـو معرفتهـا أنهـا لـن تسـتطيع فتـح العديـد مـن المواضيـع معهـم بثقـة. شـعرت كأنهـا تتعلـم قيـادة السـيارة فـي تقاطـع مزدحـم، تنتظـر بتوتـر لحظـة آمنـة تسـتطيع فيهـا الدخـول إلـى الشـارع.

كان هوغـو موجـودًا. مـا زال ينظـر نحوهـا وكأنـه يفضّـل أن يكـون فـي أنتيـب أو سـان تروبيـه. توتـرت لتحديقـه المسـتمر نحوهـا، وشـعرت بأنهـا مراقبـة.

وعنـد سـيرها بسـرعة للعـودة إلـى سـكنها فـي اليابسـة، والـذي ذكّـر نـورا بقاعـات سـكن الجامعـة بهيئـة أصغـر، ولمسـة شـماليّة، خشـبيّة، وبسـيطة، ركـض هوغـو للحـاق بهـا والمشـي إلـى جانبهـا.

«الأمر مثير» قال هوغو.

«ماذا تقصد؟»

«لم تتعرفي عليّ عندما تحدثت معكِ هذا الصباح.»

«لماذا؟ لم تتعرف عليّ أيضًا.»

«بالتأكيد كنت أعرفك. لقد تحدثنا لمدة ساعتين بالأمس.»

شعرت نورا أنها تقترب من الوقوع في فخ ما. «فعلاً؟»

«درسـتك بحـذر وقـت الفطـور قبـل الجلـوس بجانبـك ولاحظـت أنـكِ مختلفـة اليـوم.»

«هـذا تصـرف مرعـب، هوغـو. دراسـة النسـاء بحـذر وهـن يتناولـن طعامهن.»

«ولاحظت أشياء.»

رفعـت نـورا شـالها علـى وجههـا. «البـرد قـارس. هـل بإمكاننـا الحديـث غـدًا؟»

«لاحظت أنكِ ترتجلين حديثك. كانت إجاباتك مراوغة طوال اليوم.»

«غير صحيح. كل ما في الأمر أنني مصدومة بعد حادثة الدب.»

«لا، ليس هذا. أقصد تصرفاتك قبل حادثة الدب. وبعدها. وطوال اليوم.»

«لا أعرف ماذا تقصد»

«هنالك نظرة. لقد رأيتها من قبل لدى أشخاص آخرين. وأستطيع التعرف عليها في أيّ مكان.»

«لا أعرف ماذا تقصد.»

«لماذا تتذبذب الأنهار الجليدية؟»

«ماذا؟»

«هذا مجال بحثك. وسبب وجودك هنا، أليس كذلك؟»

«الإجابات العلميّة ليست نهائية في هذه القضيّة.»

«حسنًا. ما اسم الأنهار الجليدية حول هذه المنطقة، أريد اسمًا واحدًا فقط. للأنهار الجليدية أسماء. اذكري أحدها... كونغسبريين؟ ناثورستريين؟ هل تعرفين هذه الأسماء؟»

«لا أريد الحديث معك.»

«لأنكِ لستِ الشخص ذاته الذي تحدث معي بالأمس، أليس كذلك؟»

«جميعنا نتغيّر» قالت نورا بحزم. «عقولنا تتغيّر. إنها المرونة العصبيّة. رجاءً. توقّف عن محاولتك الذكورية لشرح الأنهار الجليدية لعالمة جليد، هوغو.»

تراجع هوغو قليلًا وشعرت نورا بالذنب. خيّم الصمت لدقيقة، لا شيء سوى صوت غرس أقدامهما في الثلج. كانا قد اقتربا من العودة إلى السكن، وكان بقية العلماء على مسافة قريبة خلفهما.

ولكن بعد ذلك، قالها هوغو.

«أنا مثلك، نورا. أزور حيوات لا أنتمي إليها. قد وصلت إلى هذه الحياة منذ خمسة أيام. وقد زرت حيوات أخرى عديدة. قد مُنحت فرصة -فرصة نادرة- لحدوث هذه اللحظة. لقد انزلقت بين الحيوات لفترة طويلة.»

سحبت إنغريد يد نورا.

«ما زلت أملك بعض الڤودكا» قالت لها عند اقترابهما من الباب. وضعت بطاقة فتح الباب في قفّازها ونقرتها قرب القارئ الإلكتروني. فُتح الباب.

«اسمعي» همس هوغو بطريقة متآمرة، «إن أردتِ معرفة المزيد، لنلتقي في المطبخ المشترك بعد خمس دقائق.»

شعرت نورا بضربات قلبها وهي تسرع، ولكنها لم تكن تملك قدرًا أو ملعقة لقرعها هذه المرة. لم ترق لها شخصية هوغو. ولكنها كانت مهتمة بسماع ما لديه. وكانت تريد التأكد إن كان يمكنها أن تثق به.

«حسنًا» قالت. «أراك هناك.»

توقّع

لطالما عانت نورا من مشكلة رضاها عن ذاتها. منذ طفولتها، شعرت أنها لم تكن كافية. والداها اللذان عانا من انعدام الثقة بالنفس، شجّعا هذه الفكرة.

تخيّلت، الآن، ماذا لو قررت الرضا عن ذاتها بكل علّاتها. كل خطأ ارتكبته. كل ندبة على جسدها. كل حلم لم تحققه أو ألم شعرت به. كل رغبة أو حنين كبتته.

تخيّلت رضاها عن ذاتها. كرضاها بالطبيعة. كرضاها بنهر جليدي أو پفن أو فتحة حوت.

تخيّلت رؤية ذاتها ككائن آخر بديع وُلد من رحم الطبيعة. مجرد حيوان حساس، يحاول بكل جهده.

وبفعلها هذا، تخيّلت تذوّق شعور أن تكون حرّة.

في حالة هوغو، لم تكن مكتبة.

«متجر أشرطة فيديو» قال، وهو يميل على خزانة المطبخ الرخيصة حيث تُخزّن القهوة. «المكان يشبه متجر فيديو كنت أرتاده عندما كنت طفلًا في ضواحي مدينة ليون - فيديو لوميير. الأخوان لوميير كانا أشبه بالأبطال في ليون وتمت تسمية العديد من الأشياء باسم عائلتهما. لقد اخترعا السينما هناك. على أي حال، هذا لا يهم: كل حياة أختارها عبارة عن شريط فيديو قديم أشغله في المتجر، وفي اللحظة التي يبدأ فيها -اللحظة التي يبدأ فيها الفيلم- أختفي مباشرة.»

حاولت نورا منع نفسها من الضحك.

«ما المضحك في الأمر؟» تساءل هوغو، وهو منزعج.

«لا شيء. لا شيء أبدًا. أجد الفكرة مسلية بعض الشيء. متجر أشرطة فيديو.»

«أوه؟ وتعتقدين أن المكتبة أمر معقول؟»

«نعم. أقصد. على الأقل ما زلنا نقرأ الكتب. مَن يستخدم أشرطة الفيديو هذه الأيام؟»

«لم أكن أعرف أن العجرفة توجد أيضًا بين الحياة والموت. إنكِ عجيبة..»

«آسفة، هوغو. حسنًا. سأسألك سؤالًا معقولًا. هل هناك شخص آخر معك؟ شخص يساعدك على اختيار الحياة؟»

هزّ رأسه. «أوه نعم. إنه عمي فيليبي. لقد مات قبل سنوات، ولم يسبق له العمل في متجر فيديو من قبل. لا يبدو الأمر منطقيًا.»

حدثته نورا عن السيدة إلم.

«أمينة مكتبة مدرسيّة؟» سخر هوغو. «هذا طريف أيضًا.»

تجاهلته نورا. «هل تعتقد أنهم عبارة عن أشباح؟ أرواح مُرشدة؟ ملائكة حامية؟ أم ماذا؟»

بدا من السخيف أن تدور هذه المحادثة وسط مهمة بحثية علمية كهذه.

«أظن أنهم» قال هوغو، وهو يحاول البحث عن المصطلح المناسب لوصفهم من الهواء، «تأويل.»

«تأويل؟»

«لقد التقيت بأشخاص آخرين مثلنا» قال هوغو. «لقد مكثت في هذه الحالة البينية لوقت طويل. والتقيت بعدد من العابرين أشباهنا. نعم، هكذا أسميتهم. نحن. العابرون. لدينا حياة أصليّة نستلقي فيها في مكان ما دون وعي، بين الحياة والموت، ثم نصل إلى مكان آخر. ودائمًا ما يكون شيئًا مختلفًا، مثل مكتبة، متجر أشرطة فيديو، معرض فني، كازينو، مطعم... بماذا يخبركِ هذا؟»

هزّت نورا كتفيها. وفكّرت. وهي تستمع إلى همهمة نظام التدفئة المركزي. «إن كل هذا هراء؟ وأنه لا وجود له في الحقيقة؟»

«لا. لأن القالب هو ذاته دائمًا. على سبيل المثال: هنالك دائمًا شخص آخر - دليل. شخص واحد. هذا الشخص دائمًا ما يكون قد ساعدنا بشكل هائل في حياتنا الأصليّة. دائمًا ما يكون

المحيط له قيمة عاطفيّة عالية. وغالبًا ما يتحدث الدليل عن الحياة الأصليّة أو فروعها.»

فكّرت نورا في مواساة السيدة إلم لها عندما توفي والدها. عندما بقيت معها، وخففت عنها. ربما كان هذا ألطف الأفعال التي بذلها أحد لنورا.

«وهنالك دائمًا مدى غير محدود من الخيارات» قال هوغو. «عدد لا نهائي من أشرطة الفيديو، أو الكتب، أو اللوحات، أو الوجبات... الآن، أنا عالِم. وقد عشت حيوات علمية كثيرة. في حياتي الأصلية، لدي شهادة في علم الأحياء. في حياة أخرى، فزت بجائزة نوبل للكيمياء، ولدي حياة أخرى كنت فيها عالم أحياء مائية أحاول حماية الحيد المرجاني العظيم. ولكن لطالما كانت الفيزياء هي نقطة ضعفي. وفي البداية لم أعرف كيفية فهم ما يحدث لي. حتى التقيت بامرأة في حياة ما كانت تمرّ بتجربتنا ذاتها، وفي حياتها الأصليّة كانت عالمة في فيزياء الكم. بروفسور دومينيك بيسيه في جامعة مونبلييه. وشرحت لي تفسير فيزياء الكم للعوالم العديدة. وهذا يعني أننا–»

دخل رجل لا تعرفه نورا، له وجه طيّب، وبشرة ورديّة، ولحية، إلى المطبخ ليغسل كوب قهوته، ثم ابتسم لهما.

«أراكما غدًا» قال لهما بلكنة أمريكية ناعمة (أو ربما كندية)، قبل أن يغادر وينحسر خلفه صوت وقع نعاله.

«نعم» قالت نورا.

«أراك غدًا» قال هوغو، قبل أن يعود إلى نغمته الهامسة – ويستكمل فكرته. «الدالّة الموجيّة للكون حقيقية يا نورا. هذا ما قالته بيسيه.»

«ماذا؟»

رفع هوغو إصبعه. بطريقة مزعجة، الإصبع الذي يُرفع عندما يريد أحدهم إيقافك عن الكلام. قاومت نورا رغبتها الملحة في إمساكه ولويه. «إرفن شرودنغر...»

«صاحب القطة؟»

«نعم. صاحب القطة. قال في فيزياء الكم كل الاحتمالات البديلة تحدث في *الوقت ذاته*. جميعًا في لحظة واحدة. في المكان ذاته. تراكب كمي. القطة في الصندوق حيّة وميتة في الوقت ذاته. يمكنك فتح الصندوق واكتشاف إن كانت حيّة أم ميتة، ولكن بمفهوم واحد، حتى بعد فتح الصندوق، القطة ما زالت حيّة وميتة. كل كونٍ يُوجد فوق كل كونٍ آخر. كمليون صورة على ورق شفاف، جميعها بتغييرات طفيفة داخل الإطار ذاته. تفسير العوالم العديدة في فيزياء الكم يقترح أن هنالك عددًا لا نهائيًا من الأكوان المتشعبة المتوازية. كل لحظة من حياتك تُدخلك إلى كون جديد، وكل قرار تتخذينه. في السابق كان البشر يعتقدون باستحالة التواصل أو الانتقال بين هذه العوالم، على الرغم من حدوثها ووجودها في الفضاء ذاته، وعلى الرغم من حدوثها حرفيًا على بعد مليمترات منّا.»

«ولكن ماذا عنّا؟ نحن نفعل ذلك.»

«بالضبط. أنا هنا ولكني أعرف أيضًا أنني لست هنا. أنا أيضًا أستلقي في مستشفى في باريس، وأعاني من تمدد في الأوعية الدموية. وأمارس القفز المظلي في أريزونا. وأسافر عبر جنوب الهند. وأتذوّق النبيذ في ليون، وأستلقي على يخت في

الريفييرا الفرنسيّة.»

«كنت أعرف!»

«حقًا؟»

قررت نورا أن هوغو جميل جدًا.

«التنزّه على امتداد الكروازات في شاطئ كان يناسبك أكثر من هذه المغامرة الجليدية.»

فتح يده اليمنى كنجم البحر. «خمسة أيام! خمسة أيام انقضت منذ وصولي إلى هذه الحياة. هذا رقمي القياسي. ربما تكون هذه حياتي...»

«من المثير أنك ستحظى بحياة باردة جدًا.»

«ومَن يعلم؟ ربما تحظين بها أيضًا... أقصد، إن لم يستطع الدب إعادتك إلى مكتبتك ربما لن يستطيع أيّ شيء آخر.» بدأ بملء الغلاية. «يخبرنا العلم إن «المنطقة الرماديّة» بين الحياة والموت مكان غامض. هنالك نقطة وحيدة لا نكون فيها. أو قد نكون أحياء وموتى في الوقت ذاته. وفي تلك اللحظة بين الثنائيات، أحيانًا، أحيانًا فقط، قد نحوّل أنفسنا إلى قطة شرودنغر التي قد تكون حية أو ميتة وقد تكون أيضًا كل احتمال كمي موجود بالتوازي مع الدالة الموجية الكونية، بما في ذلك احتمالية حديثنا في مطبخ مشترك في لونغييرباين عند الساعة الواحدة صباحًا...»

حاولت نورا استيعاب كل هذا. فكّرت في ڤولتس، بسكونه وانعدام الحياة فيه أسفل السرير وهو ممدّد على جانب الطريق.

«ولكن أحيانًا يكون القط ميتًا أو ميتًا.»

«عفوًا؟»

«لا شيء. قطي... مات. وحاولت تجربة حياة أخرى لأكتشف أنه ما زال ميتًا.»

«هذا محزن. مررت بتجربة مشابهة مع كلبي، ولكن هنالك أشخاص آخرون مثلنا. لقد عشت حيوات كثيرة، والتقيت ببعضهم. أحيانًا كل ما عليك فعله هو التعبير عن حقيقتك بصوت مرتفع وستجدين أشباهك.»

«من غير المعقول التفكير في وجود أشخاص آخرين مثلنا... بماذا أسميتنا؟»

«بالعابرين؟»

«نعم.»

«بالتأكيد هذا أمر ممكن، ولكني أظن أننا نادرون. لاحظت أن جميع مَن التقيتهم -قرابة اثني عشر شخصًا تقريبًا- كانوا يقتربون من عمرنا. في الثلاثينيات، الأربعينيات، أو الخمسينيات. أحدهم كان في التاسعة والعشرين. جميعهم يشتركون في رغبتهم العميقة لتصحيح خياراتهم. جميعهم يشعرون بالندم. بعضهم يعتقدون أن الموت أفضل لهم ولكنهم يرغبون في الحياة بنسخة بديلة من أنفسهم أيضًا.»

«حياة شرودنغر. موت وحياة في ذهنك.»

«بالضبط! وأيًا كان ما فعله ذلك الندم لعقلك -أيًا كان ذلك الحدث العصبي، الاشتياق المحيّر للموت والحياة كان كافيًا لإرسالنا لهذه الحالة *البينيّة* الكاملة.»

ارتفع صوت الغلاية، بدأ الماء بتكوين فقاعات تشبه أفكار نورا.

«لماذا نرى شخصًا واحدًا فقط في ذلك المكان؟ المكتبة، أو أشباهها.»

هزّ هوغو كتفيه. «لو كنت متديّنًا لقلت إنه الرب. ولأننا لا نستطيع رؤية الرب أو استيعابه - فإنه يصبح صورة لشخص طيّب نعرفه في حياتنا. ولو لم أكن متديّنًا -وهذا هو الواقع- سأعتقد أن العقل البشري لا يستطيع استيعاب تعقيد دالة موجية كمية مفتوحة ولهذا فإن تعقيدها يتحوّل أو يُترجم إلى هيئة بإمكاننا فهمها. أمينة مكتبة. عم لطيف في متجر أشرطة ڤيديو، إلخ.»

كانت نورا قد قرأت عن الأكوان المتوازية وعن نظرية علم النفس الغشتالتي، عن الطريقة التي تأخذ بها العقول البشريّة معلومات معقدة عن العالم لتبسيطها، ولهذا عندما ينظر الإنسان إلى شجرة تمت ترجمتها من تركيب معقد من الأوراق والفروع إلى شيء واحد يُدعى «شجرة.» أن تكون إنسانًا يعني الاستمرار في تلخيص العالم في قصة قابلة للفهم للحفاظ على بساطة الأشياء.

كانت تعرف أن كل ما يراه البشر عبارة عن تبسيط لما حولهم. يرى الإنسان العالم في ثلاثة أبعاد. هذا تبسيط لحقيقته. البشر كائنات محدودة، تغرق في التعميم، تعيش في وضعية الطيار الآلي، وتحاول تحويل الشوارع المنحنية إلى خطوط مستقيمة في عقولها، وهذا يفسّر ضياعها المستمر.

«الأمر أشبه بفشل البشر في رؤية حركة عقرب الثواني قبل استقراره» قالت نورا.

«ماذا؟»

لاحظت نورا أن ساعة هوغو كانت ساعة بعقارب. «حاول. لا يمكنك رؤية عقرب الثواني في منتصف المسافة بين ثانيتين. لا يمكن للعقول رؤية ما لا تستوعب.»

هزّ هوغو رأسه وهو يراقب ساعته.

«إذن» قالت نورا، «مهما كان ذلك الشيء الموجود بين الأكوان، فإنه حتمًا ليس مكتبة، ولكن هذه هي أسهل طريقة يمكنني فهمها. هذه فرضيتي. أرى نسخة مبسطة من الحقيقة. أمينة المكتبة ليست إلا استعارة عقليّة. والمكان بأكمله استعارة.»

«أليس هذا مذهلًا؟» قال هوغو.

تنهّدت نورا. «في آخر حياة جربتها تحدثت مع أبي الميت.»

فتح هوغو عبوة القهوة ووضع الحبيبات في كوبين.

«ولم أشرب القهوة. كنت أشرب شاي النعناع.»

«يبدو هذا شنيعًا.»

«لم يكن بهذا السوء.»

«شيء آخر غريب» قال هوغو. «في أي لحظة من هذه المحادثة تظل احتمالية اختفائنا قائمة.»

«هل شهدتَ حدوث ذلك من قبل؟» تناولت نورا الكوب من يد هوغو.

«نعم. عدة مرات. كان الأمر غريبًا. ولكن لم يلاحظه الآخرون. تصبح ذاكرتهم ضبابية لليوم الأخير، ولكنك ستصابين بالدهشة. إن عدتِ إلى المكتبة الآن، وما زلت أقف هنا أتحدث معكِ في المطبخ، ستقولين جملة أشبه بهذه «عقلي فارغ تمامًا - عمّ كنّا نتحدث؟»، عندها سأدرك أنكِ قد عدتِ إلى المكتبة وسأقول

إننا كنا نتحدث عن الأنهار الجليدية وإنكِ لم تتوقفي عن ذكر الحقائق المثيرة عنها. وسيقوم عقلك بملء الفراغات وتشكيل قصة مكتملة لما حدث.»

«نعم، ولكن ماذا عن الدب القطبي؟ ماذا عن الوجبة التي تناولناها الليلة؟ هل سأتذكر -هل ستتذكر هذه النسخة مني- ما تناولته؟»

«ليس بالضرورة. ولكني قد رأيت هذا من قبل. ستندهشين من قدرة الدماغ على ملء الفراغات. ومن كمية المعلومات التي تُمحى منه دون مشكلات.»

«إذن، كيف كنت بالأمس؟»

حدّق إلى عينيها. كانت عيناها جميلتين. شعرت نورا بانجذابها إلى فلكه وكأنها قمر صناعي يدور حول الأرض.

«رائعة، ساحرة، ذكيّة، جميلة. تمامًا مثلكِ الآن.»

ضحكت وحاولت تفادي الثناء. «توقف عن تصرفاتك الفرنسيّة.»

لحظة صمت محرجة.

«كم عدد الحيوات التي عشتها؟» قالت نورا لتكسر الصمت. «كم عدد الحيوات التي جربتها؟»

«كثيرة جدًا. قرابة ثلاث مئة حياة.»

«ثلاث مئة حياة؟»

«كنت شخصيات عديدة. زرت كل قارات الأرض. ولم أعثر على حياة تناسبني. واستسلمت لهذه الحقيقة للأبد. لن أعثر على حياة أريد عيشها للأبد. يشغلني الفضول بشأن غيرها. يسيطر

عليّ الشوق للعيش بطريقة أخرى. ولا حاجة للنظر إليّ بهذه الطريقة. لست حزينًا. أنا سعيد في عالم النسيان.»

«ولكن ماذا لو اختفى متجر أشرطة الفيديو؟» فكّرت نورا في السيدة إلم، وهي فزعة أمام شاشة الكمبيوتر، ولمعان الأضواء في المكتبة. «ماذا لو اختفيت يومًا ما للأبد؟ قبل أن تجد حياة تستقر فيها؟»

هزّ كتفيه. «سأموت عندها. وهذا يعني أنني كنت سأموت في كل الأحوال. في الحياة التي عشتها من قبل. أحب كوني عابرًا. أحب نقصاني. أحب الحفاظ على الموت كخيار. أحب فكرة البحث المستمر عن الفرصة القادمة.»

«أظن أن وضعي مختلف عنك. أعتقد أن موتي أكثر قربًا. إن لم أعثر على حياة أريد عيشها قريبًا، أظن أنني سأختفي للأبد.»

شرحت المشكلة التي تعرضت لها آخر مرة، عندما عادت.

«أوه. نعم، قد يكون هذا سيئًا. وقد لا يكون. أنتِ تدركين وجود احتمالات لا حصر لها هنا؟ أقصد، الأكوان المتعددة لا تتعلق فقط ببعض الأكوان. ولا تتعلق بعدد محدود منها. ولا بعدد هائل منها. ولا بمليون أو مليار أو تريليون كون، بل بعدد *لا نهائي* من الأكوان. حتى بوجودك فيها. بإمكانك أن تكوني في أي نسخة من العالم، ولكن من غير المرجح أن يكون العالم. لا يحدك سوى خيالك. بإمكانك الابتكار واختيار حسرات تريدين محوها. ذات مرة قمت بمحو ندمي تجاه عدم دراستي هندسة الفضاء لأصبح رائد فضاء - وهكذا أصبحت رائد فضاءٍ في أحد الحيوات. لم أصل إلى الفضاء، ولكني أصبحت شخصًا قد ذهب إلى الفضاء

لبعض الوقت. عليكِ تذكر أن هذه فرصة نادرة وأننا نستطيع محو أي خطأ ارتكبناه، لنعيش أي حياة نريدها. أي حياة. اخلقي أحلامًا كبيرة... يمكنك فعل ما تريدين لأنكِ في حياة واحدة، أنتِ ما تريدين.»

تشرب نورا قهوتها. «حسنًا.»

«ولكنك لن تعيشي حياتكِ أبدًا إن كنتِ تبحثين عن معنى الحياة» قال بحكمة.

«هذا اقتباس من ألبير كامو.»

«لقد كشفتِ أمري.»

كان يحدّق إليها. لم تنزعج نورا من كثافة طاقته، ولكنها بدأت بالقلق بشأن توترها. «كنت أدرس الفلسفة» قالت ذلك بأقصى رقة ممكنة وهي تتجنّب النظر إلى عينيه.

أصبح قريبًا منها الآن. كان هنالك أمر مزعج وجذّاب في هوغو في الوقت ذاته. كشف هوغو عن غرور وغطرسة جعلت وجهه قابلًا للصفع أو التقبيل، وفقًا للحظة.

«في حياة ما كنّا نعرف بعضنا لسنوات وكنّا زوجين...» قال لها.

«في أغلب الحيوات لا أعرفك على الإطلاق» ردّت عليه، وهي تحدّق مباشرة إلى عينيه.

«هذا أمر محزن جدًا.»

«لا أظن.»

«حقًا؟»

«حقًا.» ابتسمت.

«نحن مميزان، نورا. لقد تم اختيارنا. لا أحد يفهمنا.»

«لا أحد يفهم أحد. ولم يخترنا أحد.»

«السبب الوحيد لبقائي في هذه الحياة هو أنتِ...»

اندفعت إلى الأمام وقبّلته.

كان شعورًا ممتعًا. القبلة، واكتشافها أنها قادرة على القيام بالخطوة الأولى. وعيها بأن كل شيء قد يحدث لها قد حدث فعلًا في مكان ما، في حياة ما، حرّرها بعض الشيء من الشعور بالذنب تجاه قراراتها. كان هذا واقع الدالة الموجية الكونية. كل ما يحدث يمكن -أقنعت نفسها- تلخيصه في حدود فيزياء الكم.

«لدي غرفة تخصني» قال لها.

حدّقت إليه بلا خوف الآن، وكأن مواجهتها للدب القطبي منحتها قدرة هائلة على الهيمنة بطريقة لم تدركها من قبل.

«حسنًا هوغو، ربما يمكنك ترك عادتك.»

ولكن العلاقة معه كان مخيّبة. وتذكرت اقتباسًا لكامو، بينما كانت في السرير.

ربما لم أكن متأكدًا مما يهمّني، ولكني كنت متأكدًا تمامًا مما لا يهمّني.

لم تكن هذه إشارة إيجابية للقائهما الليلي، تفكيرها في الفلسفة الوجودية، أو تذكرها لهذا الاقتباس تحديدًا. ولكن أليس كامو هو القائل أيضًا: «عند حدوث أمرٍ ما لي، أريد أن أكون موجودًا»؟

استنتجت نورا أن هوغو شخص غريب. بالنسبة إلى رجل حميم وعميقٍ في محادثته، كان شخصًا منفصلًا عن اللحظة. ربما لو عشتَ حيوات عديدة كالتي عاشها، ستعجز عن تكوين علاقة حميميّة مع أي شخص سوى نفسك. شعرت أنه تصرّف وكأنها لم تكن موجودة على الإطلاق.

وبعد عدة لحظات، اختفت.

«من أنت؟»

«تعرفين اسمي. أنا السيدة إلم. لويز إيزابيل إلم.»

«هل أنتِ الرب؟»

ابتسمت. «أنا من أنا.»

«ومن أنت؟»

«أمينة المكتبة.»

«ولكنك لستِ شخصًا حقيقيًا. أنتِ مجرد... *آلية*.»

«ألسنا جميعًا؟»

«غير صحيح. أنتِ منتج للتفاعل الغريب بين عقلي والأكوان العديدة، تبسيط ما للدالة الموجية الكمية.»

بدت السيدة إلم متوترة بعد سماع هذه الجملة. «ماذا حدث لك؟»

فكّرت نورا في الدب القطبي وهي تحدّق في الأرضيّة الصفراء-البنية. «أوشكت أن أموت.»

«وتذكّري، إن متِّ في حياة ما، لا يمكن لكِ العودة إلى المكتبة.»

«هذا ليس عدلًا.»

«للمكتبة قواعد صارمة. الكتب ثمينة. عليكِ معاملتها بحذر.»

«ولكنها حيوات أخرى. نسخ أخرى مني. ليست *أنا* أنا.»

«نعم، ولكن بينما تجربين هذه الحيوات، أنتِ مَن سيتحمّل عواقبها.»

«حسنًا، أعتقد أن هذا سيء، لأكون صريحة معك.»

انحنت ابتسامة أمينة المكتبة عند حوافها، كورقة شجرة تسقط. «حسنًا، هذا مثير.»

«ماذا تقصدين؟»

«حقيقة أنكِ غيرتِ موقفك تجاه الموت تمامًا.»

«ماذا؟»

«كنتِ تريدين الموت في السابق والآن لم تعد هذه رغبتك.»

خافت نورا من اقتراب السيدة إلم من الحقيقة، ولو كانت ناقصة. «حسنًا، ما زلت أعتقد أن حياتي الأصلية لا تستحق العيش. وهذه التجربة أكدت لي ذلك.»

هزّت رأسها. «لا أعتقد أنك تؤمنين بهذا.»

«بلى. لذلك قلته.»

«لا. *كتاب الندم* أصبح أخف وزنًا. هنالك الكثير من المساحات البيضاء بداخله الآن... يبدو أنكِ قضيتِ حياتك بأكملها وأنتِ تتفوهين بأشياء لم تفكري فيها. هذا أحد حواجزك.»

«حواجز؟»

«نعم. لديك الكثير من الحواجز. تمنعك هذه الحواجز من رؤية الحقيقة.»

«حقيقة ماذا؟»

«حقيقة نفسك. وعليكِ المحاولة. محاولة رؤية الحقيقة. لأن هذا أمر مهم.»

«ظننت أن هنالك عددًا لا نهائيًا من الحيوات التي يمكنني الاختيار بينها.»

«عليكِ أن تختاري حياة تجعلك أكثر سعادة وإلا فإن الخيارات ستختفي قريبًا.»

«التقيت بشخص قد جرب الكثير من الحيوات لفترة طويلة وما زال يبحث عن حياة ترضيه...»

«حسنًا، لدى هوغو هبة قد لا تكون من نصيبك.»

«هوغو؟ كيف ---»

ثم تذكرت أن السيدة إلم تعرف الكثير من الأشياء.

«عليكِ الاختيار بحذر» تابعت أمينة المكتبة. «يومًا ما قد تختفي المكتبة وستختفين معها إلى الأبد.»

«كم عدد الحيوات التي أملكها؟»

«هذا ليس مصباحًا سحريًا وأنا لست جنيّة. لا يوجد عدد معين. قد تكون حياة واحدة. قد تكون مئة حياة. ولكن لديكِ عدد لا نهائي من الحيوات التي تستطيعين الاختيار بينها ما دام الوقت في مكتبة منتصف الليل يظل عند *منتصف الليل*. لأنه عند منتصف الليل هنا، حياتك -حياتك الأصلية- معلّقة بين الحياة والموت. إن تحرّك الوقت هنا، يعني هذا أن أمرًا...» بحثت عن كلمة دقيقة لاستخدامها. «... حاسمًا قد حدث. وسيدمر ذلك مكتبة منتصف الليل، لنختفي معها. لذلك من الأفضل التصرف بحذر. ولو كنت مكانك لفكرت مليًا في المكان الذي أريد الذهاب إليه. من الواضح أنكِ حققتِ تقدمًا، أستطيع ملاحظة ذلك. يبدو أنكِ تدركين الآن أن الحياة تستحق العيش، عليكِ الآن إيجاد الحياة المناسبة لوجودك. وعليكِ إيجادها قبل أن تُغلق بوابة العبور إليها.»

عمّ الصمت فترة طويلة، بينما كانت نورا تراقب كل الكتب من حولها. كل الاحتمالات. بهدوء وببطء، مشت عبر الممر، متسائلة عمّا وراء أغلفة الكتب، متمنّية أن تطلعها ألوان الكتب الخضراء على أسرارها.

«الآن، أيّ الكتب ستختارين؟» اقتحمت صمتها كلمات السيدة إلم من ورائها.

تذكرت نورا كلمات هوغو في المطبخ عن الأحلام الكبرى.

كانت لأمينة المكتبة نظرة نافذة. «مَن هي نورا سييد؟ وماذا تريد؟»

عندما فكّرت نورا في أقرب الطرق الموصلة إلى السعادة، خطرت لها الموسيقى. نعم، كانت تعزف البيانو أحيانًا، ولكنها توقفت عن *تأليف* الموسيقى. تخلّت عن الغناء. تذكّرت تلك الحفلات الأولى في الحانات وهي تعزف "Beautiful Sky" فكّرت في أخيها وهو يمازحها على خشبة المسرح مع رافي وإيلا.

والآن عرفت الكتاب التي ستطلبه بالضبط.

كانت تتعرّق. هذه أولى الملاحظات. كان جسدها مفعمًا بالأدرينالين وملابسها ملتصقة بها. حولها عدد من الأشخاص، بعضهم يحملون غيتارات. يمكنها سماع الضجيج. أصوات ضجيج بشري هائل -هدير حياة يجد إيقاعه وشكله ببطء. ويتحوّل إلى ترنيمة.

رأت أمامها امرأة، تمسح وجهها بمنشفة.

«شكرًا» قالت نورا، وهي تبتسم.

بدت علامات الدهشة على المرأة، وكأن الرب قد تحدّث إليها.

لاحظت رجلًا يقرع الطبول على المسرح. كان رافي. كان شعره مصبوغًا باللون الأبيض والأشقر وكان يرتدي بدلة رسمية زرقاء دون قميص. بدا وكأنه شخص مختلف تمامًا عن ذلك الذي رأته في متجر المجلات في بدفورد بالأمس، أو ذلك الذي رأته بين الحضور في قاعة فندق إنتركونتينتال عندما ألقت خطابها الكارثي.

«رافي» قالت، «تبدو رائعًا!»

«ماذا؟»

لم يسمعها بسبب الضجيج، ولكنها عادت إليه الآن بسؤال آخر.

«أين جو؟» سألته وهي تصرخ.

بدت علامات الحيرة على رافي، أو الخوف، وأعدت نورا نفسها لسماع خبر صاعق. ولكنه لم يأتِ.

«كالعادة، على ما أعتقد. يتحدث مع الصحافة العالميّة.»

لم تكن لدى نورا أي فكرة عمّا يحدث. يبدو أن رافي ما زال في الفرقة الموسيقية، ولكنه لم يكن يعزف معهم على المسرح. وإن لم يكن عضوًا في الفرقة، فمن الواضح أنّ ما دفعه لتركها لم يتسبب في رحيله. ويبدو ممّا قاله رافي، أن جو ما زال عضوًا في الفرقة. لم تكن إيلا موجودة. عازف الغيتار كان رجلًا مفتول العضلات حليق الرأس له العديد من الوشوم. أرادت معرفة المزيد، ولكن الوقت لم يكن مناسبًا.

حرّك رافي يده في الهواء باتجاه مسرح كبير حتى تراه نورا.

«حان وقت إعادة العرض» قال رافي.

حاولت نورا التفكير. مرّ وقت طويل على آخر عرض مباشر لها. ولم تقم بالغناء من قبل لأكثر من اثني عشر شخصًا لا يهتمون لأمرها في قبو أحد الحانات.

مال رافي نحوها. «هل أنتِ بخير، نورا؟»

كانت كلماته جافة. الطريقة التي نطق بها اسمها ذكّرتها بالاستياء ذاته الذي لمسته منه عندما التقته بالأمس في حياة أخرى.

«نعم» قالت، وهي تصرخ الآن. «بالتأكيد. فقط... لا أعرف ماذا سأقدم في هذا العرض.»

هزّ رافي كتفيه. «المعتاد.»

«همم. نعم. صحيح.» حاولت نورا التفكير. نظرت إلى المسرح. رأت شاشة الفيديو العملاقة وقد كُتب عليها اسم الفرقة *المتاهات* بخط كبير، يومض ويدور أمام الحشد الصاخب. *واو*، فكّرت نورا.

إننا فرقة ضخمة. بضخامة تملأ مدرجات ملعب كامل. رأت مقعدها والبيانو الكهربائي حيث كانت تعزف. زملاؤها في الفرقة أوشكوا على العودة إلى المسرح. لم تكن تعرف أسماءهم.

«أين نحن؟» سألتهم وسط الضجيج. «لقد نسيت تمامًا.»

أجابها الرجل الضخم حليق الرأس وهو يحمل غيتاره: «ساو پاولو.»

«نحن في البرازيل؟»

نظر الجميع إليها وكأنها أصيبت بالجنون.

«أين كنتِ في الأيام الأربعة الماضية؟»

«سأغني "Beautiful Sky"» قالت نورا، وهي تدرك أنها قد تتذكر أغلب كلماتها. «لنبدأ بها.»

«مرة أخرى؟» ضحك رافي، ووجهه يلتمع من العرق. «غنيناها قبل عشر دقائق.»

«حسنًا. استمعوا إليّ» قالت نورا، صوتها كان صرخة فوق ضجيج الحشد وهو يطالب ببدء العرض. «كنت أفكر في عرض مختلف. لنمزجه بعض الشيء. أفكر في القيام بأغنية مختلفة عن المعتاد.»

«علينا اختيار "Howl"» قالت إحدى العازفات في الفرقة وهي تحمل غيتارها فيروزي اللون. «دائمًا ما نغنّيها.»

لم تسمع نورا بهذه الأغنية في حياتها.

«نعم، أعرف» حاولت إقناعهم، «ولكن لنقم بأداء لا يتوقعه الجمهور. لنفاجئهم.»

«أنتِ تبالغين في التفكير نورا» قال رافي.

«لا أستطيع التفكير بطريقة أخرى.»

هزّ راڤي كتفيه. «ماذا سنفعل إذن؟»

حاولت نورا التفكير. تذكّرت آش -وكتاب أغاني سايمون وغارفنكل. «لنعزف أغنية "Bridge Over Troubled Water".»

شعر راڤي بالريبة. «ماذا؟»

«أظن أن علينا اختيار هذه الأغنية. أريد مفاجأة الجمهور.»

«أحب تلك الأغنية» قالت إحدى العازفات في الفرقة. «وأعرفها.»

«الجميع يعرفها، إيماني» قال راڤي بطريقة رافضة.

«بالضبط» قالت نورا، وهي تحاول أن تتحدث كنجوم الروك، «لنفعلها.»

صعدت نورا إلى المسرح.

في البداية لم تستطع رؤية وجوه الجمهور، لأن الأضواء كانت باتجاهها، وبدا كل ما وراء ذلك الوهج ظلامًا. عدا مجرة مدهشة من أضواء الكاميرات والهواتف تشبه درب التبانة.

بإمكانها سماع أصواتهم.

عند اجتماع عدد كافٍ من البشر في انسجام كامل يتحوّل الحشد إلى شيء آخر. الهدير الجمعي جعلها تفكّر في حيوان مختلف تمامًا. شعرت بالخطر في البدء، وكأنها هرقل يواجه هيدرا ذات رؤوس عديدة وهي تحاول قتله، ولكن هدير الحشود كان داعمًا لنورا، وطاقته أعطتها نوعًا من القوّة.

أدركت، في تلك اللحظة، أنها كانت قادرة على فعل الكثير.

اقتربت من البيانو الكهربائي، جلست على المقعد وجذبت مكبر الصوت إليها.

«شكرًا ساو پاولو» قالت. «نحبكم.»

وهدرت البرازيل استجابة لها.

كانت هذه سُلطة وقوة كما بدا لها. سلطة الشهرة. كأساطير البوب الذين كانت تراهم في وسائل التواصل الاجتماعي، والذين بإمكانهم الحصول على مليون إعجاب بكلمة واحدة. الشهرة الكاملة في الوصول إلى مرحلة تصبح فيها بطلًا، عبقريًا، أو إلهًا، بأدنى جهد ممكن. ولكن يكمن الجانب السلبي من الشهرة في أنها غير مستقرّة. من السهل السقوط والظهور بمظهر الشيطان أو الشرير، أو مجرد شخص أحمق.

تسارعت نبضات قلبها، وكأنها ستضع قدمها على حبل رفيع.

يمكنها رؤية بعض الوجوه الآن، الآلاف منها، تظهر في الظلام. كانت الأجسام الصغيرة الغريبة المغطاة بالملابس تكاد تختفي. كانت تحدّق باتجاه عشرين ألف رأس دون جسد.

كان فمها جافًا وبالكاد تستطيع الكلام، لذلك تساءلت إن كانت ستستطيع الغناء. تذكّرت سخرية دان منها وهي تغني له.

هدأ ضجيج الحشد.

حان الوقت.

«حسنًا» قالت. «هذه أغنية ربما قد سمعتموها من قبل.»

كانت هذه جملة غبية، أدركت نورا. من الواضح أنهم دفعوا

ثمن هذه التذاكر لحضور حفل موسيقي لأنهم يعرفون أغلب هذه الأغاني.

«إنها أغنية تعني لي ولأخي الكثير.»

كان المكان يثور كالبركان. صرخت الحشود وهدرت وصفقت وترنّمت. كانت ردة فعل الجمهور استثنائية. شعرت، للحظات، أنها مثل كليوپاترا. كليوپاترا مرعوبة.

رتّبت أصابع يديها لتعزف على مفتاح مي-كبير منخفض، تشتت انتباهها للحظة بعد رؤيتها وشمًا على ساعدها الخالي من الشعر، كُتب الوشم بخط جميل. كان اقتباسًا لهنري ديڤيد ثورو. *كل الأشياء الجيدة جامحة وحرّة*. أغمضت عينيها ونذرت على نفسها ألّا تفتحهما حتى تنتهي من الأغنية.

فهمت حينها لماذا أحبّ شوپان العزف في الظلام. لقد كان ذلك أسهل بكثير.

جامحة، قالت لنفسها. *حرّة*.

كانت تشعر بالحياة وهي تغنّي. أكثر حياةً من تلك التي شعرت بها وهي تسبح بجسدها الأولمبي.

تساءلت عن سبب خوفها من هذه الحياة، من الغناء أمام الحشود. كان شعورًا رائعًا.

جاء إليها راڤي عند نهاية الأغنية، وهما على المسرح. «كان أداءً استثنائيًا» صرخ في أذنها.

«أوه جميل» قالت.

«لننهي الأمر الآن بأغنية "Howl".»

هزّت رأسها، ثم تحدّثت باستخدام مكبّر الصوت على عجل،

قبل أن يسبقها أحد. «شكرًا لكم على مجيئكم! أتمنى أنكم قد استمتعتم بهذه الليلة. عودوا إلى منازلكم بأمان.»

«عودوا إلى منازلكم بأمان؟» قال راقي في طريق العودة إلى الفندق. لم تعهد نورا منه التصرف بهذه الحماقة. بدا الغضب واضحًا عليه.

«ما المشكلة فيما قلته؟» تساءلت بصوت مرتفع.

«لم يكن هذا أسلوبك العادي.»

«فعلًا؟»

«مختلف تمامًا عن شيكاغو.»

«لماذا؟ ماذا فعلت في شيكاغو؟»

ضحك راقي. «هل تم استئصال مخك؟»

نظرت إلى هاتفها. في هذه الحياة كانت تملك أحدث طراز.

رسالة من إيزي.

كانت الرسالة ذاتها التي تلقتها في حياتها مع دان، في الحانة. ليست رسالة نصية بل صورة حوت. قد تكون صورة مختلفة بعض الشيء لحوت آخر. كان هذا غريبًا. لماذا استمرت صداقتها بإيزي في هذه الحياة ولم تستمر في حياتها الأصلية؟ كانت متأكدة من أنها لم تتزوج دان في هذه الحياة. تفقّدت يدها وارتاحت عندما تأكدت من خلو بنصرها من أيِّ خاتم.

افترضت نورا أن صداقتها بإيزي استمرت لأنها أصبحت مشهورة في الفرقة الموسيقية *قبل* أن تقرر إيزي الذهاب إلى أستراليا، ولهذا فإن قرار نورا بعدم الذهاب مع إيزي قد يكون

أكثـر منطقيّـة. أو ربمـا أحبّـت إيـزي فكـرة صداقتهـا مـع شـخص مشـهور مثـل نـورا.

كتبت إيزي جملة أسفل صورة الحوت.

كل الأشياء الجيدة جامحة وحرّة.

من المؤكد أنها تعرف وشم نورا.

وصلت رسالة أخرى منها.

«أتمنـى أن تكـون البرازيـل ممتعـة. متأكـدة أنـكِ أبدعـتِ فـي الحفل! وعشـرة ملاييـن شـكرٍ لـكِ على حل مشـكلة تذاكـر بريسـبان. أنـا متحمّسـة جـدًا. كمـا نقـول نحـن أهـل الشـاطئ الذهبـي.»

كان هنالـك عـدد مـن أيقونـات إيموجـي لحيتـان وقلـوب وأيـدٍ شـاكرة ومكبـر صـوت وبعـض النوتـات الموسـيقية.

تفقّدت نـورا حسـابها علـى إنسـتقرام لتجـد أن لديهـا 11.3 مليـون متابـع فـي هـذه الحيـاة.

وكانـت تبـدو جميلـة جـدًا. لـون شـعرها الأسـود الطبيعـي الـذي تتخلّلـه أشـرطة بيضـاء. مسـاحيق تجميـل جعلتهـا تبـدو كمصّاصـة دمـاء. وثقـب حلق فـي شـفّتها. بـدت عليهـا علامـات التعـب ولكنهـا افترضـت أن هـذه نتيجـة طبيعيـة للسـفر وإقامـة الحفـلات. كان نوعًـا فاتنًـا مـن التعـب. مثـل عمّـة بيلـي آيليـش.

التقطـت صـورة سـيلفي، وعلـى الرغـم مـن أن الصـورة لـم تكـن مماثلـة للصـور التـي رأتهـا فـي صفحتهـا مـن ناحيـة التجميـل والمؤثـرات، بـدت أروع بكثيـر ممـا تخيّلـت. وكمـا فعلـت فـي حياتهـا الأسـتراليّة، كانـت تكتـب القصائـد وتنشـرها علـى الإنترنـت. الفـرق أنـه فـي هـذه الحيـاة، حصلـت كل قصيـدة وضعتهـا علـى أكثـر مـن

نصف مليون إعجاب. إحدى قصائدها كانت تحمل العنوان ذاته الذي حملته قصيدتها في أستراليا «نار.»

كانت النار في داخلها.

تساءلت إن كانت النار لتدفئتها أم لتدميرها.

ثم أدركت.

ليس للنار دوافع.

هي وحدها من تملكها.

كانت القوّة بين يديها.

جلست امرأة إلى جانبها. لم تكن هذه المرأة في الفرقة، ولكنها كانت تنضح بالأهمية. كانت تقترب من سن الخمسين. ربما كانت مديرة الفرقة. ربما عملت في شركة التسجيل. كانت تتحلى بصفات الأمهات الحازمات، ولكنها بدأت بابتسامة.

«كانت فكرة لا نظير لها» قالت. «فكرة أغنية سايمون وغارفنكل. أمريكا الجنوبيّة بأكملها تتحدث عنك على الإنترنت.»

«رائع.»

«وضعت منشورًا عنه باستخدام حساباتك.»

قالت هذه الجملة وكأنه أمر طبيعي. «أوه. حسنًا.»

«هنالك عدة مقابلات صحفيّة متأخرة هذه الليلة في الفندق. ثم علينا البدء مبكرًا في الغد... سنذهب إلى ريو أولًا، ثم سنقضي ثماني ساعات مع الصحفيين. في الفندق.»

«ريو؟»

«أنتِ على علم بجدول رحلات هذه الأسبوع، صحيح؟»

«ممم، إلى حدٍ ما. هل بإمكانك تذكيري مرة أخرى؟»

تتنهّد، وتتقبّل الأمر بروح فكاهية، وكأن عدم معرفة نورا بالجدول كان يتسق مع شخصيتها. «بالتأكيد. ريو غدًا. ليلتان. ثم الليلة الأخيرة في البرازيل -پورتو أليغري- ثم سانتياغو، تشيلي، بيونس آيرس، ثم ليما. وبهذا تنتهي جولتنا في أمريكا الجنوبية، ثم سنبدأ بالجولة الآسيوية بداية الأسبوع المقبل - اليابان، هونغ كونغ، الفلبين، تايوان.»

«پيرو؟ نحن مشهورون في پيرو؟»

«نورا، لقد ذهبتِ إلى پيرو من قبل، ألا تذكرين؟ السنة الماضية. جنّ جنون الحضور. خمسة آلاف شخص. في المكان ذاته. مضمار السباق.»

«مضمار السباق. نعم بالتأكيد. أتذكر. كانت ليلة رائعة. حقًا.»

هكذا شعرت أن حياتها. مضمار واحد كبير. لم تكن تعرف إن كانت الحصان أم الفارس في تلك الاستعارة.

نقر رافي كتف تلك المرأة. «جوانا، متى موعد البودكاست غدًا؟»

«أوه تبًا. إنه الليلة. الأوقات. آسفة. نسيت أن أخبركم، ولكنهم يريدون الحديث مع نورا فقط. يمكنك الذهاب إلى غرفتك مبكرًا إن أردت.»

أجاب رافي بكآبة. «بالتأكيد، حسنًا.»

تنهّدت جوانا. «لا تقتل الرسول. رغم أن هذا لم يوقفك من قبل.»

تساءلت نورا مجددًا عن مكان أخيها، ولكن التوتر بين جوانا

وراقـي جعـل موقفهـا صعبًـا ولـم تسـتطع السـؤال عـن أمـر ينبغـي لهـا معرفتـه. لذلـك حدّقـت عبـر نافـذة الحافلـة وهـي تعبـر طريقًـا سـريعًا مكونًـا مـن أربعـة مسـارات. الأضـواء السـاطعة لمصابيـح السـيارات والشـاحنات والدبابـات فـي الظـلام، كالأعيـن الحمـراء المراقِبـة. ناطحـات سـحاب بعيـدة بمربعـات ضئيلـة مـن الضـوء أمـام خلفيـة رطبـة مـن السـماء المظلمـة والسـحب الأكثـر ظلامًـا. جيـش مـن الأشـجار والظـلال يصطـف فـي الطريـق السـريع، ليقسـمه إلـى اتجاهيـن.

إن بقيـت فـي هـذه الحيـاة حتـى مسـاء الغـد، سـيتحتم عليهـا أداء حفـل كامـل والغنـاء طـوال الوقـت، لـم تكـن تعـرف أغلـب تلـك الأغنيـات. تسـاءلت إن كان بإمكانهـا حفـظ الأغانـي بسـرعة.

رنّ هاتفها. مكالمة ڤيديو. كان المتصل «رايان.»

رأت جوانا الاسم وابتسمت بعض الشيء. «عليكِ الإجابة.»

وهكـذا فعلـت، رغـم أنهـا لا تعـرف رايـان، وكانـت صورتـه علـى الشاشـة مبهمـة ولـم تسـتطع التعـرّف عليهـا.

ظهر وجهه أخيرًا. وجه تعرفه من الأفلام والخيالات.

«أهلًا، عزيزتي. ما زلنا أصدقاء، أليس كذلك؟»

تذكّرت صوته أيضًا.

أمريكي، خشن، ساحر. مشهور.

سمعت جوانـا وهـي تهمس لأحدهـم فـي المركبـة: «إنهـا تتحـدث مـع رايـان بيلـي.»

رايان بيلي.

رايـان بيلـي شـخصيًا. رايـان بيلـي الـذي عـاش فـي خيالاتهـا وأحلامهـا، وتحدثـت معـه عـن أفلاطـون وهايدغـر عبـر حجـاب مـن البخـار فـي حوضـه السـاخن غـرب هوليـوود.

«نورا؟ ما زلت معي؟ تبدين خائفة.»

«أمـم، نعـم. أنـا... نعـم... أنـا... أنـا فقـط... أنـا هنـا... فـي حافلـة... كبيـرة... فـي جولـة... نعـم... أهـلًا.»

«خمّني مكاني.»

لـم يكـن لديهـا أيّ فكـرة عـن مكانـه. «حمـام سـاخن» كانـت إجابـة غيـر لائقـة. «لا أعـرف بصراحـة.»

وجّـه كاميـرا الهاتـف مـن حولـه لتـرى ڤيـلا شاسـعة الأركان وفاخـرة المنظـر، مليئـة بالأثـاث المشـرق وأرضيّـة التراكوتـا وسـرير عمـلاق مغطـى بشـبكة ضـد البعـوض.

«نايارِيـت، المكسـيك.» نطـق المكسـيك بلكنـة إسـبانية سـاخرة. كان مظهـره وصوتـه مختلفًـا بعـض الشـيء عـن رايـان بيلـي فـي الأفـلام. أكثـر انتفاخًـا، أكثـر إدغامًـا. أكثـر شـربًا للكحـول، ربمـا.

«فـي مقـر التصويـر. إننـا نعمـل علـى فيلـم *Saloon 2*.»

«“Last Chance Saloon 2?”أوه، أريد رؤية الفيلم الأول.»

ضحك وكأنه سمع أكثر النكات إضحاكًا.

«ما زلت جافة كعادتك، نونو.»

نونو؟

«سأمكث في كاسا دي ميتا» استمر في حديثه. «هل تذكرين؟ نهاية الأسبوع التي قضيناها هنا؟ لقد وضعوني في الفيلا ذاتها. هل تذكرين؟ سأشرب مزكال مارغريتا في صحتك. أين أنتِ؟»

«في البرازيل. كنّا نقيم حفلًا في ساو پاولو.»

«واو. على اليابسة ذاتها. هذا رائع. نعم رائع.»

«كان الحفل رائعًا حقًا» قالت له.

«يبدو كلامك رسميًا جدًا.»

كانت نورا واعية أن نصف ركّاب الحافلة يستمعون إلى محادثتها. كان راڤي يحدّق إليها وهو يشرب زجاجة بيرة.

«أنا فقط... كما تعرف... في الحافلة... هنالك العديد من الناس حولي.»

«الناس» تنهّد وكأنها شتيمة. «الناس موجودون دائمًا. هذه هي المشكلة اللعينة. ولكني كنت أفكر مؤخرًا في حديثك على برنامج جيمي فالن...»

حاولت نورا التظاهر وكأن كل جملة يقولها لم تكن أشبه بحيوان يركض باتجاه الطريق.

«ماذا قلت؟»

«حديثك عن نهاية ما بيننا. وعن عدم وجود مشاعر سيئة. أردت أن أشكرك على ما قلته. لأنني أعرف أنني شخص مُتعِب. أعرف ذلك. ولكني أعمل على ذلك. المعالج النفسي الذي أزوره بارع جدًا.»

«هذا... رائع.»

«اشتقت إليكِ، نورا. لقد عشنا أوقات عظيمة. ولكن الحياة أكثر من مجرد علاقة حميميّة رائعة.»

«نعم» قالت نورا، وهي تحاول السيطرة على خيالها. «بالتأكيد.»

«لقد استمتعنا بكل أنواع العظمة. ولكنكِ محقة في قرار إنهاء علاقتنا. لقد اتخذتِ القرار الصحيح، من المنظور الكوني للأشياء. لا يوجد رفض، بل تحوير. أتعلمين، كنت أفكر كثيرًا في شأن الأكوان. بدأت بالانسجام. وأخبرتني الأكوان بأنني بحاجة لإصلاح حياتي. إنه التوازن. علاقتنا كانت حادة وحياتنا كانت حادة أكثر من اللازم وأصبح الأمر أشبه بقانون داروين الثالث للحركة. عن الفعل الذي يؤدي إلى ردة فعل. كان علينا التوقف. وأنتِ استطعت رؤية ذلك ونحن الآن ذرات تسبح في الكون قد تلتقي من جديد يومًا ما في فندق شاتو مارمونت...»

لم تعرف نورا بماذا ترد عليه. «أعتقد أنك تقصد نيوتن.»

«ماذا؟»

«القانون الثالث للحركة.»

مال برأسه، مثل كلب حائر. «ماذا؟»

«لا عليك. لا يهم.»

تنهّد.

«على كل حال، سأشرب المارغريتا هذه. لدي جلسة تدريب مبكرة. مزكال، آترين. ليست تيكيلا. عليّ الحفاظ على نقاء ما أشرب. لديّ مدرّب جديد. رجل فنون قتالية. حاد جدًا.»

«حسنًا.»

«ونونو...»

«نعم؟»

«هل يمكنك مناداتي باسمي الخاص مرة أخرى؟»

«امم ---»

«تعرفينه جيدًا.»

«بالتأكيد. نعم.» حاولت أن تفكر في عدد من الاحتمالات. *راي-راي؟ راي بريد؟ أفلاطون؟*

«لا أستطيع.»

«الناس؟»

تظاهرت بالنظر من حولها. «بالضبط. الناس. بالإضافة إلى أننا تجاوزنا تلك المرحلة، لم يعد الأمر... لائقًا.»

ابتسم ابتسامة حزينة. «اسمعي. سأحضر حفلتك الأخيرة في لوس أنجلوس. في الصف الأول. مركز ستابلز. لن تتمكني من إيقافي، هل فهمتِ؟»

«هذا لطيف جدًا.»

«أصدقاء للأبد؟»

«أصدقاء للأبد.»

أحسّت نورا باقتراب نهاية المكالمة، وفجأة أرادت أن تسأله سؤالًا.

«هل كنت مهتمًا بالفلسفة فعلًا؟»

تجشأ. كان من الغريب إدراك حقيقة أن رايان بيلي إنسان في جسد بشري قد يطلق الغازات بعض الأحيان.

«ماذا؟»

«الفلسفة. قبل سنوات عديدة، عندما كنت تلعب دور أفلاطون في مسلسل *أهل أثينا*، في إحدى مقابلاتك قلت إنك تقرأ كتب الفلسفة.»

«أقرأ *الحياة*. والحياة فلسفة.»

لم تعرف نورا قصده، ولكنها كانت فخورة بهذه النسخة من ذاتها التي استطاعت أن تتخلى عن نجم سينمائي من الصف الأول.

«أظن أنك تحدثت حينها عن قراءة مارتن هايدغر.»

«مَن مارتن هوت دوغ؟ أوه، أظن أنها مجرد إجابة فارغة للصحافة. تعرفين هذا.»

«نعم، بالتأكيد.»

«أديوس، أميغا.»

«أديوس، رايان.»

انتهت المكالمة وكانت جوانا تبتسم وتنظر إلى نورا، دون أن تقول شيئًا.

كانت هنالك هالة مريحة ومطمئنة حول جوانا. تخيّلت نورا أن هذه النسخة منها أحبّت جوانا. ثم تذكرت أن عليها أن تكون ضيفة بودكاست للحديث نيابة عن الفرقة. الفرقة التي لا تعرف أسماء نصف أعضائها، أو حتى عنوان ألبومها الأخير. أو *أي* ألبوم.

وصلت الحافلة إلى فندق ضخم خارج المدينة. سيارات فارهة بنوافذ مظللة. أشجار نخيل ملفوفة بأضواء جنيّة. تصاميم معمارية من كوكب آخر.

«هذا قصر سابق» قالت لها جوانا. «صممه مصمم معماري

برازيلـي بـارع. نسـيت اسـمه.» بحثـت عنـه. «أوسـكار نيمايـر» قالـت بعـد لحظـة. «مصمـم حديـث. ولكـن هـذا التصميـم أكثـر فخامـة عـن بقيـة أعمالـه. أفضـل فنـدق فـي البرازيـل...»

ثـم رأت نـورا جمعًـا صغيـرًا مـن المعجبيـن يحملـون هواتفهـم ويمـدّون أذرعتهـم، وكأنهـم متسـولون يحملـون أوعيـة فارغـة، لتوثيـق وصولهـا.



قد تملك كل شيء دون أن تشعر بشيء.

@NoraLabyrinth, 74.8K Retweets, 485.3K Likes

طبق فضي من كعك العسل

كان من غير المعقول التفكير أن هذه الحياة توجد إلى جانب حيواتها الأخرى في الأكوان العديدة، وكأنها نوتة أخرى في وتر.

لم تستطع نورا تصديق أنها كانت تعاني في إحدى حيواتها لدفع أجر شقة، وتتسبب في أخرى بإثارة جنون المعجبين حول العالم.

المعجبون الذين صوّروا لحظات وصول حافلة نورا إلى الفندق كانوا ينتظرونها للحصول على توقيعها. لم يكترثوا لبقية أعضاء الفرقة، ولكنهم كانوا يتوقون إلى الحديث مع نورا.

نظرت إلى إحدى المعجبات، بعد أن خطت على الحصى باتجاه الحشد. كان للفتاة وشوم عديدة وكانت ترتدي زيًا جعلها تبدو كفتاة متحرّرة في نسخة خيال علمي من حرب ما بعد نهاية العالم. كان شعرها مسرحًا تمامًا مثل شعر نورا بأشرطة بيضاء شبيهة.

«نورا! نووراااه! أهلًا! نحبك، يا ملكة! شكرًا لمجيئك إلى البرازيل! أنتِ رائعة!» ثم تعالت الصيحات: «نورا! نورا! نورا!»

وبينما كانت توقع للمعجبين بخربشات لا يمكن قراءتها، خلع شاب في مقتبل العشرينيات قميصه وطلب منها أن توقع على كتفه.

«سأحوّل توقيعك إلى وشم» قال لها.

«حقًا؟» سألته، وهي تكتب اسمها على جسده.

«هذه أهم لحظة في حياتي» قال بحماس. «اسمي فرانشيسكو.»

تساءلت نورا، كيف يمكن لكتابتها على جلده بقلم سائل أن تكون أهم لحظة في حياته.

«لقد أنقذتِ حياتي. "Beautiful Sky" أنقذت حياتي. تلك الأغنية. إنها مفعمة بالطاقة.»

«أوه. أوه واو. "Beautiful Sky"؟ تعرف هذه الأغنية؟»

انفجر الشاب ضاحكًا. «أنتِ طريفة جدًا! لهذا السبب أنتِ بطلتي! أحبكِ كثيرًا! هل أعرف "Beautiful Sky"؟ أنتِ عبقرية!»

لم تعرف نورا كيف ترد. الأغنية الصغيرة التي كتبتها عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها في الجامعة في بريستول قد غيّرت حياة شخص في البرازيل. كان الأمر كثيرًا عليها.

من الواضح أن هذه الحياة هي قدر نورا. شكّت في عودتها إلى المكتبة. بإمكانها التأقلم مع هذا التبجيل لأنه أفضل بكثير من بقائها في بدفورد، لتستقل الحافلة رقم 77، وتهمهم أغانيها الحزينة وهي تحدق عبر النافذة.

وقفت لالتقاط صور سيلفي.

كادت امرأة شابة أن تبكي. كانت تحمل صورة كبيرة لنورا وهي تقبّل رايان بيلي.

«شعرت بالحزن عندما قررتِ تركه!»

«أعرف، نعم، لقد كان أمرًا حزينًا. ولكن، كما تعلمين، هذه الأشياء تحدث. إنه... منعطف للتعلّم.»

ظهرت جوانا قرب ذراع نورا وقادتها بلطف بعيدًا عن المعجبين، باتجاه الفندق.

عند وصولها إلى بهو الفندق الأنيق المعطّر برائحة الياسمين (رخام، ثريّات، أزهار) رأت بقية أعضاء الفرقة عند بار الفندق. ولكن، أين أخوها؟ ربما كان يتحدث إلى الصحافة في مكان آخر.

وبينما كانت تسير باتجاه البار، أدركت أن الجميع -حامل الحقائب، موظفو الاستقبال، الضيوف- كانوا ينظرون إليها.

كانت نورا على وشك استغلال الفرصة للسؤال عن مكان أخيها عندما أشارت جوانا إلى رجل كان يرتدي قميصًا قد كُتب عليه اسم الفرقة بخط فيلم خيال علمي عتيق. يبدو أن الرجل في أربعينياته، بلحية رمادية وشعر رقيق، ولكنه كان متأثرًا بحضور نورا المهيب. انحنى عندما سلّم على نورا.

«أنا مارسيلو» قال لها. «شكرًا لموافقتك على إجراء المقابلة.»

لاحظت نورا وجود رجل آخر خلف مارسيلو -أصغر منه، لديه بعض الحلق، الوشوم وكان يبتسم بشدة- يحمل معه أدوات التسجيل.

«لقد حجزنا مكانًا هادئًا في البار» قالت جوانا. «ولكن... هنالك بعض الزبائن، لذلك من الأفضل إجراء المقابلة في جناح نورا.»

«عظيم» قال مارسيلو. «عظيم، عظيم.»

وبينما كانوا يسيرون باتجاه المصعد، نظرت نورا إلى الخلف لترى بقية أعضاء الفرقة. «أتعرف، هل تريد الحديث مع بقية الأعضاء أيضًا؟» قالت لمارسيلو. «إنهم يتذكرون أشياء لا أتذكرها. الكثير منها.»

ابتسم مارسيلو وهزّ رأسه وقال بلطف، «من الأفضل أن نستمر كما نحن، أشعر...»

«أوه، حسنًا» قالت.

كل الأعين كانت تحدق إليهم وهم ينتظرون وصول المصعد. مالت جوانا لتقترب من نورا.

«هل أنتِ بخير؟»

«بالتأكيد. نعم. لماذا؟»

«لا أعرف. تبدين مختلفة الليلة.»

«مختلفة، كيف؟»

«فقط... مختلفة.»

وعند دخولهم إلى المصعد طلبت جوانا من امرأة أخرى، كانت نورا قد رأتها في الحافلة، أن تحضر لهم بعض المشروبات من بار الفندق -بيرتان لمارسيلو وزميله، زجاجة مياه معدنية فوّارة لنورا وكايپرينيا لجوانا.

«وأحضري المشروبات إلى الجناح، مايا.»

ربما كنت لا أشرب الكحول في هذه الحياة، فكّرت نورا، وهي تخرج من المصعد وتسير على السجادة الورديّة الفخمة بلون السلمون وتتجه نحو جناحها.

ثم دخلت الجناح، حاولت أن تتصرف وكأن كل شيء طبيعي. هذه الغرفة الضخمة، المؤدية إلى غرفة ضخمة أخرى، المؤدية إلى حمّام ضخم. كان هنالك باقة ورد عملاقة بانتظارها، مع بطاقة موقعة من مدير الفندق.

واو، قاومت التعبير عن دهشتها، وهي تحدّق حولها لترى الأثاث الباذخ، الستائر الممتدة من السقف حتى الأرضيّة، السرير الأبيض البكر بمساحة فدان، التلفزيون بحجم سينما صغيرة، الشامپانيا على الثلج، الطبق الفضي المليء «بكعك العسل البرازيلي» كما كُتب على البطاقة.

«لا تعتقدي أنكِ ستأكلين أيًا منها» قالت جوانا، وهي تأخذ إحدى القطع من الطبق. «الآن عليكِ الالتزام بالخطة الجديدة. طلب مني هارلي أن أراقبك.»

شاهدت نورا جوانا وهي تقضم الكعك وتساءلت عن جدوى خطة كهذه لا تسمح لها بأكل شيء لذيذ مثل هذا الكعك البرازيلي. لم تكن تعرف مَن يكون هارلي، ولكنها عرفت أنه لا يروق لها.

«أيضًا... لمعلوماتك، ما زالت الحرائق تشتعل في لوس أنجلوس وقررت السلطات إخلاء نصف كالاباسس الآن، ولكننا نرجو ألا تصل النيران إلى ارتفاع منزلك هناك...»

لم تعرف نورا هل تفرح لفكرة امتلاكها منزلًا في لوس أنجلوس، أم تحزن لأنه قد يحترق.

استغرق الرجلان البرازيليان عدة لحظات لتركيب معداتهما. وغاصت نورا في الأريكة الواسعة في غرفة المعيشة بينما شرحت لها جوانا -وهي تعتني ببعض الفتات حول فمها بأصابعها المثقلة بطلاء الأظافر- أن هذا البودكاست، *أو سوم*، هو الأشهر في البرازيل.

«جمهورهم متنوّع ورائع» قالت جوانا بحماس. «وأرقامهم فلكية. يستحق مشاركتك بالتأكيد.»

وبقيت هناك، تراقب مثل أم صقر، بينما بدأ البودكاست.

«حسنًا، كانت هذه سنة جنونيّة بالنسبة إليكِ» تحدّث مارسيلو، بلغة إنجليزيّة ممتازة.

«أوه نعم. لقد كانت جولة رائعة» قالت نورا، وهي تحاول أن تتحدث كنجوم الروك.

«الآن، لو سمحتِ لي أريد سؤالك عن ألبومك... *Pottersville*. أنتِ مَن كتب كلماته، صحيح؟»

«في غالبه، نعم» خمّنت نورا، وهي تحدّق إلى الشامة الصغيرة المألوفة في يدها اليسرى.

«لقد كتبت كل أغاني الألبوم» تدخّلت جوانا.

هزّ مارسيلو رأسه بينما كان الرجل الآخر لا يزال يبتسم لتظهر أسنانه، وهو يعبث بمستويات الصوت عبر جهازه.

«أظن أن "Feathers" هي أغنيتي المفضلة» قال مارسيلو، حين وصلت المشروبات.

«أنا سعيدة بذلك.»

حاولت نورا التفكير في طريقة للخروج من هذه المقابلة. صداع؟ ألم في المعدة؟

«ولكني أريد الحديث عن الأغنية التي قررتِ إطلاقها أولًا "Stay Out of My Life". «يبدو أنها رسالة شخصية.»

حاولت نورا الابتسام بصعوبة. «تبدو الرسالة واضحة تمامًا.»

«كان هنالك بعض الشكوك حول ارتباط هذه الأغنية بـ... كيف يمكنني قولها بالإنجليزية؟»

«أمر تقييدي؟» حاولت جوانا المساعدة.

«نعم! الأمر التقييدي.»

«امم» قالت نورا، وهي متفاجئة. «أفضّل التعبير عن هذه المشاعر في الأغنية. أجد صعوبة في الحديث عنها خارج الأغاني.»

«نعم، أتفهّم ذلك. ولكن في مقابلتك الأخيرة مع مجلة *Rolling Stone* تحدثتِ عن حبيبك السابق، دان لورد، وذكرتِ صعوبة الوصول إلى طلب الـ... الـ... الأمر التقييدي ضده، بعد أن استمر في ملاحقتك... ألم يحاول اقتحام منزلك؟ ليخبر الصحفيين بأنه مَن كتب كلمات "Beautiful Sky"؟»

«يا إلهي.»

تأرجحت عند تقاطع البكاء والضحك، وتمكّنت بطريقة ما أن تخفيهما معًا.

«كتبتها عندما كنت في علاقة معه. ولكنها لم ترق له. لم يرد لي أن أكون في هذه الفرقة. كان يكرهها. كان يكره أخي. ويكره رافي. ويكره إيلا التي كانت معنا في الفرقة حينها. على كل حال، كان دان غيورًا جدًا.»

كان هذا أمرًا مدهشًا. في حياة ما، الحياة التي أرادها، كان دان يشعر بالملل في زواجه من نورا وكان يخونها في علاقة سرية، وفي هذه الحياة يقتحم منزلها لأنه لا يطيق رؤيتها وهي ناجحة.

«إنه أرعن» قالت نورا. «لا أعرف الكلمة البرتغالية المناسبة لشخص مثله.»

«كابرو. نطلقها على مَن يتصرف بحقارة.»

«أو أحمق» أضاف الرجل الثانية، وهو مسطول.

«نعم، حسنًا، إنه كابرو. لقد اكتشفت أنه شخص مختلف تمامًا. هذا غريب. الطريقة التي تغيّر بها الحياة تصرفات البشر من حولنا. هذا ثمن الشهرة، على ما أظن.»

«وكتبتِ أغنية تُدعى "Henry David Thoreau" من الأغاني المسماة بأسماء فلاسفة...»

«أعرف. حسنًا، عندما درست الفلسفة في الجامعة، كان ثورو فيلسوفي المفضل. ووشمي دليل على ذلك، وأظن أن اسمه أكثر ملاءمة لعنوان أغنية من "Immanuel Kant".»

بدأت تتحدث بارتياح الآن. لم يكن من الصعب التمثيل والتظاهر بالانتماء إلى حياة مقدّرة لها.

«وأغنية "Howl"، أيضًا. أغنية رائعة جدًا وقويّة. الأولى في اثنتين وعشرين دولة. حصلت على الغرامي بالڤيديو التصويري لها بمشاركة أفضل ممثلي هوليوود. أفترض أنكِ فرغتِ من الحديث عنها؟»

«نعم.»

تناولت جوانا قطعة أخرى من كعك العسل.

ابتسم مارسيلو، بلطف، وهو يستمر في سؤاله. «بالنسبة إلي بدت بنزعة بدائيّة. الأغنية، أقصد. وكأنكِ تتخلصين من كل ما بداخلك. ثم اكتشفت أنكِ كتبتِ الأغنية في الليلة التي طردتِ فيها مدير أعمالك السابق. قبل جوانا. بعد أن اكتشفتِ أنه كان ينصب عليك...»

«نعم. كان هذا سيئًا» ارتجلت. «لقد كانت خيانة مؤلمة.»

«كنت معجبًا بفرقة المتاهات قبل أغنية "How".» ولكن تلك الأغنية كانت أغنيتي المفضلة. بالإضافة إلى "Lighthouse Girl." "Howl" جعلتني أوقن أن نورا *سييد* موسيقية عبقرية. كلماتها تجريدية، ولكن الطريقة التي عبرتِ بها عن غضبك كانت ناعمة وروحانيّة وبالغة القوة في الوقت ذاته. وكأن أسلوبك كان مزيجًا من أعمال فرقة Cure الأولى وFrank Ocean بالإضافة إلى The Carpenters وTame Impala.»

حاولت نورا، وفشلت في تخيّل هذا المزيج.

بدأ بالغناء، ليتفاجأ الجميع:

"Silence the music to improve the tune
Stop the fake smiles and howl at the moon".

ابتسمت نورا وهزّت رأسها، وكأنها تعرف كلمات الأغنية. «نعم. نعم. كنت أعوي فقط...»

تغيّرت قسمات وجه مارسيلو وأصبحت أكثر جدية. بدا قلقًا على نورا. «لقد مررتِ بالعديد من الظروف الصعبة في السنوات الأخيرة. ملاحقات المعجبين، الإدارة السيئة، العداوات المزيّفة، قضية المحكمة، مشكلات الحقوق الفكرية، انفصالك الفوضوي من رايان بيلي، ردود الفعل تجاه ألبومك الأخير، ذهابك إلى مركز إعادة التأهيل، حادثة تورنتو... انهيارك من التعب في باريس، مأساتك الشخصية، دراما دراما دراما. تدخّل وسائل الإعلام في حياتك. ما سبب كره الصحافة الشديد لكِ؟»

بدأت نورا تشعر بالغثيان. هل هذه هي حقيقة الشهرة؟ كخليط حلو مر من التبجيل والاعتداءات؟ لا غرابة إذن في فقدان العديد من المشاهير لصوابهم. كان الأمر أشبه بالتعرض للصفع والتقبيل في الوقت ذاته.

«لا... لا أعرف... ما يحدث أشبه بالجنون...»

«أقصد، هل سألتِ نفسكِ من قبل كيف ستكون حياتك لو أنكِ سلكتِ طريقًا مختلفًا عن هذا؟»

أصغت نورا إلى السؤال وهي تحدّق إلى الفقاعات وهي تتصاعد في المياه المعدنيّة.

«أظن أنه من السهل تخيّل وجود طرق أسهل» قالت له، وهي تدرك شيئًا ما للمرة الأولى. «ولكن ربما كانت كل الطرق صعبة، وربما كانت جميعها مجرد طرق، في حياة ما قد أكون متزوجة، في أخرى ربما كنت أعمل في متجر. ربما وافقت على عرض الشاب اللطيف الذي طلب مني الخروج في موعد معه لشرب القهوة. في حياة أخرى ربما كنت باحثة أنهار جليدية في القطب الشمالي. في أخرى، قد أكون سبّاحة أولمبيّة. مَن يعلم؟ في كل ثانية من كل يوم ندخل كونًا جديدًا. ونقضي أوقاتًا طويلة ونحن نتمنى لو تغيّرت حياتنا، ونقارن أنفسنا بالآخرين وبنسخ أخرى منّا، والحقيقة أن أغلب الحيوات تحتوي على درجات من الجمال والقبح.»

حدّق مارسيلو وجوانا والرجل البرازيلي الآخر نحوها في ذهول، ولكنها كانت متجلية في حديثها. فانطلقت.

«هنالك أنماط للحياة... إيقاعات. ومن السهل جدًا، وأنت عالق في حياة واحدة، أن تتخيّل كون أوقات الحزن أو المعاناة أو

الفشل أو الخوف نتيجة لذلك الوجود، وأنها منتج ثانوي للحياة بطريقة ما بدلًا من *الحياة* فقط. أقصد، ستصبح الأشياء أسهل بكثير لو فهمنا أنه لا يمكننا كسب مناعة ضد الحزن. مهما كانت قراراتنا التي اتخذناها في الحياة، وأن الحزن جزء جوهري من نسيج السعادة، لا يمكنك الشعور بالسعادة إن لم تشعر بالحزن. بالتأكيد، قد يأتيان بدرجات مختلفة وجرعات مختلفة. ولكن لا توجد حياة سعيدة إلى الأبد. واعتقادك بوجودها يزيد من تعاستك في حياتك الحالية.»

«هذه إجابة عظيمة» قال مارسيلو، بعد أن تأكد من انتهائها تمامًا من حديثها. «ولكنكِ الليلة، في الحفلة، كنتِ سعيدة. عندما غنيتِ "Bridge Over Troubled Water" بدلًا من "Howl"، كان هذا تصريحًا هائلًا. وكأنكِ تقولين: *أنا قويّة*. شعرت وكأنك تخبرين معجبيك أنكِ بخير. ولهذا سأسألك: ما أخبار جولتك العالمية؟»

«إنها رائعة. ونعم، أردت إرسال رسالة إلى الجميع بأنني أعيش أفضل حياتي. ولكني أشتاق إلى الوطن والمنزل بعد فترة.»

«أي منزل؟» سألها مارسيلو، بابتسامة هادئة. «أقصد، هل تشعرين بالحنين إلى لندن؟ أم لوس أنجلوس؟ أم ساحل أمالفي؟»

يبدو أن آثارها الكربونية في هذه الحياة هي الأعلى على الإطلاق.

«لا أعرف. أفترض أنني أشعر بالحنين إلى لندن.»

أخذ مارسيلو نفسًا حادًا، وهو يستعد للسؤال القادم وكأن عليه السباحة أسفله. حك لحيته. «حسنًا، ولكني أفترض أن العودة إلى

لندن قد تكون صعبة عليكِ، لأنكِ كنتِ تسكنين في الشقة ذاتها مع أخيك؟»

«لماذا ستكون العودة صعبة؟»

نظرت جوانا إلى نورا بفضول من فوق شرابها.

نظر مارسيلو إليها بتقدير كبير. عيناه تلتمعان. «أقصد» استمر في الحديث بعد أخذه رشفة سريعة من البيرة، «لقد كان أخوك جزءًا مهمًا في حياتك، وجزءًا مهمًا من الفرقة...»

كان.

فزع هائل في كلمة ضئيلة. كحجرٍ يسقط في الماء.

تذكّرت سؤال رافي عن أخيها قبل أداء الأغنية. تذكّرت ردة فعل الجمهور عندما ذكرت أخاها على المسرح.

«ما زال معنا. لقد كان هنا الليلة.»

«تقصد أنها تشعر بوجوده» قالت جوانا. «الجميع يشعر بوجوده. لقد كانت روحه قويّة. مُعذّبة، ولكنها قوية... من المؤسف كيف قضت الكحول والمخدرات والحياة بأكملها عليه في النهاية...»

«عمّ تتحدثين؟» سألت نورا. لم تعد مجرد ممثلة في حياةٍ ما. لقد أرادت أن تعرف ما حدث.

بدا مارسيلو حزينًا عليها. «كما تعرفين، مرّ عامان فقط على وفاته... بسبب جرعة مفرطة...»

شهقت نورا.

لم تجد نفسها في المكتبة مباشرة لأنها لم تستوعب ما سمعته بعد. وقفت، شعرت بالدوار، وترنحت حتى خرجت من الجناح.

«نورا؟» ضحكت جوانا بقلق بالغ. «نورا؟»

دخلت المصعد ونزلت إلى البار. إلى رافي.

«قلت لي إن جو كان يتحدث مع الصحفيين.»

«ماذا؟»

«قلت لي. عندما سألتك عن جو أنه «يتحدث مع الصحفيين».»

وضع بيرته جانبًا وحدّق إليها وكأنها أحجية. «وكنت صادقًا. لقد كانت تتحدث مع الصحفيين.»

«كانت؟»

أشار إلى جوانا، التي بدت مذعورة وهي تخرج من المصعد باتجاه البهو.

«نعم. جو. كانت تتحدث مع الصحفيين.»

وشعرت نورا بالحزن وكأنه لكمة.

«أوه لا» قالت. «أوه جو... أوه جو... أوه...»

واختفى بار الفندق. الطاولة، الشراب، جوانا، مارسيلو، مهندس الصوت، ضيوف الفندق، رافي، الآخرون، البلاط الرخامي، ساقي الحانة، النادل، الثريّات، الأزهار، جميعها اختفت وتحوّلت إلى عدم.

"Howl"[1]

To the winter forest
And nowhere to go
This girl runs
From all she knows

The pressure rises to the top
The pressure rises (it won't stop)

They want your body
They want your soul
They want fake smiles
That's rock and roll
The wolves surround you
A fever dream
The wolves surround you
So start the scream

Howl into the night,
Howl until the light,
Howl your turn to fight,
Howl, just make it right

1 -تُركت الأغنية بلغتها الأصليّة للحفاظ على إيقاعها ومنح القارئ الفرصة لقراءتها كما أراد الكاتب.

Howl howl howl howl

(..........)

You can't fight for ever

You have to comply

If your life isn't working

You have to ask why

(كلمات مُلقاة)

Remember

When we were young enough

Not to fear tomorrow

Or mourn yesterday

And we were just

Us

And time was just

Now

And we were in

Life

Not rising through

Like arms in a sleeve

Because we had time

We had time to breathe

The bad times are here

The bad times have come

But life can't be over

When it hasn't begun

The lake shines and the water's cold

All that glitters can turn to gold

Silence the music to improve the tune

Stop the fake smiles and howl at the moon

Howl, into the night,

Howl, until the light,

Howl, your turn to fight,

Howl, just make it right

Howl howl howl howl

(يخفت الصوت وينتهي)

«أكره هذه... العملية» قالت نورا للسيدة إلم، بنبرة قويّة في صوتها. «أريد أن أتوقف!»

«أخفضي صوتك رجاءً» قالت السيدة إلم، وهي تحمل قطعة حصان أبيض في يدها وتفكّر في حركتها على رقعة الشطرنج. «هذه مكتبة.»

«لا يوجد أحد غيرنا هنا!»

«لا يهم. هذه مكتبة. إن كنتِ في كاتدرائية، ستلزمين الصمت لأنكِ في كاتدرائية، وليس لوجود أحد حولك. وهكذا الأمر في المكتبة.»

«حسنًا» قالت نورا، بصوت منخفض. «لا أحب ما يحدث. أريد إيقافه. أريد إيقاف عضويتي في المكتبة. أريد تسليم بطاقتي.»

«أنتِ بطاقة المكتبة.»

عادت نورا إلى نقطتها الأساسيّة. «أريد إيقاف ما يحدث.»

«لا أظنكِ تريدين هذا.»

«بلى.»

«إذن لماذا ما زلت هنا؟»

«لأنني لا أملك خيارًا آخرًا.»

«صدقيني يا نورا. لو لم تكن لديكِ رغبة في البقاء هنا، لاختفيتِ. أخبرتكِ بهذا في البداية.»

«لا أحب ما يحدث.»

«لماذا؟»

«لأنه مؤلم جدًا.»

«لماذا؟»

«لأنه حقيقي. في حياة ما، مات أخي.»

عادت أمينة المكتبة إلى نبرتها الصارمة. «وفي حياة ما -إحدى حيواته- أنتِ ميتة. هل سيؤلمه موتك؟»

«أشك في ذلك. لا أظنه يكترث لأمري أبدًا هذه الأيام. يستمتع بحياته كلها ويحملني إخفاقه بعدها.»

«إذن، كل ما يحدث يتعلق بأخيك؟»

«لا. بكل شيء. يبدو أنه من المستحيل العيش دون جرح الآخرين.»

«هذا صحيح.»

«إذن لماذا نعيش من الأساس؟»

«حسنًا، للإنصاف فقط، الموت يجرح البشر أيضًا. الآن، ما الحياة التي تريدين اختيارها؟»

«لا أريد اختيار أيّ حياة.»

«ماذا؟»

«لا أريد كتابًا آخر. لا أريد حياة أخرى.»

شحب وجه السيدة إلم، تمامًا كما حدث قبل سنوات عندما تلقّت تلك المكالمة لتسمع خبر وفاة والد نورا.

شعرت نورا باهتزاز أسفل قدميها. زلزال صغير. تشبّثت هي والسيدة إلم بالرفوف بينما وقعت الكتب على الأرض. التمعت الأضواء ثم عمّ الظلام. سقطت رقعة الشطرنج والطاولة.

«أوه لا» قالت السيدة إلم. «ليس مرة أخرى.»

«ماذا يحدث؟»

«تعرفين ما يحدث. المكان بأكمله موجود بسببك. أنتِ مصدر طاقته. عند حدوث اضطراب في مصدر الطاقة تتعرّض المكتبة للخطر. أنتِ السبب، نورا. أنتِ تستسلمين في أسوأ لحظة ممكنة. لا يمكنك التراجع. نورا. يمكنك فعل الكثير. يمكنك الحصول على العديد من الفرص. هنالك نسخ عديدة منكِ. تذكّري شعورك بعد هجوم الدبّ القطبي. تذكري رغبتك العارمة في الاستمرار في الحياة.»

الدب القطبي.

الدب القطبي.

«حتى تلك التجارب السيئة لها هدف ومعنى، ألا ترين ذلك؟»

رأت. الحسرات التي عاشت معها أغلب حياتها كانت حسرات ضائعة.

«نعم.»

هدأ الزلزال.

ولكن الكتب كانت قد تبعثرت في كل مكان.

عادت الأضواء إلى العمل، وما زالت تلتمع.

«أنا آسفة» قالت نورا. بدأت تجمع الكتب لتعيدها إلى أماكنها.

«لا» انفعلت السيدة إلم. «لا تلمسيها. ضعيها.»

«آسفة.»

«وتوقّفي عن الاعتذار. الآن، بإمكانك مساعدتي. ما أريده منك أكثر أمانًا.»

ساعدت السيدة إلم في جمع قطع الشطرنج وترتيبها على الرقعة للبدء بلعبة جديدة، ووضع الطاولة في مكانها.

«ماذا بشأن الكتب المنثورة على الأرض؟ هل سنتركها مكانها؟»

«لماذا تكترثين لأمرها؟ ظننت أنكِ تريدينها أن تختفي تمامًا؟»

ربما كانت السيدة إلم مجرد آلية وُجدت لتبسيط تعقيد كون الكم، ولكنها الآن -وهي تجلس بين رفوفٍ نصف فارغة قرب رقعة الشطرنج، تستعد لدور جديد- بدت حزينة وحكيمة وبشريّة دون حد.

«لم أقصد أن أكون قاسية عليكِ» تمكنت السيدة إلم من التصريح أخيرًا.

«لا مشكلة.»

«أتذكّر عندما بدأنا بلعب الشطرنج في مكتبة المدرسة، كنتِ تخسرين أفضل قطعك بسرعة بالغة» قالت. «كنتِ تحركين الملكة أو القلعة إلى الأمام، فينتهي أمرها بسرعة، ثم كنتِ تتصرفين وكأن اللعبة قد انتهت لأنكِ لا تملكين سوى بيادق وحصانًا أو حصانين.»

«لماذا تذكرتِ هذا الآن؟»

رأت السيدة إلم خيطًا قد انسدل من كنزتها فأعادته داخل كمّها، ثم قررت إخراجه ليتدلّى من جديد.

«عليكِ إدراك أمرٍ ما إن أردتِ الفوز في لعبة الشطرنج» قالت، وكأن هذا هو أهم ما يشغل تفكير نورا. «اللعبة لا تنتهي إلا عند نهايتها. لا يمكنك إعلان نهايتها وما زال على الرقعة بيدق واحد. إن وصل الأمر بأحد الطرفين أن ظل معه بيدق واحد وملك،

ولدى الطرف الآخر قطعه كاملة، ما زالت اللعبة مستمرة. وحتى لو كنتِ البيدق -ربما كنّا جميعًا بيادق- فتذكري أن البيدق هو أكثر القطع سحرًا على الرقعة. قد يبدو صغيرًا وعاديًا ولكن حقيقته مختلفة. لأن البيدق ليس مجرد بيدق. البيدق عبارة عن ملكة تنتظر. كل ما عليكِ فعله هو العثور على طريقة للتقدّم إلى الأمام. مربع بعد آخر. وهكذا بإمكانك الوصول إلى الضفة الأخرى والحصول على كل أنواع القوى السحرية.»

حدّقت نورا إلى الكتب من حولها. «إذن، هل معنى هذا أنني لا أملك سوى بيادق للعب بها؟»

«ما أردت قوله هو أن ما يبدو عاديًا قد يكون المفتاح المؤدي إلى النصر. عليكِ الاستمرار في التقدّم. كذلك اليوم في النهر. هل تذكرين؟»

بالتأكيد.

كم كان عمرها؟ ربما كانت في السابعة عشرة من عمرها، بعد توقفها عن السباحة في المنافسات. لقد كانت فترة مشحونة بسبب غضب والدها منها ومعاناة والدتها مع فترات الاكتئاب الصامتة. كان أخوها قد عاد من كلية الفن ليقضي نهاية الأسبوع مع رافي. ليُري صديقه مناظر بدفورد الرائعة. كان جو قد رتّب لحفلة مرتجلة قرب النهر، موسيقى وبعض البيرة والكثير من الحشيش والفتيات اللواتي كنّ يشعرن بالإحباط لعدم اهتمام جو بهن. دُعيت نورا للحفلة وشربت الكثير من الكحول وتحدّثت إلى رافي عن السباحة.

«إذن، يمكنك السباحة في النهر؟» سألها.

«بالتأكيد.»

«لا، لا تستطيعين» قال أحدهم.

وهكذا، في لحظة غباء، قررت أن تثبت أنهم على خطأ. وعندما أدرك أخوها الأكبر الثمل ما كانت تفعله، كان الأوان قد فات. كانت نورا قد بدأت السباحة.

وبينما تذكّرت هذه القصة، تحوّل الرواق عند نهاية الممر في المكتبة من حجارة إلى ماء متدفّق. ورغم بقاء الرفوف من حولها في مكانها، نبت العشب من قطع البلاط أسفل قدميها وتحوّل سقف المكتبة إلى سماء. ولكن على خلاف ما يحدث عند انتقالها إلى نسخة أخرى من الحاضر، بقيت السيدة إلم والكتب. كان وجود نورا مقسومًا بين المكتبة وبين ذاكرتها.

كانت تحدّق في شخص يقف في الرواق-النهر. كانت ذاتها المراهقة في الماء، بينما كان آخر أضواء الصيف يختفي باتجاه الظلام.

كان النهر باردًا والتيّار قويًا.

تذكرت، وهي تراقب نفسها، الآلام في كتفيها وذراعيها. الثقل والتصلب بهما، وكأنها كانت ترتدي درعًا. تذكرت عدم فهمها لماذا، رغم كل ذلك التعب، بقيت خيالات أشجار الجميز بحجمها، كما بقيت الضفة على بعد المسافة ذاتها. تذكّرت ابتلاعها للماء القذر. والنظر حولها إلى الضفة الأخرى، الضفة التي جاءت منها والمكان الذي وصلت إليه، كانت تنظر، مع النسخة الأصغر من أخيها وأصدقائه، قربها، غافلة عن ذاتها الحاليّة، وعن رفوف الكتب على جانبيها.

تذكّرت، في هذيانها، كيف أنها فكّرت في مصطلح «تساوي البعد.». هذا المصطلح المنتمي إلى أمان الفصول الدراسيّة. تساوي البعد. يا له من مصطلح محايد، رياضي، أصبح عالقًا في ذهنها، يكرر نفسه كتأمّل مهوَّس بينما كانت تستخدم ما تبقّى من قوتها للبقاء مكانها. متساوية البعد. متساوية البعد. متساوية البعد. لا بمحاذاة ضفة أو أخرى.

هكذا شعرت في أغلب حياتها.

عالقة في المنتصف. تعاني، تصارع، تحاول النجاة دون أن تعرف اتجاهها. أيّ طريق عليها الالتزام به دون ندم.

نظرت إلى الضفة على الجانب الآخر - الآن برفوف كتب إضافية، وخيال أشجار الجميز الكبير يميل فوق الماء كوالدٍ قلق، والريح تتخلّل أوراقها.

«ولكنكِ التزمتِ» قالت السيدة إلم، بعد أن سمعت أفكار نورا.
«ونجوتِ.»

حلم شخص آخر

«الحياة عبارة عن مسرحيّة» قالت السيدة إلم، وهما تراقبان أخاها بعد أن سحبه أصدقاؤه من حافة الماء. بينما كان يشاهد فتاة نسيت اسمها منذ زمن تتصل بالطوارئ، «وقد قمتِ بدوركِ: سبحتِ باتجاه تلك الضفة، أنقذتِ نفسك بمخالبك، سعلتِ حتى كادت أحشاؤك تخرج، وانخفضت درجة حرارة جسمك ولكنكِ عبرتِ النهر، ضد الاحتمالات الهائلة. لقد وجدتِ شيئًا ما داخلك.»

«نعم، بكتيريا. لقد كنت مريضة لأسابيع: ابتلعت الكثير من ذلك الماء القذر.»

«ولكنكِ عشتِ. تمسكتِ بالأمل.»

«نعم، حسنًا، ولكني كنت أخسره يومًا عن يوم.»

حدّقت للأسفل، لترى العشب وهو يتقلّص في الحجارة، ونظرت إلى الوراء لتلمح آخر منظر للماء قبل أن ينحسر وتتلاشى شجرة الجميز في الهواء مع أخيها وأصدقائه وذاتها المراهقة.

عادت المكتبة إلى هيئتها. وعادت الكتب إلى رفوفها وتوقفت الأضواء عن اللمعان.

«لقد كنت غبيّة جدًا عندما قررت السباحة في النهر فقط لإبهار مَن معي. لطالما اعتقدت أن جو أفضل مني. أردت منه أن يُعجب بي.»

«لماذا اعتقدتِ أنه أفضل منك؟ لأن هذا ما اعتقده والداك؟»

شعرت نورا بالغضب من مباشرة السيدة إلم. ولكن ربما كانت محقة. «لطالما كان عليّ القيام بما يريدونه مني لأبهرهم. كان جو يعاني من مشكلاته ولم أفهم تلك المشكلات حتى عرفت أنه مثلي، ولكنهم يقولون إن تنافس الإخوة ليس متعلقًا بهم بل بوالديهم، ولطالما شعرت أن والديّ شجّعا أحلامه أكثر من أحلامي.»

«كالموسيقى؟»

«نعم.»

«عندما قرّر راڤي أن يصبح نجم روك، اشترى والداي لجو غيتارًا ثم بيانو كهربائيًّا.»

«وماذا حدث بعد ذلك؟»

«نجحت فكرة الغيتار. كان بإمكانه عزف أغنية "Smoke On The Water" خلال أسبوع من بداية تعلّمه، ولكنه لم يستمر في العزف على البيانو وقرر أنه لا يريده في غرفته.»

«وعندها حصلتِ عليه.» قالت السيدة إلم كتصريح لا سؤال. كانت تعرف. بالتأكيد كانت تعرف.

«نعم.»

«نُقل البيانو إلى غرفتك، ورحبتِ به كصديق، وبدأت بتعلم العزف عليه بعزم وصمود. صرفتِ كل ما تحصلين عليه من مال لشراء كتب تعليم البيانو و*موزارت للمبتدئين* و*ذا بيتلز للبيانو*. لأنكِ وقعتِ في حبه. ولأنكِ أردتِ إبهار أخيك الأكبر أيضًا.»

«لم أخبركِ بأيّ من هذا من قبل.»

ابتسمت ابتسامة ساخرة. «لا تقلقي. لقد قرأت الكتاب.»

«بالطبع. نعم. فهمت.»

«ربما عليكِ تجاهل آراء الآخرين، نورا» قالت السيدة إلم وهي تهمس، لإضافة القوة والألفة إلى حديثها. «أنتِ لستِ بحاجة إلى تصريح موافقة لتكوني ---»

«نعم. فهمت.»

وقد فهمت ذلك.

كل حياة جرّبتها منذ أن دخلت المكتبة كانت حلم شخص آخر. حياة الزواج في الحانة كانت حلم دان. رحلة أستراليا كانت حلم إيزي، وندمها على عدم الذهاب معها كان شعورًا بالذنب تجاه صديقتها المفضلة أكثر من حزن على نفسها. حلم تحقيق الميداليات الأولمبيّة ينتمي إلى والدها. صحيح أنها كانت مهتمة في القطب الشمالي وأبحاث الأنهار الجليدية عندما كانت أصغر، ولكن هذه الفكرة كانت موجهة بشكل كبير بسبب أحاديثها مع السيدة إلم ذاتها، في مكتبة المدرسة. أما فرقة المتاهات، لطالما كان هذا حلم أخيها.

ربما لا توجد حياة مثالية لها، ولكن حياة تستحق العيش، وإن كانت ستتمكن من العثور على حياة تستحق العيش فعلًا، أدركت أن عليها رمي شبكة أكبر بكثير.

كانت السيدة إلم محقّة. لم تنته اللعبة. لا يليق باللاعب أن يستسلم إن كانت قطعه صامدة على الرقعة.

نصبت قامتها ووقفت شامخة.

«عليكِ اختيار حيواتٍ أكثر من الرفوف الدنيا أو العليا. كنتِ تحاولين التكفير عن أكثر حسراتك وضوحًا. الكتب في الرفوف

العليا والدنيا تنتمي إلى حيوات تبتعد عن هذه الحسرات. حيوات ما زلت تعيشينها في كون ما ولكنها ليست تلك التي كنتِ تتخيلينها أو تبكين عليها أو تفكرين بها. إنها حيوات بإمكانكِ عيشها ولكنكِ لم تحلمي بها من قبل.»

«إذن هي حيوات تعيسة؟»

«بعضها تعيسة، وبعضها سعيدة. ولكنها حتمًا غير متوقعة. إنها الحيوات التي تتطلب خيالًا جامحًا للوصول إليها. ولكني متأكدة من أنكِ ستصلين إليها...»

«ألا تستطيعين أخذي إليها؟»

ابتسمت السيدة إلم. «أستطيع أن أقرأ لكِ قصيدة. أمينات المكتبات يحببن القصائد.» ثم اقتبست للشاعر روبرت فروست. «طريقان انفرجا عند غابة، وأنا - / أنا سلكت الطريق الأكثر وحشة، / وهذا أحدث كل فرق...»

«ماذا لو كان هنالك أكثر من مجرد طريقين انفرجا في الغابة؟ ماذا لو كانت الطرق أكثر من الأشجار؟ ماذا لو كانت الخيارات الممكنة لا تنتهي؟ ماذا سيفعل روبرت فروست حينها؟»

تذكرت دراستها لأرسطو في سنتها الأولى كطالبة فلسفة. وتذكرت شعورها بالاكتئاب بسبب فكرته القائلة إن الامتياز لا يحدث صدفة. النتائج الممتازة كانت نتيجة «الاختيار الحكيم بين بدائل كثيرة.» والآن، حظيت بفرصة اختبار كل هذه البدائل. لقد كان طريقًا مختصرًا نحو الحكمة وربما نحو السعادة أيضًا. لم تنظر إليه الآن كعبء، بل كهدية يجب تقديرها.

«انظري إلى رقعة الشطرنج التي رتبناها» قالت السيدة إلم برقة. «انظري إلى القطع وهي منظمة وآمنة ومسالمة الآن، قبل أن تبدأ المباراة. إنه منظر جميل. ولكنه ممل. ميت. ورغم هذا، في اللحظة التي تتحرّك فيها قطعة واحدة على الرقعة، يتغيّر كل شيء. تبدأ الفوضى بالحدوث. وهذه الفوضى تُبنى مع كل حركة تقومين بها.»

جلست نورا إلى طاولة الشطرنج، وأمامها السيدة إلم. حدّقت نحو الرقعة وحرّكت بيدقًا خطوتين إلى الأمام.

قلّدت السيدة إلم حركتها من جانبها.

«يسهل لعب الشطرنج» قالت السيدة إلم. «ولكنها لعبة يصعب إتقانها. كل حركة تقومين بها تفتح عالمًا جديدًا من الاحتمالات.»

حرّكت نورا أحد أحصنتها. استمرت المباراة بالتقدّم لبعض الوقت.

علّقت السيدة إلم. «في بداية أيّ مباراة، لا توجد أيّ احتمالات. هنالك طريقة واحدة لترتيب الرقعة. وبعد الحركات الست الأولى هنالك تسعة ملايين نتيجة ممكنة. وبعد الحركات الثمان الأولى هنالك مئتان وثمانٍ وثمانون مليار وضعية مختلفة. وهذه الاحتمالات تستمر بالنمو. في مباراة شطرنج واحدة هنالك احتمالات آكثر من عدد الذرات في الكون المرئي. ولهذا فإن اللعبة تصبح فوضوية جدًا. ولا توجد طريقة واحدة صحيحة للعب: هنالك طرق عديدة. في الشطرنج، كما في الحياة، الاحتمالات هي أساس كل شيء. كل أمل، كل حلم، كل ندم، كل لحظة نعيشها.»

في النهاية، فازت نورا بمباراة الشطرنج. كان لديها شك في

أن السيدة إلم سمحت لها بالفوز، ولكنها شعرت ببعض التحسن رغم هذا.

«حسنًا حسنًا» قالت السيدة إلم. «الآن، حان وقت اختيار كتاب جديد. ما رأيك؟»

حدّقت نورا على امتداد رفوف الكتب. فقط لو أنها كان لها عناوين. لو كان عنوان أحدها *حياة مثالية هنا*.

أخبرها حدسها في البداية أن تتجاهل سؤال السيدة إلم. ولكن كلما حضرت الكتب، حضرت غواية فتحها. وأدركت نورا أن ذلك ينطبق على الحيوات أيضًا.

كررت السيدة إلم جملة قالتها من قبل.

«لا تقلّلي من الأهمية الكبرى للأشياء الصغيرة.»

كانت هذه نصيحة مفيدة، كما ثبُت لاحقًا.

«أريد» قالت، «حياة أكثر لطفًا. حياة أعمل فيها مع الحيوانات، حيث اخترت أن أعمل في مأوى للحيوانات -المكان الذي عملت فيه عندما كنت طالبة في المدرسة- بدلًا من عملي في متجر نظرية الأوتار. نعم. أريد تلك الحياة، رجاءً.»

انزلقت نورا إلى هذا الوجود بسهولة.

كان النوم مريحًا في هذه الحياة، ولم تستيقظ إلا عند رنين المنبه عند الساعة الثامنة إلا الربع. قادت سيارتها القديمة من نوع هيونداي للذهاب إلى العمل، والتي كانت تفوح برائحة الكلاب والبسكويت وتتزين بالفتات، مرت بالمستشفى وبالمركز الرياضي، وأوقفت سيارتها في موقف صغير خارج مبنى من الطوب الرمادي حديث التصميم. مأوى إنقاذ الحيوانات المكوّن من طابق واحد.

قضت صباحها وهي تُطعم الكلاب وتمشي معها. السبب الذي جعل اندماجها في هذه الحياة سهلًا كان التقاءها بامرأة لطيفة ومتواضعة لها شعر بني أجعد وتتحدث بلكنة أهل يوركشاير. المرأة، پاولين، أخبرت نورا بأن عليها البدء بالعمل في مأوى الكلاب بدلًا من مأوى القطط، وهكذا كان لدى نورا عذر يُمكّنها من السؤال عمّا يجب فعله ويبرر حيرتها، وحُلّت مشكلة جهلها بأسماء زملائها لوجود شارات بأسمائهم على صدورهم.

مشت نورا بكلبة من فصيلة بولماستيف، كانت قد وصلت للتو، حول الحقل وخلف المأوى. أخبرتها پاولين أن هذه الكلبة قد تعرضت لمعاملة سيئة جدًا من مالكها. أشارت إلى عدة ندوب دائرية صغيرة على جلدها.

«حروق سجائر.»

أرادت نورا العيش في عالم لا قسوة فيه، ولكن العوالم الوحيدة المتاحة لها كانت عوالم يعيش فيها البشر. كانت الكلبة تُدعى

سالي. كانت تخاف من كل شيء؛ ظلها، الحشائش، الكلاب، أقدام نورا، العشب، الهواء، ورغم أنها أحبّت نورا اقتربت منها لتفرك بطنها بنورا.

لاحقًا، ساعدت نورا زملاءها بتنظيف بعض أكشاك الكلاب. تخيّلت أنهم يستخدمون كلمة أكشاك لأنها أفضل من أقفاص، والتي كانت أكثر ملاءمة لوصفها. كان هنالك كلب ألزاسي له ثلاثة أقدام يُدعى ديزل، والذي يبدو أنه قضى فترة طويلة في المأوى. عندما لاعبته نورا ورمت الكرة ليلتقطها اكتشفت أن ردود أفعاله ممتازة، كان يلتقط الكرة في كل مرة تقريبًا. لقد أحبت هذه الحياة، أو أحبّت هذه النسخة من ذاتها في هذه الحياة. كانت تستطيع معرفة ذاتها من الطريقة التي يتحدث بها من حولها معها. كان شعورًا رائعًا -مريحًا ومطمئنًا- أن تكون شخصًا طيبًا.

كان ذهنها مختلفًا هنا. فكّرت كثيرًا في هذه الحياة، ولكنها أفكار لطيفة.

«العطف أساس الأخلاق» كتب الفيلسوف آرثر شوبنهاور في إحدى لحظاته الناعمة. ربما كان العطف هو أساس الحياة أيضًا.

كان هنالك رجل يعمل معها يُدعى ديلان، وكانت له طريقة عفوية في التعامل مع الكلاب. كان يقترب من عمر نورا، وربما أصغر. كانت له نظرة لطيفة، ودودة، حزينة. شعره الذهبي الطويل مثل شعر بطل فيلم Surfer, Dude ومثل كلب الصيد. جاء وجلس قرب نورا على المقعد لتناول الغداء، وأمامهما الحقل.

«ما غداؤكِ اليوم؟» سألها، بلطف، وهو يشير إلى غداء نورا في الحافظة.

لـم تكـن تعـرف مـا بداخلهـا - كانـت قـد وجـدت غداءهـا مُعـدًا عندمـا فتحـت ثلاجتهـا المغطـاة بقطـع المغناطيـس ورزنامـة السـنة في الصبـاح. فتحـت الحافظـة لتجـد سـندويش جبنـة ومارمايـت وعلبـة مـن رقائـق الملـح والخـل. أظلمـت السـماء وبـدأت الريـاح بالهديـر.

«أوه تبًا» قالت نورا. «ستمطر.»

«ربما، ولكن الكلاب جميعها ما زالت في أقفاصها.»

«عفوًا؟»

«بإمـكان الـكلاب شـم رائحـة اقتـراب المطـر، وغالبًـا مـا تتجـه الـكلاب مـن تلقـاء نفسـها إلـى الداخـل إن اعتقـدت أن المطـر قـادم. أليـس هـذا رائعًـا؟ قدرتهـا علـى التنبـؤ بالمسـتقبل عـن طريـق حاسـة الشـم؟»

«نعم» قالت نورا. «رائع جدًا.»

قضمت نورا السندويش. ثم وضع ديلان ذراعه حولها.

قفزت نورا.

«--- ماذا تفعل؟» قالت.

بـدا الاعتـذار العميـق واضحًـا علـى ملامـح ديـلان. والذعـر مـن نفسـه. «أنـا آسـف. هـل آلمـت كتفـكِ؟»

«لا... أنا فقط... أنا... لا. لا. لا عليك.»

اكتشـفت أن ديـلان هـو حبيبهـا وأنهمـا ارتـادا المدرسـة المتوسـطة ذاتهـا. مدرسـة هَيزلديـن. وأنـه أصغـر منها بسـنتين.

بإمـكان نـورا تذكّـر اليـوم الـذي مـات فيـه والدهـا، عندمـا كانـت في مكتبـة المدرسـة تحـدّق نحـو صبـي أشـقر أصغـر منهـا وهـو يركـض خـارج زجـاج النافـذة المبلـل بالمطـر. *إمـا أنـه يُطـارِد أو يُطـارَد*. لقـد

كان هو الصبي. لقد أُعجبت به بغموض، من مسافة بعيدة، دون التعرّف عليه أو التفكير فيه على الإطلاق.

«هل أنتِ بخير، نورستر؟» سألها ديلان.

نورستر؟

«نعم. أنا فقط... نعم. أنا بخير.»

جلست نورا مرة أخرى ولكنها تركت مسافة بسيطة بينهما. لم يكن ديلان سيئًا. لقد كان لطيفًا. وكانت نورا متأكدة أنها معجبة به بشدّة في هذه الحياة. وربما أحبته. ولكن دخول حياة ما لم يكن تمامًا كدخول عاطفة ما.

«بالمناسبة، هل حجزتِ لنا في جينو؟»

جينو. المطعم الإيطالي. لقد أكلت فيه نورا من قبل في مراهقتها. تفاجأت أنه ما زال موجودًا.

«ماذا؟»

«جينو؟ مطعم البيتزا؟ الليلة؟ قلتِ أنكِ تعرفين مدير المطعم.»

«أبي كان يعرف المدير، نعم.»

«هل اتصلتِ بالمدير إذن؟»

«نعم» كذبت. «ولكنه محجوز بالكامل.»

«في ليلة بمنتصف الأسبوع؟ غريب. هذا مؤسف. أحب البيتزا. والباستا. واللزانيا. و—»

«حسنًا» قالت نورا. نعم أتفهم. أتفهم تمامًا. أعرف أن اعتذارهم غريب ولكنهم مشغولون بحجوزات كبيرة.»

أخرج ديلان هاتفه. كان متلهفًا. «سأحاول الاتصال بمطعم لا كانتينا. المكسيكي. العديد من الخيارات النباتية. أحب الطعام المكسيكي، ألا تحبينه؟»

لم تستطع نورا التفكير في سبب مقنع لعدم ذهابها، عدا محادثة ديلان غير المشوّقة، ومقارنةً بالسندويش الذي كانت تأكله وحالة ثلاجتها، بدا المطعم المكسيكي واعدًا جدًا.

وهكذا، حجز ديلان طاولة في المطعم. واستمرا في الحديث بينما كانت الكلاب تنبح في المبنى خلفهما. وخلال محادثتهما عرفت نورا أنهما يفكران في الانتقال للعيش معًا.

«بإمكاننا مشاهدة *Last Chance Saloon*.» قال ديلان.

لم تكن تصغي إليه. «ماذا؟»

كان ديلان خجولًا، أدركت نورا. لم يكن بارعًا في التواصل بالأعين. فتنها هذا الإدراك. «فيلم رايان بيلي الذي أردتِ مشاهدته. لقد شاهدنا مقطعه التشويقي. لقد قلتِ إنه مضحك وبحثت عنه لأجد أنه حصل على 86٪ على موقع روتن توميتوز وبإمكاننا مشاهدته على نتفلكس...»

تساءلت إن كان ديلان سيصدقها إن أخبرته بأنها في حياة أخرى كانت المغنية الرئيسية لفرقة پوپ-روك وأنها كانت أيقونة عالمية قد مرّت بعلاقة حميميّة مع رايان بيلي وتركته طوعًا.

«رائع» قالت، وهي تحدّق إلى عبوة بطاطس فارغة تسبح فوق العشب المتناثر.

أسرع ديلان ليلتقط العبوة ويضعها في سلة المهملات قرب المقعد.

عاد سريعًا إلى نورا وهو يبتسم. فهمت نورا ما رأته نورا الأخرى فيه. كان نقيًا. تمامًا مثل نقاء الكلب.

كان المطعم على طريق القلعة، في الزاوية قرب متجر نظرية الأوتار، وكان عليهما المرور بالمتجر للوصول إلى المطعم. معرفتها بالمكان كانت غريبة. عندما وصلت إلى المتجر لاحظت غيابًا ما. لم تكن الغيتارات معروضة عبر النوافذ. لم يكن هنالك أي معدات أو أجهزة معروضة، عدا ورقة بمقاس A4 قد كُتب عليها بخط نيل الذي عرفته نورا.

للأسف، متجر نظرية الأوتار لم يعد قادرًا على الاستمرار بالعمل في هذا المبنى. بسبب ارتفاع أجرة المبنى لم نستطع تحمّل التكاليف. شكرًا لكل زبائننا الأوفياء.

Don’t Think Twice, It’s All Right. You Can Go On Your Own Way. God Only Knows What. We’ll Be Without you.

أُعجب ديلان بما قرأه. «فهمت ما فعلوه هنا.» ثم بعد لحظة. «سُميت على بوب ديلان. هل أخبرتكِ بهذا من قبل؟»

«لا أتذكر.»

«تعرفينه، المغني.»

«نعم. لقد سمعت ببوب ديلان، يا ديلان.»

«أختي الكبرى اسمها سوزان. سُميت على اسم أغنية ليونارد كوهن.»

ابتسمت نورا. «لقد أحبّ والداي ليونارد كوهن.»

«هل زرتِ هذا المتجر من قبل؟» سألها ديلان. «يبدو أنه متجر رائع.»

«مرة أو مرتين.»

«افترضتِ أنكِ قد جئتِ لزيارته، لأنكِ تحبين الموسيقى. كنتِ تعزفين البيانو، أليس كذلك؟»

كنت.

«نعم. البيانو الكهربائي. أحيانًا.»

رأت نورا أن الورقة على نافذة المتجر كانت قديمة. تذكّرت ما قاله لها نيل. *لا أستطيع دفع راتبك وأنتِ تنفرين الزبائن بوجهك الممل*.

حسنًا، نيل، ربما لم يكن وجهي هو السبب.

استمرا في المشي.

«ديلان، هل تؤمن بنظرية الأكوان المتوازية؟»

هزّ كتفيه. «أظن ذلك.»

«ماذا تعتقد أنك ستفعل في حياة أخرى؟ هل ترى أن هذا كون مناسب؟ أم تفضل الوجود في كون آخر تغادر فيه بدفورد؟»

«لا أريد المغادرة. أنا سعيد هنا. لماذا سأبحث عن كون آخر إن كان هذا الكون مليئًا بالكلاب؟ الكلاب هنا كالكلاب في لندن. كان لدي سكن فيها، كما تعرفين. قُبلت في جامعة غلاسكو لدراسة الطب البيطري. درست فيها لمدة أسبوع ولكني اشتقت إلى كلابي كثيرًا. ثم فقد والدي عمله ولم تستطع العائلة تحمّل نفقات دراستي. لذلك لم أتمكن من متابعة الدراسة والتخرج.

أردت بشدة أن أكون طبيبًا بيطريًا. ولكني لا أندم على ما حدث. لدي حياة جيدة. لدي أصدقاء حقيقيون. لدي كلابي التي أعتني بها.»

ابتسمت نورا. لقد أُعجبت بديلان، رغم أنها شكّت في انجذابها إليه بالدرجة ذاتها التي وصلت إليها نورا الأخرى في هذه الحياة. لقد كان شخصًا طيبًا، والأشخاص الطيبون نادرون.

وعند وصولهما إلى المطعم، لاحظا رجلًا طويلًا داكن الشعر يركض باتجاههما. احتاجت نورا إلى لحظة من الارتباك لتدرك أنه آش - آش ذاته الذي كان طبيبًا جرّاحًا في حياة أخرى، آش الذي كان زبونًا في متجر نظرية الأوتار وطلب منها أن تخرج معه في موعد لشرب القهوة، آش الذي اعتنى بها في المستشفى وطرق على بابها، في عالم آخر، ليلة البارحة، ليخبرها أن ڤولتير قد فارق الحياة. بدت تلك الذاكرة قريبة جدًا، ولكنها كانت تخصها وحدها. من الواضح أن آش يستعد لسباق نصف ماراثون يوم الأحد. لا يوجد أي سبب يجعل نورا تعتقد أن آش في هذه الحياة يختلف عن آش في حياتها الأصليّة، عدا احتمالات عدم عثوره على جثة ڤولتير ليلة البارحة. أو ربما قد عثر عليها، رغم أن ڤولتير لن يكون اسمه ڤولتير في هذه الحياة.

«أهلًا» قالت، وقد نسيت في أيّ خط زمني هي الآن.

ابتسم آش لها، ولكنها كانت ابتسامة حيرة. حيرة، ولطف، لتشعر نورا بالإحراج لأنه -بالتأكيد- في هذه الحياة إن لم يطرق بابها، لن يطلب منها الخروج في موعد معه، ولن يشتري كتاب أغاني سايمون وغارفنكل.

«مَن هذا؟» سأل ديلان.

«أوه، مجرد شخص أعرفه من حياة أخرى.»

بدت الحيرة على ديلان لكنه تجاهل الأمر وتخلّص منه كالمطر.

ثم وصلا إلى المطعم.

لا كانتينا لم يتغيّر كثيرًا خلال سنوات.

تذكّرت نورا الليلة التي جاءت فيها مع دان إلى هذا المطعم قبل سنوات، في زيارته الأولى إلى بدفورد. كانا قد جلسا إلى طاولة في الزاوية وشربا العديد من كؤوس المارغريتا وتحدثا عن مستقبلهما معًا. كانت تلك هي المرة الأولى التي عبّر فيها دان عن حلمه بالعيش في حانة في الريف. كانا على وشك الانتقال للعيش معًا، المرحلة ذاتها التي وصلت إليها نورا وديلان في هذه الحياة. الآن تذكّرت، كان دان وقحًا جدًا مع النادل، واضطرت نورا إلى تعويضه بالابتسام الدائم. كانت تلك إحدى قواعد الحياة -*لا تثق أبدًا بشخص وقح مع العاملين ذوي الدخل المحدود*- وفشل دان في اجتياز هذا الاختبار، بالإضافة إلى اختبارات أخرى عديدة. ورغم هذا كان على نورا الاعتراف بأن لا كانتينا لم يكن على رأس قائمة المطاعم التي أرادت العودة إليها.

«أحب هذا المكان» قال ديلان الآن، وهو ينظر إلى الزخرفة الصارخة للمكان بألوانها الحمراء والصفراء. تساءلت نورا في نفسها إن كان هنالك أيّ مطعم لم يُعجب به ديلان. بدا وكأنه قادر على الجلوس في حقل قرب تشرنوبل ليعبّر عن دهشته من جمال المشهد.

تناولا تاكوز بالفاصولياء السوداء، وتحدثا عن الكلاب والمدرسة. كان ديلان يصغر نورا بعامين وكان يتذكّرها لأنها «الفتاة التي كانت تجيد السباحة.» تذكّر أيضًا طابور المدرسة

-الذي حاولت نورا نسيانه لفترة طويلة- حيث نُوديت باسمها للقدوم إلى المسرح واستلام شهادة تقدير لأنها كانت طالبة استثنائية في مدرسة هَيزلدين. قد تكون تلك اللحظة هي بداية تركها للسباحة. اللحظة التي لم تستطع البقاء مع أصدقائها بعدها، اللحظة التي تسبّبت في تهميشها ودفعها إلى حاشية الحياة المدرسيّة.

«كنتُ أراكِ في مكتبة المدرسة خلال الفسحة» قال لها، وهو يبتسم لتذكّره: «أتذكّر رؤيتك وأنتِ تلعبين الشطرنج مع أمينة المكتبة... ما اسمها؟»

«السيدة إلم» قالت نورا.

«نعم، هذه هي! السيدة إلم!» ثم استمر قائلًا. «رأيتها قبل أيّام.»

«فعلًا؟»

«نعم. كانت في شارع شكسبير. ومعها امرأة ترتدي زيًّا شبيهًا بزيّ الممرضات. أظنها كانت في طريقها إلى مركز الرعاية بعد خروجها للتنزّه. بدت هزيلة جدًا. ومسنّة.»

لسبب ما، افترضت نورا أن السيدة إلم قد ماتت قبل سنوات، بالإضافة إلى أن نسخة السيدة إلم التي التقت بها في المكتبة جعلت الفكرة أكثر ترجيحًا، لأن نسختها في المكتبة كانت مطابقة تمامًا للسيدة إلم في فترة دراسة نورا، محفوظة في ذاكرة نورا وكأنها بعوضة في كهرمان.

«أوه لا. المسكينة. لقد أحببتها.»

بعد انتهاء الوجبة عادت نورا إلى منزل ديلان لمشاهدة أحد أفلام رايان بيلي. سمح لهما المطعم بأخذ بقية النبيذ في الزجاجة معهما. برّرت نورا لنفسها ذهابها إلى منزل ديلان بأنه لطيف ويتحدث معها بصراحة وقد يساعدها هذا على اكتشاف حياتها دون تطفّل.

كان يسكن في منزل صغير له شرفة في طريق هكسلي. ورث هذا المنزل عن والدته. كان المنزل مليئًا بالكلاب. تمكّنت نورا من رؤية خمسة منها، والبقية كانت في الطابق العلوي. لطالما تخيّلت نورا أنها تحب رائحة الكلاب، ولكنها أدركت فجأة أن لهذا الحب حد.

جلست على الأريكة وشعرت بجسم غريب أسفلها - حلقة بلاستيكية تقضمها الكلاب. وضعتها على السجادة مع الألعاب الأخرى. عظمة للعب. كرة صفراء قُضمت أطرافها. لعبة نصف مذبوحة.

كلب صغير من نوع تشيواوا يعاني من ضعف البصر حاول الاحتكاك بساق نورا اليُمنى.

«توقف عن هذا، بيدرو» قال ديلان، وهو يضحك، وسحب الكائن الصغير بعيدًا عنها.

كلب آخر، ضخم، كثير اللحم، كستنائي اللون، كان يجلس قربها على الأريكة، يلعق أذنها بلسانه الضخم، بحجم فردة نعل، فاضطر ديلان للجلوس على الأرض.

«هل تريد الجلوس على الأريكة؟»

«لا. أنا مرتاح على الأرض.»

لم تصر نورا على جلوسه بجانبها. شعرت بالارتياح لابتعاده عنها وأصبح من السهل عليها مشاهدة *Last Chance Saloon* دون أي مواقف مربكة. وتوقّف الكلب الكستنائي عن لعق أذنها ووضع رأسه على ركبتها - ولم تكن نورا سعيدة جدًا بهذا، ولكنها لم تكن مكتئبة أيضًا.

ورغم ذلك، وبينما كانت تشاهد رايان بيلي وهو يخبر حبيبته في الفيلم بأن «الحياة للعيش، يا لذيذة» يخبرها ديلان بأنه يفكّر في السماح لكلب *إضافي* بالنوم في سريره («يبكي طوال الليل. يريد والده»)، أدركت نورا أنها ليست مفتونة بهذه الحياة.

بالإضافة إلى أن ديلان استحقّ نورا الأخرى. تلك التي وقعت في حبه. كان هذا شعورًا جديدًا - وكأنها تأخذ مكان شخص آخر.

وعندما أدركت أنها قادرة على شرب كمّيات أكثر من الكحول في هذه الحياة، صبّت لنفسها المزيد من النبيذ. كان العنب من نوع زينفانديل من محاصيل كاليفورنيا. حدّقت في الزجاجة لتقرأ ما كُتب على المُلصق. لسبب ما طُبعت سيرة ذاتية مختصرة لامرأة ورجل، جانين وترينس ثورنتون. زوجان يملكان كرم العنب الذي صُنع فيه هذا النبيذ. وقرأت الجملة الأخيرة: *عندما تزوّجنا حلمنا بامتلاك كرم عنب خاص بنا يومًا ما. والآن أصبح الحلم حقيقة. هنا في وادي دراي كريك، حياتنا لها مذاق رائع كمذاق زينفانديل.*

داعبت الكلب الضخم الذي كان يلعق أذنها وهمست قرب جبينه الواسع الدافئ «وداعًا»، وتركت ديلان وكلابه وراءها.

كرم عنب بوينا ڤيستا

في الزيارة التالية لمكتبة منتصف الليل، ساعدت السيدة إلم نورا على إيجاد الحياة الأقرب للحياة الموصوفة على زجاجة النبيذ من المطعم. لذلك، أعطت نورا كتابًا وأرسلتها إلى أمريكا.

في هذه الحياة، كان اسم نورا «نورا مارتينيز» وكانت متزوجة من رجل مكسيكي-أمريكي له عينان ساحرتان قد بلغ الأربعين واسمه إدواردو، والذي التقته في سنة الإجازة قبل بدء الجامعة، والتي ندمت على عدم أخذها في حياتها الأصليّة. بعد وفاة والديه في حادث على قارب (كما عرفت، من مقالة كُتبت عنهما في مجلة *The Wine Enthusiast* والتي كان غلافها مُؤطرًا في غرفة تذوقهما للنبيذ، ورث إدواردو تركة متواضعة ليشتري بها كرم عنب في كاليفورنيا. وخلال ثلاث سنوات، نجح مشروعهما -خاصة محصول العنب الشيرازي- وتمكّنا من شراء كرم العنب المجاور عندما عُرض للبيع. كان كرْمهما لصنع النبيذ يُسمى كرم بوينا ڤيستا، ويقع على سفوح تلال سانتا كروز، ورُزقا بابن يُدعى أليخاندرو، والذي كان يدرس في مدرسة داخلية قرب مونتيري باي.

كانت أغلب مبيعاتهما تأتي من سيّاح درب النبيذ. حافلات مليئة بالبشر تصل كل ساعة. وكان من السهل عليهما الارتجال عند الحديث مع السياح لأنهم كانوا سذّجًا. كان الأمر يعمل بهذه الطريقة: يقرر إدواردو أيّ أنواع النبيذ سيصب في الكؤوس قبل وصول الحافلة، ويناول نورا الزجاجات- «واه، نورا، ديسپاسيو،

أون بوكو تـوو متش» وبّخها بمزجه للإسبانية والإنجليزية بطريقة طريفة، خاصة عندما كانت تصب النبيذ دون قياس - وهكذا عندما يصل السياح تحاول نورا استنشاق النبيذ بينما كان الجميع يشربه ويبتلعه، وتحاول تقليد إدواردو واستخدام مصطلحاته.

«هنالك عبق خشبي في هذا النبيذ» أو «ستلاحظ النكهة النباتيّة هنا - التوت الأسود المشرق والكثيف والدرّاق الفوّاح، المتسق بمثاليّة مع أصداء الفحم.»

كل حيّاة جرّبتها نورا كان لها شعور مختلف، تمامًا مثل أجزاء مختلفة في سيمفونية، وكان هذا الجزء جريئًا ومشرقًا. كان إدواردو طيّب الطبع، ومن الواضح أن زواجهما كان ناجحًا. وربما كانت حياتهما تنافس حياة الزوجين على زجاجة النبيذ التي شربتها نورا مع ديلان، بينما كان كلبه الضخم يلعقها. تذكّرت نورا اسميهما. جانين وتيرنس ثورنتون. شعرت وأنها تعيش حياة كُتبت على زجاجة نبيذ. كان مظهرها يوحي بذلك أيضًا. شعرها كاليفورني مثالي وأسنانها تبدو باهظة الثمن، سمراء وصحتها ممتازة رغم كميات النبيذ الشيرازي التي تشربها باستمرار. كان لها بطن مستوٍ، قويّ، يشير إلى ساعات من ممارسة تمارين بيلاتيس كل أسبوع.

رغم هذا، لم يكن من السهل عليها التظاهر بمعرفتها بأنواع النبيذ في هذه الحياة فقط، بل كان من السهل عليها التظاهر بكل شيء، وربما كانت هذه إشارة إلى أن المفتاح السري لنجاح علاقتها بإدواردو هو أنه لم يكن ينتبه لما يحدث من حوله.

بعد أن غادر آخر السياح، جلس إدواردو ونورا في الخارج

أسفل النجوم وفي يديهما كأسا نبيذ من محصولهما.

«انطفأت النيران في لوس أنجلوس الآن» أخبرها.

تساءلت نورا عمّن يعيش في منزلها في لوس أنجلوس من حياتها الأخرى عندما كانت نجمة عالمية. «هذا خبر مطمئن.»

«نعم.»

«أليس هذا جميلاً؟» سألته، وهي تحدّق في السماء الصافية المليئة بالأبراج.

«ماذا؟»

«المجرّة.»

«نعم.»

كان مشغولاً بهاتفه ولم يتحدث كثيرًا. ثم وضع هاتفه جانبًا ولم يقل شيئًا.

كانت تعرف هذا النوع من الصمت في العلاقات. هنالك نوع الصمت العدواني السلبي، وهنالك نوع الصمت الدال على عدم وجود أيّ حديث بينهما، وهنالك نوع الصمت الذي يبدو أنها وإدواردو قد زرعاه على مرّ السنين. صمت عدم *الحاجة* إلى الكلام.

«نحن سعداء، أليس كذلك؟»

«لماذا السؤال؟»

«أوه، أعرف أننا سعداء. لكني أريد سماعها منك أحيانًا.»

«نحن سعداء، نورا.»

رشفت نبيذها ونظرت إلى زوجها. كان يرتدي سترة رغم أن الجو لم يكن باردًا. مكثا في الخارج لبرهة ثم ذهب إدواردو للسرير قبلها.

«سأمكث في الخارج لبعض الوقت.»

لم يعترض إدواردو على بقائها في الخارج، وغادر بعد أن زرع قبلة صغيرة على رأسها.

خطت ومعها كأس النبيذ لتسير في كرم العنب تحت ضوء القمر.

حدّقت في السماء الصافية المليئة بالنجوم.

لم تكن هنالك أيّ مشكلة في هذه الحياة، ولكنها شعرت باشتياق في داخلها إلى أشياء أخرى، إلى حيوات أخرى، احتمالات أخرى. شعرت أنها ما زالت في الهواء، ولم تكن مستعدة للهبوط. ربما كانت تشبه هوغو ليفيڤر أكثر مما كانت تظن. ربما بإمكانها تقليب الحيوات بالسهولة ذاتها التي تقلب فيها الصفحات.

ابتلعت بقيّة النبيذ، وهي موقنة بأنها لن تشعر بصداعه في اليوم التالي. «أرض وخشب» قالت لنفسها. أغلقت عينيها.

لم يكن الوقت طويلًا.

على الإطلاق.

وقفت مكانها وانتظرت اختفاءها.

بدأت نورا بفهم أمر ما. لم يشرحه لها هوغو بشكل كامل في ذلك المطبخ في سڤالبارد. لم يكن عليها الاستمتاع بكل عنصر في كل حياة للاستمرار في استكشاف حيوات أخرى. عليها فقط الإيمان بوجود حياة ما يمكن الاستمتاع بها. والاستمتاع بحياة ما لا يعني بالضرورة البقاء فيها. بإمكانها البقاء في حياة ما للأبد إن لم تستطع تخيّل حياة أفضل منها، ورغم هذا، للمفارقة، كلما زاد عدد الحيوات التي جربتها، أصبح من الأسهل التفكير في حياة أفضل، لأن الخيال يتسع مع كل حياة جديدة تختبرها.

إذن، عند وصولها، وبمساعدة السيدة إلم، أخذت نورا العديد من الكتب من رفوفها، وانتهى بها الأمر لتجربة حيوات عديدة بحثًا عن الحياة المناسبة. تعلّمت أن محو ندمها كان طريقة لتحقيق أمانيها. وهنالك تقريبًا *أيّ* حياة كانت تعيشها في كون واحد.

في حياة ما، عاشت وحيدة في باريس، ودرّست اللغة الإنجليزية في كلية في مونبارناس وقادت دراجتها بمحاذاة نهر السين وقرأت العديد من الكتب على مقاعد الحدائق. في حياة أخرى، كانت مدرّبة يوغا بعنق له مرونة أشبه بالبومة.

في حياة ما استمرّت في ممارسة السباحة ولكنها لم تركض وراء الأولمبياد. كانت تسبح للمتعة فقط. في تلك الحياة كانت منقذة على شاطئ سيتجس، قرب برشلونة، كانت تتحدث الكتالونية والإسبانية بطلاقة، ولها صديقة طريفة تُدعى غابريلا

والتـي علّمتهـا ركـوب الأمـواج، وكانـت تشـاركها السـكن فـي الشـقة علـى بعـد خمـس دقائـق مـن الشـاطئ.

وفـي وجـود آخـر، اسـتمرت نـورا بالكتابـة التـي كانـت قـد جربتهـا لبعـض الوقـت فـي الجامعـة، وأصبحـت الآن كاتبـة معروفـة. روايتهـا *شـكل النـدم* تلقّـت مراجعـات رائعـة ووصلـت إلـى القائمـة القصيـرة لجائـزة أدبيّـة رفيعـة. فـي تلـك الحيـاة تناولـت طعـام الغـداء ذات مـرة مـع مديـري إنتـاج لطيفين من شـركة Magic Lantern Productions، وقـد أرادا تحويـل روايتهـا إلـى فيلـم. انتهـى بهـا الأمـر أن اختنقـت بسـبب قطعـة مـن الخبـز وتسـببت فـي صـب نبيذهـا علـى بنطـال أحـد المنتجيـن وإفسـاد الاجتمـاع تمامًـا.

فـي حيـاة أخـرى كان لديهـا ابـن مراهـق يُدعـى هنـري، والـذي لـم تلتـق بـه لأنـه اسـتمرّ فـي إغـلاق الأبـواب وراءه بعنـف.

فـي حيـاة أخـرى كانـت عازفـة بيانـو، وكانـت فـي جولـة فـي الـدول الإسـكندنافية، لتعـزف ليلـة بعـد ليلـة أمـام حشـود منبهـرة (لتختفـي عائـدة إلـى مكتبـة منتصـف الليـل خـلال محاولتهـا لعـزف الكونشـرتو الثانـي لشـوپان علـى البيانـو فـي قاعـة فينلانديـا فـي هلسـنكي).

فـي حياة أخـرى كانـت تـأكل خبـز التوسـت فقـط.

فـي حيـاة أخـرى ذهبـت إلـى أكسـفورد وأصبحـت محاضـرة فـي الفلسـفة فـي كليـة سـانت كاثريـن وعاشـت وحيـدة فـي منـزل فاخـر مـن الطـراز الجورجـي، فـي بيئـة مـن الهـدوء والاحتـرام.

فـي حيـاة أخـرى كانـت نـورا بحرًا من المشـاعر. شـعرت بكل شـيء بعمـق وبشـكل مباشـر. كل سـعادة وكل حـزن. لحظـة واحـدة بإمكانهـا أن تحتـوي علـى سـعادة بالغـة وألـم بالـغ، وكأنهمـا يعتمـدان علـى

بعضهما، مثل خطّار متحرّك. بمجرد خروجها للمشي بإمكانها الشعور بحزن ثقيل فقط لأن الشمس اختفت وراء سحابة. وفي الوقت ذاته، التقاؤها بكلب سعيد بانتباهها جعلها تشعر بسعادة غامرة لدرجة ذوبانها في الرصيف من شدّة الفرح. في تلك الحياة كان معها كتاب قصائد إيميلي ديكنسون قرب سريرها، وكانت تستمع إلى قائمة تحت عنوان «حالات من النشوة القصوى» وأخرى تحت عنوان «الصمغ لإعادة تركيبي عندما أنكسر.»

في حياة أخرى كانت مدونة مسافرة لديها 1750000 مشترك على يوتيوب وعدد مماثل على إنستقرام، وأكثر مقاطعها شهرة كان ذلك الذي وقعت فيه من على جندول في البندقيّة. وكان لديها مقطع آخر عن روما يُدعى «علاج روما.»

في حياة أخرى كانت أمًّا وحيدة لطفل لم يستطع النوم قط.

في حياة أخرى كانت مسؤولة عن عمود أخبار النجوم في صحيفة تابلويد وكتبت أخبارًا عن علاقات رايان بيلي.

في حياة أخرى كانت محررة للصور في مجلة *ناشيونال جيوغرافيك*.

في حياة أخرى كانت مهندسة معمارية ناجحة مهتمة بالبيئة تعيش في بيت من طابق واحد صممته بنفسها، لا ينبعث منه أي كربون، ويستغل ماء المطر ويستمد طاقته من الشمس.

في حياة أخرى كانت مسعفة في بوتسوانا.

في حياة أخرى كانت جليسة للقطط.

في حياة أخرى كانت متطوعة في ملجأ للمشردين.

في حياة أخرى كانت تنام على أريكة صديقتها.

في حياة أخرى كانت تدرّس الموسيقى في مونتريال.

في حياة أخرى كانت تقضي يومها في جدال مع أشخاص لا تعرفهم على تويتر وكانت نسبة كبيرة من تغريداتها تنتهي بعبارة "Do better" بينما كانت تدرك سرًا أن هذه رسالة موجهة إلى ذاتها.

في حياة أخرى لم يكن لديها أيّ حسابات على وسائل التواصل.

في حياة أخرى لم تشرب الكحول قط.

في حياة أخرى كانت بطلة في الشطرنج وذهبت في زيارة إلى أوكرانيا للمشاركة في بطولة.

في حياة أخرى كانت متزوجة من أحد أقرباء العائلة الملكية وكرهت كل دقيقة من تلك الحياة.

في حياة أخرى كانت حساباتها على فيسبوك وإنستقرام لا تحتوي إلا على اقتباسات لجلال الدين الرومي ولاو تزو.

في حياة أخرى كانت تعيش في زواجها الثالث وتشعر بالملل.

في حياة أخرى كانت ترفع الأثقال وتلتزم بحمية نباتيّة.

في حياة أخرى كانت تسافر حول أمريكا الجنوبية وعلقت في زلزال في تشيلي.

في حياة أخرى كان لديها صديقة تُدعى بَيكي، والتي كانت تقول "Oh what larks!" كلما حدث شيء جيد.

في حياة أخرى التقت بهوغو مرة أخرى، لتغطس معه في ساحل كورسيكا، ويتحدثا عن ميكانيكا الكم ويشربا الكحول في حانة قرب الشاطئ حتى انزلق هوغو واختفى خارج تلك الحياة، ليترك نورا وهي تتحدث إلى هوغو فارغ يحاول تذكّر اسمها.

في حيوات أخرى جذبت نورا الكثير من الانتباه لها، في حيوات أخرى لم ينتبه لها أحد، في حيوات أخرى كانت غنية، وفي أخرى كانت فقيرة، في بعضها كانت بصحة جيّدة. في بعضها لم تستطع صعود الدرج دون أن تلهث. في بعضها كانت في علاقة عاطفية، وفي أخرى كانت وحيدة، وفي حيوات عديدة كانت في منزلة بين المنزلتين. في بعض الحيوات كانت أمًا، وفي أغلبها لم تكن كذلك.

كانت نجمة روك، بطلة أولمبيّة، معلمة موسيقى، معلمة في مدرسة ابتدائية، بروفسور، مديرة تنفيذية، طاهية، عالمة جليد، عالمة مناخ، بهلوانة، زارعة أشجار، مديرة تدقيق، مصفّفة شعر، مشّاءة كلاب محترفة، موظفة في مكتب، مطوّرة برمجيات، موظفة استقبال، عاملة نظافة في فندق، سياسيّة، محامية، سارقة، رئيسة جمعية لحماية المحيط، عاملة في متجر (مرة أخرى)، نادلة، مشرفة أولى، نافخة في الزجاج وألف هويّة أخرى. كانت قد مرّت برحلات مريعة في سيارات، حافلات، قطارات، عبّارات، دراجات هوائية، وعلى قدميها. تلقّت رسائل ورسائل إلكترونيّة. عملت تحت إشراف مدير يبلغ من العمر ثلاثة وخمسين عامًا قام بلمس قدمها أسفل الطاولة وأرسل لها صورة مُخلّة له. كان لها زملاء قد كذبوا عليها، وزملاء أحبوها، وزملاء لم يكترثوا لأمرها. في حيوات كثيرة اختارت ألّا تعمل وفي بعضها لم تختر ذلك ولكنها لم تستطع العثور على عمل. في بعض الحيوات كانت تحطم زجاج السقف، وفي حيوات أخرى كانت تلمعه. لقد كانت مؤهلة وغير مؤهلة. حظيت بليالي نومٍ رائعة وليالي نوم مريعة.

في بعض الحيوات تناولت مضادات الاكتئاب وفي بعضها لم تتناول مسكنات الألم إن أصابها الصداع. في بعض الحيوات كانت تتوهم أن صحة جسدها جيدة وفي حيوات أخرى كانت تتوهم أنها مريضة وفي أغلبها لم تكن تتوهم على الإطلاق. في حياة ما كانت متعبة بشكل دائم، وفي أخرى كانت مريضة بالسرطان، وفي غيرها كانت تعاني من انزلاق غضروفي وكسرت ضلعها في حادث سيارة.

باختصار، عاشت نورا حيوات عديدة.

وخلال هذه الحيوات ضحكت نورا وبكت وشعرت بالهدوء والرعب وكل المشاعر بينهما.

وبين هذه الحيوات كانت تتوقف لرؤية السيدة إلم دائمًا في المكتبة.

وفي البداية شعرت نورا أنه كلما زاد عدد الحيوات التي جربتها قلّت المشكلات المتعلّقة بكل تحوّل، لم تكن المكتبة معرضة لخطر الانهيار أو الاختفاء بشكل كامل. لم تومض الأضواء رغم كثرة تحوّلات نورا. بدا الأمر وكأنها قد وصلت إلى حالة من القبول، وأنها إن تعرّضت لتجربة سيئة فلن تكون التجربة السيئة هي المخرج *الوحيد*. أدركت أنها لم تحاول إنهاء حياتها لأنها كانت تعيسة، ولكن لأنها استطاعت إقناع نفسها بعدم وجود مهرب من التعاسة.

تلك الفكرة، افترضت نورا، كانت أساس الاكتئاب والفرق بين الخوف واليأس. شعورها بالخوف ينبع من دخولها إلى قبو وفزعها من أن يُغلق الباب وراءها. اليأس كان سببه انغلاق الباب

وإقفاله وراءها.

ولكن في كل حياة رأت بابًا مجازيًا يتّسع بعض الشيء كلما تعلّمت استخدام خيالها. أحيانًا كانت في حياة لأقل من دقيقة، وأحيانًا كانت تمكث لأيام أو أسابيع. وبدا أنه بازدياد عدد الحيوات التي عاشتها، كان من الصعب عليها الشعور بالانتماء إلى أيّ منها.

المشكلة كانت في خسران نورا إحساسها بهويّتها. ككلمة هُمست من أذن إلى أذن، حتى اسمها بدأ بالتحوّل إلى ضجيج لا يرمز إلى شيء.

«هذا لا يناسبني» أخبرت هوغو، في آخر محادثة معه، في حانة شاطئ كورسيكا. «لم يعد الأمر ممتعًا. أنا لستُ مثلك. أحتاج إلى البقاء في مكان واحد، ولكن الأرض لا تستوي أبدًا.»

«المتعة في القفز، مون امي»

«ولكن ماذا لو كانت المتعة في الهبوط؟»

وكانت تلك هي اللحظة التي عاد فيها إلى مطهره في متجر أشرطة الڤيديو.

«أنا آسف» قال هوغو الآخر، وهو يرتشف نبيذه والشمس وراءه، «لقد نسيتُ من أنتِ.»

«لا عليك» قالت له. «أنا أيضًا.»

وبينما تلاشت هي أيضًا كالشمس التي ابتلعها الأفق.

«السيدة إلم؟»

«نعم، نورا، ما بك؟»

«المكان مظلم.»

«لقد لاحظت.»

«هذه ليست إشارة جيدة، أليس كذلك؟»

«لا» قالت السيدة إلم وهي مضطربة. «تعلمين تمامًا أنها ليست إشارة جيدة.»

«لا أستطيع الاستمرار.»

«لطالما قلتِ هذا.»

«لقد ركضت هربًا من حيوات. لقد عشت كل شيء. ورغم هذا ينتهي بي الأمر في المكتبة دائمًا. دائمًا أشعر بأنني جاحدة.»

«حسنًا، لا يجب عليكِ الشعور بهذا. ولم تفرغ الكتب بعد.» تنهّدت السيدة إلم. «هل تعرفين أنه في كل مرة تختارين فيها كتابًا لا يمكنه العودة إلى الرف؟»

«نعم.»

«ولهذا السبب لا يمكنك العودة إلى حياة قمتِ بتجربتها. يجب عليكِ اختيار حياة جديدة مختلفة بعض الشيء. في مكتبة منتصف الليل، لا يمكنك انتقاء الكتاب ذاته مرتين.»

«لم أفهم قصدك.»

«حسنًا، حتى في الظلام تعرفين أن الرفوف ما زالت ممتلئة كما تركتها. بإمكانك تحسسها إن أردتِ.»

لم تفعل نورا. «نعم. أعرف هذا.»

«الرفوف ممتلئة مثلما كانت عند وصولك للمرة الأولى، أليس كذلك؟»

«لا أعرف ---»

«هذا يعني أن لديكِ حيوات ممكنة بقدر تلك التي كانت ممكنة عند وصولك. عدد لا محدود. لا نفاد للاحتمالات.»

«ولكن، لرغبتي في تجربتها حد.»

«أوه نورا.»

«أوه ماذا؟»

كانت هنالك سكتة، في الظلام. ضغطت نورا على الضوء الصغير في ساعة يدها، لتتفقد الوقت.

00:00:00

«أعتقد» قالت السيدة إلم، «إن سمحتِ لي دون اعتبار كلامي وقحًا - أظن أنكِ أضعتِ طريقكِ بعض الشيء.»

«أليس هذا سبب وجودي في مكتبة منتصف الليل من البداية؟ لأنني أضعت طريقي؟»

«نعم. ولكنكِ الآن ضائعة *في الضياع*. وهذا يعني أنكِ ضائعة تمامًا. لا يمكنكِ العثور على الحياة التي تريدين بهذه الطريقة.»

«ماذا لو لم تكن هنالك أيّ طريقة صحيحة؟ ماذا لو كنتُ... عالقة؟»

«ما دامت الكتب وُجدت على الرفوف، فلا يمكن لكِ أن تكوني عالقة. كل كتاب يمثّل مهربًا محتملًا.»

«لا أفهم الحياة» عبست نورا.

«لا يجب عليكِ فهم الحياة. عليكِ فقط *عيشها*.»

هزّت نورا رأسها. كانت تلك الجملة أكثر مما يمكن لخريجة قسم فلسفة أن تحتمله.

«ولكني لا أريد الاستمرار بهذه الطريقة» قالت نورا. «لا أريد أن أكون مثل هوغو. لا أريد الانتقال بين الحيوات إلى الأبد.»

«حسنًا. عليكِ إذن الإصغاء إليّ. الآن، هل تريدين نصيحتي؟»

«نعم. بالتأكيد. يبدو أن الوقت قد فات، ولكن نعم. سيدة إلم، سأكون ممتنة جدًا لنصيحتك.»

«حسنًا. أظن أنكِ وصلتِ إلى مرحلة لا تستطيعين فيها رؤية الغابة بسبب الأشجار.»

«لا أفهم قصدك.»

«أنتِ محقة في اعتبار هذه الحيوات مثل بيانو تعزفين عليه مقطوعات لا تعبر عنك. لقد نسيتِ جوهرك. وخلال تحوّلك إلى شخوص عديدة، تحولتِ إلى لا أحد. بدأتِ بنسيان حياتك الأصليّة. بدأت بنسيان كل ما عملتِ لأجله وما لم تعملي لأجله. لقد نسيتِ ندمك.»

«لقد تعاملت مع ندمي.»

«لا. لم تواجهي كل حسراتكِ بعد.»

«حسنًا، لم أواجه كل قرار صغير ندمت عليه. بالتأكيد لا.»

«عليكِ النظر إلى *كتاب الندم* مرة أخرى؟»

«كيف يمكنني قراءته في الظلام؟»

«لأنكِ تعرفين الكتاب عن ظهر قلب. لأنه في داخلك. مثلي... تمامًا.»

تذكّرت ديلان وهو يخبرها عن رؤيته للسيدة إلم قرب دار الرعاية. فكّرت في إخبارها بهذا ثم قررت الصمت. «حسنًا.»

«لا نعرف إلا تصوّراتنا. في كل التجارب التي نمر بها لا نعرف منها إلا ما نتصوّره عنها. (لا يهم ما تنظر إليه، بل ما تراه.)»

«تعرفين ثورو؟»

«طبعًا. إن كنتِ تعرفينه.»

«المشكلة أنني لم أعد أعرف حسراتي.»

«حسنًا، لنرى. قلتِ إنني مجرّد تصوّر. إذن لماذا تصوّرتِني؟ لماذا اخترتِ رؤيتي أنا؟»

«لا أعرف. لأنكِ شخص أثق به. لأنكِ كنتِ لطيفة معي.»

«اللطف قوة هائلة.»

«ونادرة.»

«ربما كنتِ تبحثين عنها في الأماكن الخاطئة.»

«ربما.»

ثُقِب الظلام بالتصاعد البطيء لمصابيح المكتبة في كل اتجاه.

«أخبريني، أين شعرتِ باللطف في حياتك الأصليّة؟»

تذكرت نورا الليلة التي طرق فيها آش بابها. ربما لم يكن حمل قط ميت من الشارع المقابل في ليلة ماطرة إلى حديقة شقتها الصغيرة ودفنه نيابة عنها لأنها كانت تبكي وهي ثملة أكثر الأفعال رومانسيّة، ولكنه بالتأكيد كان فعلًا لطيفًا ويدلّ على طيبة آش. توقّفه عن الركض لأربعين دقيقة لمساعدة شخص محتاج دون مقابل سوى كأس من الماء.

لم تستطع نورا تقدير هذا اللطف في تلك اللحظة. حزنها

ويأسها سيطرا عليها. ولكنها الآن عادت لتأمل الأمر، وقد كان فعلًا استثنائيًا.

«أظن أنني أعرف الآن» قالت. «لقد كان أمامي، الليلة التي تسبق محاولتي لقتل نفسي.»

«ليلة البارحة؟»

«أفترض. نعم. آش. الجرّاح. الذي عثر على ڤولتس. والذي طلب مني الخروج في موعد. قبل سنوات. عندما كنت مع دان. ورفضت طلبه، لأنني كنت مع دان. ولكن ماذا لو كنت عزباء؟ ماذا لو انفصلت عن دان وتجرأت على الموافقة على طلبه للخروج وشرب القهوة، يوم السبت، أمام جميع زملائي في المتجر؟ من المؤكد وجود حياة كنت فيها متاحة في تلك اللحظة واستطعت الرد بما أريد. لأقول له: «نعم، لنذهب لشرب القهوة معًا، آش، سيكون هذا لطيفًا.» حياة أختار فيها آش. أريد أن أجرّب تلك الحياة. أين سيأخذني هذا القرار؟»

وفي الظلام سمعت الصوت المألوف للرفوف وهي تتحرّك، ببطء، ولها صرير، ثم تسرع، بسلاسة أكبر، حتى عثرت السيدة إلم على كتاب الحياة المطلوبة.

«هنا بالضبط.»

فتحت عينيها من نوم خفيف ولاحظت مباشرة أنها كانت تشعر بتعب شديد. رأت صورة على الحائط، في الظلام. استطاعت بالكاد استنتاج أن الصورة كانت تأويلًا مجرّدًا لشجرة. لم تكن شجرة طويلة. بل قصيرة وواسعة ومليئة بالزهور.

كان بجانبها رجل نائم. كان من المستحيل عليها معرفة إن كان هذا الرجل آش. كان الظلام يعمّ الغرفة، وكان وجهه يطل للجهة الأخرى من السرير ويغطيه اللحاف.

لسببٍ ما شعرت نورا بغرابة شديدة. بالطبع، وجودها في سرير واحد مع رجل لم تشترك معه من قبل سوى في دفن قط وبعض المحادثات في متجر للأدوات الموسيقيّة كان كافيًا لشعورها بالغرابة في الظروف الطبيعية. ولكن منذ دخول نورا إلى مكتبة منتصف الليلة بدأت بالتعوّد على هذه المواقف.

وكما أنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل آش، من المحتمل أيضًا ألّا يكون. لم تستطع توقّع النتائج المستقبليّة بعد قرار واحد. ذهابها مع آش لشرب القهوة قد يؤدي، على سبيل المثال، إلى وقوع نورا في حب نادل المقهى. كانت هذه ببساطة الطبيعة المخادعة لفيزياء الكم.

تحسّست إصبعها بحثًا عن خاتم.

وجدت خاتمين.

التفت الرجل نحوها.



وقعت ذراعه عليها في الظلام وقامت برفعها بلطف لتضعها

على اللحاف. ثم غادرت السرير. كانت تخطّط للنزول إلى غرفة المعيشة والاستلقاء على الأريكة، والبحث، كالعادة، عن حياتها عن طريق هاتفها.

كانت إحدى الحقائق الطريفة هي أنه على الرغم من اختلاف تجاربها بين الحيوات، فإنها دائمًا ما كانت تجد هاتفها قرب سريرها. وفي هذه الحياة، لم يتغيّر ذلك، لذلك أخذت هاتفها وتسلّلت خارج الغرفة بهدوء. وأيًا كانت هوية هذا الرجل، فإن نومه عميق جدًا ولم يشعر بحركتها قط.

حدّقت نحوه.

«نورا؟» تمتم في نومه.

إنه هو. كانت متأكدة أنه آش.

«سأذهب إلى دورة المياه» قالت له.

تمتم قائلًا «حسنًا» وعاد إلى نومه.

خطت بلطف على ألواح الأرضيّة. ولكن في اللحظة التي فتحت فيها الباب لتخرج من الغرفة، كادت تقفز من الفزع.

هناك، أمامها في الممر المعتم، رأت إنسانًا آخر صغيرًا بحجم طفل.

«ماما، رأيت كابوسًا.»

وفي الضوء الناعم للمصباح الخافت في الممر استطاعت رؤية وجه طفلة. كان شعرها الناعم متناثرًا بسبب نومها، وملتصقًا بجبينها.

صمتت نورا. كانت هذه ابنتها.

كيف لها أن تتحدث في هذه اللحظة؟

والآن عـاد إليهـا السـؤال المألـوف: كيـف بإمكانهـا الانضمـام إلـى حيـاة تأخـرتِ عنهـا لسـنوات عديـدة؟ أغمضـت نـورا عينيهـا. الحيوات الأخـرى التـي كان لديهـا أطفـال فيهـا لـم تسـتمر لأكثـر مـن دقائـق. وكانـت هـذه الحيـاة تتجـه إلـى مناطـق مجهولـة تمامًـا.

اهتزّ جسـدها بمـا تحـاول إخفـاءه داخلهـا. لـم تـرد رؤيـة طفلتهـا. ليـس لأجلهـا فقـط، بـل لأجـل الطفلـة أيضًـا. شـعرت بأنهـا تخونهـا. كانـت نـورا أمهـا، ولكنهـا أيضًـا -بطريقـة أخـرى أكثـر أهميّـة- لـم تكـن أمهـا. كانـت مجـرد امـرأة غريبـة فـي بيـت غريـب تقـف أمـام طفلـة غريبـة.

«ماما؟ هل تسمعينني؟ لقد رأيت كابوسًا.»

سـمعت الرجـل وهـو يتحـرّك فـي سـريره فـي الغرفـة وراءهـا. سـيصبح الموقـف أكثـر غرابـة إن اسـتيقظ الرجـل. لذلـك قـررت نـورا التحـدّث مـع الطفلـة.

«أوه، هـذا مؤسـف» همسـت لهـا. «الكوابيـس ليسـت حقيقيـة. إنهـا مجـرد أحـلام.»

«كان الكابوس مليئًا بالدببة.»

أغلقت نورا الباب خلفها. «الدببة؟»

«بسبب تلك القصة.»

«صحيـح. نعـم. القصـة. هيّـا، لنذهـب إلـى سـريرك...» كانـت طريقتهـا فظـة، أدركـت نـورا. فأضافـت: «يـا حبيبتـي» وهـي تتسـاءل عـن اسـم طفلتهـا فـي هـذا الكـون. «لا توجـد دببـة هنـا.»

«دمى دببة فقط.»

«نعم، فقط -»

بـدأت الطفلـة بالاسـتيقاظ أكثـر. أشـرقت عيناهـا. رأت أمهـا، وللحظـة شـعرت نـورا بذلـك. وكأمهـا. شـعرت بغرابـة التواصـل مـع العالـم عـن طريـق شـخص آخـر. «مامـا، مـاذا كنـتِ تفعليـن؟»

كانـت تتحـدث بصـوت مرتفـع. وكانـت جـادة فـي حديثهـا بطريقـة لا يتقنهـا إلا الأطفـال فـي عمـر الأربـع سـنوات (خمّنـت نـورا عمرهـا).

«شـش» قالـت نـورا. كانـت بحاجـة إلـى معرفـة اسـم الطفلـة. للأسـماء طاقـة خاصـة. وإن لـم تعرفـي اسـم ابنتـك، فـلا يمكنـك التحكّـم بالموقـف أبـدًا. «اسـمعي» همسـت نـورا، «سـأنزل إلـى الطابق السـفلي للقيـام بأمـر مـا. عـودي إلـى النوم.»«ولكـن الدببـة.»

«لا توجد أيّ دببة.»

«ولكنها في أحلامي.»

تذكّـرت نـورا الـدب القطبـي وهـو يسـرع باتجاههـا فـي الضبـاب. تذكـرت خوفهـا. رغبتهـا، فـي تلـك اللحظـة المفاجئـة، على الاسـتمرار بالحيـاة. «لـن تأتـي الدببـة هـذه المـرة، أعـدك.»

«ماما، لماذا تتحدثين بهذه الطريقة؟»

«أيّ طريقة؟»

«هذه الطريقة.»

«الهمس؟»

«لا.»

لـم تعـرف نـورا قصـد ابنتهـا. ومـا الفـرق بينهـا الآن وبيـن أم الطفلـة. هـل غيّـرت الأمومـة مـن طريقتهـا فـي الـكلام؟

«وكأنكِ خائفة» وضحّت لها الطفلة.

«أنا لست خائفة.»

«أريد أن يمسك أحد يدي.»

«ماذا؟»

«أريد أن يمسك أحد يدي.»

«حسنًا.»

«ماما سخيفة!»

«نعم. نعم، أنا سخيفة.»

«أنا خائفة فعلًا.»

قالتها بصوت منخفض. وعندها نظرت نورا إليها. نظرت إليها بتمعّن هذه المرة. بدت الطفلة غريبة ومألوفة في الوقت ذاته. شعرت نورا بتضخّم ما في داخلها، كان أمرًا قويًا ومخيفًا.

حدّقت الطفلة إلى نورا بطريقة لم تعرفها نورا من قبل. كانت تلك العاطفة مخيفة. كان لها فم نورا. وتلك النظرة التائهة التي يصف بها البعض نورا أحيانًا. كانت الطفلة جميلة وكانت ابنة نورا -بطريقة ما- وشعرت بتضخّم الحب المجنون، اندفاعه الهائل، وعرفت أنه - إن لم تأتِ المكتبة الآن لإنقاذها (وهذا لن يحدث) عليها الهرب بعيدًا.

«ماما، هل ستمسكين يدي...؟»

«أنا...»

وضعت الطفلة يدها في يد نورا. كانت يدها صغيرة ودافئة وشعرت نورا بالحزن عند لمسها، الطريقة التي ارتاحت بها يد طفلتها في يدها، كانت تلقائية وطبيعية كارتياح اللؤلؤة في المحارة. سحبت نورا باتجاه الغرفة المجاورة - غرفة نوم الطفلة. أغلقت نورا الباب خلفها وحاولت النظر إلى الوقت في

ساعة يدها، ولكنها كانت ساعة ذات عقارب في هذه الحياة دون إضاءة لذلك استغرق الأمر ثانية أو ثانيتين لتتمكن عيناها من رؤية الوقت. تأكدت من الوقت على شاشة هاتفها. كانت الساعة تشير إلى 2:32 صباحًا. وبالاستناد إلى الوقت الذي ذهبت فيه إلى السرير في هذه الحياة، يبدو أن هذه النسخة من جسدها لم تكن تحظى بكفايتها من النوم. وشعرت أنها متعبة بالتأكيد.

«ماذا يحدث عند الموت، ماما؟»

لم تكن الغرفة مظلمة تمامًا. كانت هنالك قطعة من الضوء قادمة من الممر، بالإضافة إلى ضوء عمود إنارة الشارع الذي اخترق بلمعانه النحيل الستائر التي تحمل رسومًا لكلاب. كان بإمكانها رؤية سريرها. كان بإمكانها رؤية طيف لعبة على شكل فيل على الأرض. حيث كانت ألعاب أخرى أيضًا. كانت غرفة فوضوية وسعيدة.

أشرقت عينا الطفلة باتجاه نورا.

«لا أعرف» قالت نورا. «لا أظن أن أحدًا يعرف الإجابة عن هذا السؤال.»

عبست. لم يرضها ذلك الرد. لم يعجبها ما سمعت قط.

«استمعي إليّ» قالت نورا. «قبل موتك قد تتمكنين من الحصول على فرصة للعيش من جديد. بإمكانك الحصول على أشياء لم تحصلي عليها من قبل. بإمكانك اختيار الحياة التي تريدين.»

«يبدو هذا رائعًا.»

«ولكن لا يجب عليكِ القلق بشأن هذا إلا بعد زمن طويل. ستحظين بحياة مليئة بالمغامرات المثيرة. وستحدث لك الكثير

من الأشياء السعيدة.»

«مثل الذهاب للتخييم!»

انبعثت دفقة من الدفء عبر جسد نورا وهي تبتسم لهذه الطفلة الجميلة. «نعم. مثل الذهاب للتخييم!»

«أحب ذهابنا للتخييم!»

ظلت نورا مبتسمة ولكنها شعرت بالدموع خلف عينيها. بدت هذه كحياة جميلة. عائلتها. ابنة تذهب معها في العطلات للتخييم.

«اسمعي» قالت، وهي تدرك أنها لن تستطيع الهرب من غرفة النوم قريبًا. «حين تشعرين بالقلق بسبب أشياء لا تعرفينها، كالمستقبل، عليكِ أن تتذكري الأشياء التي تعرفينها.»

«لا أفهم» قالت الطفلة، وهي تختبئ أسفل اللحاف بينما جلست نورا بجانبها على الأرض.

«حسنًا، الأمر أشبه باللعبة.»

«أحب الألعاب.»

«ما رأيك لو لعبنا معًا؟»

«نعم» ابتسمت طفلتها. «لنلعب.»

«سأسألك سؤالًا تعرفين إجابته مسبقًا. مثلًا، إن سألتك «ما اسم ماما؟»، ستجيبين «نورا.» فهمتِ؟»

«أظن ذلك.»

«إذن، ما اسمكِ؟»

«مولي.»

«حسنًا، ما اسم بابا؟»

«بابا!»

«ما اسمه الحقيقي؟»

«آش!»

حسنًا. يبدو أن موعد شرب القهوة كان ناجحًا حقًا.

«وأين نعيش؟»

«كامبريدج!»

كامبريدج. يبدو هذا منطقيًا. لطالما أحبّت نورا كامبريدج، وكانت تبعد ثلاثين ميلًا عن بدفورد. يبدو أن آش قد أحبها أيضًا. ومنها يمكنه الذهاب إلى لندن بسهولة، إن كان ما زال يعمل فيها. وبعد تخرجها من جامعة بريستول، تقدّمت لدراسة ماجستير الفلسفة وقُبلت في كليّة كيوس في كامبريدج.

«أي جزء من كامبريدج؟ هل تتذكرين؟ ما اسم شارعنا؟»

«منزلنا في شارع... بول... بولتون.»

«أحسنتِ! وهل لديكِ إخوة أو أخوات؟»

«لا!»

«وهل يحب ماما وبابا بعضهما؟»

ضحكت مولي على السؤال. «نعم!»

«وهل نصرخ على بعضنا؟»

أصبحت ضحكتها ساخرة. «أحيانًا! خاصةً ماما!»

«آسفة!»

«تصرخين فقط عند كونك متعبة جدًا، جدًا، جدًا، وتعتذرين بعدها لذلك لا مشكلة. كل الأشياء تُغتفر إن قلتِ إنكِ آسفة. هذا كلامك.»

«هل تذهب ماما للعمل؟»

«نعم. أحيانًا.»

«هل ما زلت أعمل في المتجر الذي التقيت فيه بابا؟»

«لا.»

«ماذا تفعل ماما عند ذهابها للعمل؟»

«تعلّم الناس!»

«كيف تعلم - أعلم الناس؟ ماذا أعلمهم؟»

«فل-س... فل-س ف... ف-ة»

«فلسفة؟»

«هذا ما قلته!»

«وأين أدرّس الفلسفة؟ في الجامعة؟»

«نعم!»

«أيّ جامعة؟» ثم تذكّرت مكان عيشهم. «في جامعة كامبريدج؟»

«نعم!»

حاولت أن تملأ الفراغات. ربما أعادت المحاولة وقدّمت من

جديد لدراسة ماجستير الفلسفة، ونجحت في إتمامه وحصلت على وظيفة محاضرة في الجامعة.

على كل حال، إن كانت تريد النجاح في التظاهر بانتمائها إلى هذه الحياة، عليها أن تعود لقراءة الفلسفة. ولكن مولي قالت: «ولكنكِ ستتوقفين الآن.»

«أتوقف؟ لماذا أتوقف؟»

«لتكتبي الكتب!»

«كتب ماذا؟»

«لا، يا سخيفة. لتكتبي كتابًا للكبار.»

«أنا أكتب كتابًا؟»

«نعم! أخبرتك للتو.»

«أعرف. كنت أحاول فقط دفعك لتكرارها مرتين. لأن ذلك يضاعف لطفها. ويجعل الدببة أقل رعبًا. حسنًا؟»«حسنًا.»

«هل يعمل بابا؟»

«نعم.»

«هل تعرفين ما وظيفته؟»

«نعم. إنه يقطّع الناس!»

وللحظة خاطفة نسيت نورا أن آش جراح وتساءلت إن كانت قد وجدت نفسها في بيت قاتل متسلسل. «يقطّع الناس؟»

«نعم، يقطّع أجسادهم لتتحسن صحتهم!»

«آه، نعم. طبعًا.»

«إنه ينقذ حيواتهم!»

«نعم، هذا صحيح.»

«عدا تلك المرات التي يحزن فيها ويموت الشخص.»

«نعم، هذا محزن.»

«هل ما زال بابا يعمل في بدفورد، أم انتقل للعمل في كامبريدج الآن؟»

هزّت كتفيها. «كامبريدج؟»

«هل يعزف الموسيقى؟»

«نعم. إنه يعزف الموسيقى. ولكن بطريقة سيئة جدًا جدًا جدًا جدًا!» ضحكت وهي تجيب.

ضحكت نورا أيضًا. كانت ضحكة مولي معدية. «إنها... هل لديكِ أيّ عمّات أو أعمام؟»

«نعم، العمة جايا.»

«مَن هي العمة جايا؟»

«أخت بابا.»

«ألديك أعمام غيرها؟»

«نعم، العم جو والعم إيوان.»

شعرت نورا بالارتياح لأن أخاها ما زال حيًا في هذا الخط الزمني. وأنه ما زال مع الرجل ذاته من حياتها الأولمبيّة. ومن الواضح أنه قريب من العائلة لدرجة تجعل مولي تعرفه.

«متى التقينا عمك جو آخر مرة؟»

«في الكريسمس!»

«هل تحبين عمك جو؟»

«نعم! إنه طريف! وأهداني باندا!»

«باندا؟»

«أكثر دمية أحتضنها!»

«الباندا دب أيضًا.»

«دب لطيف.»

تثاءبت مولي. كانت تشعر بالنعاس.

«هل يحب العم جو وماما بعضهما؟»

«نعم! دائمًا ما يتحدثان على الهاتف!»

كان هذا مثيرًا. لقد افترضت نورا أن الحيوات الوحيدة التي كانت علاقتها فيها جيدة مع أخيها كانت تلك التي لم تلتحق فيها بفرقة المتاهات (وعلى عكس قرارها بالاستمرار في السباحة، موعد القهوة مع آش أعقب تجربها في فرقة المتاهات). ولكن ما سمعته الآن يلغي تلك النظرية. لم تستطع نورا منع نفسها من التفكير في احتمالية كون مولي اللطيفة هي الرابط المفقود. ربما كانت هذه الطفلة الصغيرة هي السبب في رأب الصدع بينها وبين أخيها.

«هل لديكِ جد وجدة؟»

«جدتي سال فقط.»

أرادت نورا السؤال عن موت والديها، ولكن الوقت لم يكن مناسبًا.

«هل أنتِ سعيدة؟ أقصد، حين لا تفكرين في الدببة؟»

«أظن ذلك.»

«هل ماما وبابا سعيدان؟»

«نعم» قالت ببطء. «أحيانًا. عندما لا تكونين متعبة!»

«وهل نحظى بالكثير من الأوقات المرحة معًا؟»

فركت عينيها. «نعم.»

«وهل لدينا أيّ حيوانات أليفة؟»

«نعم. أفلاطون.»

«مَن هو أفلاطون؟»

«كلبنا.»

«وأي نوع من الكلاب هو؟»

ولكنها لم تحصل على أيّ إجابة، لأن مولي كانت نائمة. واستلقت نورا هناك، على السجادة، وأغمضت عينيها.

حين استيقظت نورا، كان لسانٌ ما يلعق وجهها.

كلب من نوع لابرادور بعينين مبتسمتين وذيل متعرج بدا فرحًا أو متحمسًا لرؤيتها.

«أفلاطون؟» سألت وهي نصف نائمة.

هذا أنا، بدا أفلاطون وكأنه يجيبها.

كان الصباح قد اجتاح المنزل، وسال الضوء عبر الستائر الآن. دمى لطيفة -بما فيها الباندا، الفيل الذي تعرفت عليه نورا- مُلقاة على الأرض. نظرت إلى السرير ولاحظت أنه فارغ. لم تكن مولي في الغرفة. وسمعت صوت وقع أقدام ثقيلة -أثقل من أقدام مولي- وهي تصعد الدرج.

جلست وهي تعرف أن منظرها مريع بالتأكيد بعد نومها على الأرض وهي ترتدي قميصًا واسعًا لفرقة The Cure (كانت تملكه) وبنطال كاروهات (لم تملكه من قبل). تحسّست وجهها وقد تجعّد من النوم على السجادة، وشعرها -الذي كان أطول في هذه الحياة- كان متسخًا ومتساقطًا. حاولت أن ترتّب هيئتها

لتبدو مقبولة خلال ثانيتين قبل وصول الرجل الذي كانت تنام معه كل ليلة والذي لم تنم معه من قبل أيضًا. زوج شرودنغر، إن صح التعبير.

وبعدها، فجأة، وقف أمامها.

صبيانيّة آش ووسامته لم تؤثر فيها الأبوّة إلا بقدر ضئيل. بل إنه يبدو أكثر صحة من المرة التي وقف فيها على بابها، وكتلك اللحظة، كان يرتدي ملابس الركض - رغم أن ملابسه هنا بدت أكثر فخامة وغلاء، وكانت تحيط ذراعه أداة رياضيّة لحساب الأداء.

كان يبتسم ويحمل معه كوبين من القهوة له ولنورا. تساءلت عن عدد أكواب القهوة التي تشاركاها منذ أول قهوة لهما.

«أوه، شكرًا.»

«أوه لا، نور، هل نمتِ هنا طوال الليل؟» سألها.

نور.

«أغلب الليل. أردت العودة إلى السرير ولكن مولي أرادتني بجانبها. اعتنيت بها ثم لم أستطع العودة من شدة التعب.»

«أوه لا. أنا آسف. لم أسمعها.» بدا عليه الحزن. «أظنها غلطتي. لقد أريتها بعض مقاطع الدببة على يوتيوب بالأمس قبل ذهابي إلى العمل.»

«لا عليك.»

«على كل حال، قد مشيت مع أفلاطون للتو. لن أذهب إلى المستشفى إلا عند الظهيرة اليوم. سأعمل لوقت متأخر. هل ما زلت تريدين الذهاب إلى المكتبة اليوم؟»

«أوه. هل تعرف؟ قد لا أذهب هذه المرة.»

«حسنًا، جلبت معي بعض الأكل لمولي وسوف أوصلها إلى المدرسة.»

«أستطيع الاعتناء بمولي» قالت نورا. «إن كان يومك مزدحمًا.»

«أوه، يومي سيكون معقولاً. عملية مرارة وبنكرياس حتى الآن. سهلة للغاية. سأحاول الخروج للركض الآن.»

«حسنًا. نعم. بالطبع. تستعد لسباق نصف الماراثون يوم الأحد.»

«ماذا؟»

«لا شيء. لا يهم» قالت نورا، «ما زلت مشوشة الذهن بسبب نومي على الأرض.»

«لا مشكلة. على كل حال، اتصلت أختي. إنها تعمل على تصميم تقويم حدائق النباتات الملكية في كيو. إنها سعيدة للغاية.»

ابتسم. بدت عليه السعادة لنجاح أخته التي لم تسمع بها نورا من قبل. أرادت شكره على تعامله النبيل مع موت قطّها، ولكنها لم تستطع، لذلك قالت له، «شكرًا لك.»

«على ماذا؟»

«فقط، كما تعلم، على كل شيء.»

«أوه. حسنًا.»

«لذلك، شكرًا لك.»

هزّ رأسه. «هذا لطيف. على كل حال، حان وقت الركض.»

شرب قهوته واختفى. مسحت نورا الغرفة بعينيها، وامتصت كل معلومة وجدتها. كل دمية وكل كتاب وكل مقبس كهرباء، وكأن كل ما حولها جزء من أحجية حياتها.

بعد ساعة، كانت مولي في طريقها إلى مدرسة الأطفال ونورا تقوم بالمعتاد. تتفقّد رسائلها البريديّة وشبكات التواصل

الاجتماعي. لم تكن نشطة على تلك المواقع، وكانت هذه إشارة مشجعة، ولكنها كانت تتلقى العديد من الرسائل البريديّة. من تلك الرسائل اكتشفت أنها لم تكن على وشك «التوقف» عن التدريس بل إنها توقفت رسميًا. كانت في إجازة تفرغ لكتابة كتاب عن هنري ديفيد ثورو وعلاقته بالحركة الحديثة لحماة البيئة. لاحقًا في هذه السنة كانت تخطط لزيارة والدن پوند في كونكورد، ماساشوستس، بتمويل من منحة بحثيّة.

بدا هذا رائعًا.

رائع بطريقة توشك أن تكون مزعجة.

حياة طيبة وابنة طيبة ورجل طيب في منزل طيب وبلدة طيبة. كان فيضًا هائلًا من الطيبة. حياة بإمكانها أن تقضيها في القراءة والبحث والكتابة عن فيلسوفها المفضّل.

«هذا رائع» أخبرت الكلب. «أليس هذا رائعًا؟»

تثاءب أفلاطون دون اكتراث.

ثم بدأت باكتشاف منزلها، والكلب يراقبها من أريكته المريحة. كانت غرفة المعيشة واسعة. غاصت قدماها في السجادة الناعمة.

أرضيّة بيضاء، شاشة تلفزيون، موقد خشب، بيانو كهربائي، جهازا كمبيوتر محمولان متصلان بالشحن، سطح من خشب ماهوغاني تطفو فوقه رقعة شطرنج مزخرفة، رفوف كتب مرصوصة. غيتار جميل يرتاح في الزاوية. عرفت نورا نوعه مباشرة، *إلكترو-أكوستك «ميدنايت ستاين» فيندر ماليبو*. كانت قد باعت مثله خلال آخر أسابيع عملها في متجر نظرية الأوتار.

كانت هنالك صور معلّقة منثورة في غرفة المعيشة. أطفال لم تعرفهم مع امرأة تشبه آش – قد تكون أخته. صورة قديمة لوالديها المتوفين في يوم زواجهما، وصورة لها مع آش في يوم زواجهما أيضًا. بإمكانها رؤية أخيها في الخلفية. صورة لأفلاطون. وصورة أخرى لطفلة، قد تكون مولي.

نظرت إلى الكتب. بعضها عن اليوغا، ولكنها ليست الكتب المستعملة ذاتها التي كانت تمتلكها في حياتها الأصلية. كتب طبية. لاحظت وجود نسخة من كتاب برتراند رسل *تاريخ الفلسفة الغربية*، إلى جانب كتاب هنري ديفيد ثورو *والدِن*، كلاهما كانا معها منذ أيام دراستها الجامعية. بالإضافة إلى الكتاب المألوف *مبادئ الجيولوجيا*. كانت هنالك عدة كتب عن ثورو. ونسخ من *جمهورية* أفلاطون. *وأصول الشمولية* لحنة أرندت، والذي كانت قد امتلكته في حياتها الأصلية، ولكن ليس بهذه الطبعة. كتب أخرى تبدو كتلك التي تجدها في مكتبات المثقفين لكتّاب مثل جوليا كريستيفا وجودث بتلر وشيماماندا نغوزي أديشي. كانت هنالك العديد من الكتب حول فلسفة الشرق التي لم يسبق لها قراءتها من قبل وتساءلت إن كانت قد قرأتها جميعًا قبل أن تبدأ بالتدريس في كامبريدج.

روايات، بعضها لديكنز، سيلفيا بلاث: *الناقوس الزجاجي*، وبعض كتب العلوم، كتب الموسيقى، وعدة كتب عن التربية، *الطبيعة* لرالف والدو إيمرسون وربيع *صامت* لرايتشل كارسون، وبعض الكتب عن التغيير المناخي، وكتاب كبير كان عنوانه *أحلام القطب الشمالي: الخيال والرغبة في مشهد شمالي*.

لـم يسـبق لهـا أن كانـت ملتزمـة باقتنـاء وقـراءة كل هـذه الكتـب العميقـة مـن قبـل. مـن الواضـح أن هـذا مـا يحـدث لـك عنـد حصولـك علـى درجـة الماجسـتير مـن جامعـة كامبريـدج لتذهـب فـي فتـرة تفـرغ لكتابـة كتـاب عـن فيلسـوفك المفضّـل.

«لقد أذهلتك» قالت للكتب. «بإمكانك الاعتراف بهذا.»

كانـت هنالـك كومـة مـن كتـب الأغانـي أيضًـا، وابتسـمت نـورا عندمـا رأت أن أول كتـاب فيهـا كان كتـاب سـايمون وغارفنـكل الـذي باعتـه لآش فـي اليـوم الـذي طلـب منهـا الذهـاب معـه لشـرب القهـوة. وعلـى طاولـة القهـوة اسـتلقى كتـاب لامـع آخـر علـى غلافـه صـور لمشـاهد إسـبانية وعلـى الأريكـة كتـاب آخـر يُدعـى *موسـوعة النباتـات والزهـور*.

وعلـى رف المجـلات رأت العـدد الجديـد مـن مجلـة *ناشـيونال جيوغرافيـك* وكان غلافهـا صـورة للثقـب الأسـود.

وعلـى الحائـط رأت نسـخة مـن إحـدى لوحـات خـوان ميـرو مـن متحفـه فـي برشـلونة.

«هـل ذهبـت مـع آش إلـى برشـلونة يـا أفلاطـون؟» تخيّلتهمـا وهمـا يسـيران معًـا، يدًا بيـد، فـي شـوارع الحـي القوطـي، يقفـان عنـد حانـة لتنـاول أطبـاق التاپـاس وشـرب نبيـذ ريوخـا.

وعلـى الحائـط المقابـل لرفـوف الكتـب كانـت هنالـك مـرآة. مـرآة واسـعة لهـا إطـار أبيـض مزخـرف. لـم تعـد نـورا متفاجئـة مـن اختـلاف هيئتهـا بيـن الحيـوات. لقـد مـرّت بـكل الأشـكال والأحجـام وكل قصّـات الشـعر. فـي هـذه الحيـاة، بـدت *جذابـة* بطريقـة مثاليـة. كانـت سـتود أن تكـون صديقـة مـع هـذه المـرآة. لـم تكـن سـبّاحة أولمبيّـة

ولا نجمـة روك ولا بهلوانـة فـي سـيرك دو سـوليه، بـل كانـت امـرأة تحظـى بحيـاة جميلـة، بالاسـتناد علـى مـا رأتـه فـي غرفـة المعيشـة. امـرأة بالغـة لديهـا فكـرة مبهمـة عـن هويتهـا وعـن معنـى مـا تقـوم بـه فـي هـذه الحيـاة. شـعر قصيـر، ولكنـه ليـس قصيـرًا جـدًا، بشـرة أكثـر نضـارة مـن بشـرتها فـي حياتهـا الأصليـة، إمـا بسـبب نظامهـا الغذائـي، توقفهـا عـن شـرب النبيـذ، الرياضـة، أو بسـبب المرطبـات والمسـتحضرات التـي رأتهـا فـي دورة الميـاه، والتـي كانـت جميعهـا أغلـى ثمنًـا مـن أيّ شـيء قـد امتلكتـه فـي حياتهـا الأصليّـة.

«حسنًا» قالت لأفلاطون. «هذه حياة جميلة، صحيح؟»

يبدو أن أفلاطون يتفق معها.

عثرت على درج العقاقير في المطبخ وبدأت بالبحث بين الأشرطة اللاصقة ومسكنات الألم وأدوية الأطفال والفيتامينات وضمادات ركبة العداء ولكنها لم تجد أي أثر لمضادات الاكتئاب.

ربما كانت هذه هي الحياة المنشودة. ربما ستتمكن من اختيار هذه الحياة أخيرًا. ربما لن تعود بعد الآن إلى الرفوف.

بإمكاني أن أصبح سعيدة هنا.

بعد لحظات، وهي تستحم، بحثت في جسدها عن علامات جديدة. لم تعثر على أيّ وشوم ولكنها عثرت على أثر لجرح. بدا وكأنه أثر لعملية جراحية - كان خطًا أفقيًا طويلًا ونحيلًا أسفل سرّتها. كانت قد رأت أثر الولادة القيصرية من قبل، والآن مررت إبهامها على الخط الأفقي، وفكّرت أنها إن بقيت في هذه الحياة فإنها ستصل متأخرة دائمًا.

عاد آش إلى المنزل بعد أخذه لمولي إلى المدرسة.

ارتدت ملابسها بسرعة كي لا يراها دونها.

تناولا طعام الفطور معًا. جلسا قرب طاولة المطبخ وطالعا أخبار اليوم وتناولا التوست وكأنهما نموذج حي على الزواج الناجح.

ثم ذهب آش إلى المستشفى وبقيت هي في المنزل لتبدأ ببحثها عن ثورو. قرأت ملفها الذي كانت تعمل على كتابته، والذي وصل عدد كلماته إلى 42729 كلمة، وجلست لتناول التوست قبل الذهاب لإحضار مولي من المدرسة.

أرادت مولـي الذهـاب إلـى الحديقـة المجـاورة «كالعـادة» لإطعـام البـط، فأخذتهـا نـورا، وأخفـت حقيقـة اسـتخدامها للخرائـط علـى هـاتفهـا لتتمكـن مـن العثـور علـى الحديقـة.

دفعت نـورا مولـي علـى الأرجوحـة حتـى آلمتهـا ذراعهـا، وانزلقـت معهـا وزحفـت خلفهـا عبـر أنفـاق معدنيـة. ثـم أطعمـا البـط ببعـض الشـوفان الجـاف.

ثـم جلسـت مـع مولـي أمـام التلفزيـون وحضّـرت لهـا عشـاءها وقـرأت لهـا قصـة النـوم، قبـل أن يعـود آش إلـى المنـزل.

بعـد عـودة آش إلـى المنـزل، جـاء رجـل إلـى البـاب وحـاول الدخـول فـأغلقـت نـورا البـاب فـي وجهـه.

«نورا؟»

«نعم.»

«لماذا تصرفتِ بغرابة مع آدم؟»

«ماذا؟»

«أظن أنه مستاء بعض الشيء.»

«ماذا تقصد؟»

«لقد تصرفتِ وكأنه شخص غريب.»

«أوه.» ابتسمت نورا. «آسفة.»

«إنـه جارنـا منـذ ثـلاث سـنوات. لقـد ذهبنـا معـه ومـع هانـا للتخييم قـرب ليك ديسـتريكت.»

«نعم. أعرف. بالتأكيد.»

«لـم تسـمحي لـه بالدخـول. وكأنـه شـخص متطفّـل أو دخيـل علـى المنـزل.»

«فعلاً؟»

«لقد أغلقتِ الباب في وجهه.»

«أغلقت الباب. لم أغلقه في وجهه. أقصد، نعم، كان وجهه أمامي. ولكني لا أريده أن يعتقد أن بإمكانه اقتحام منزلنا.»

«كان سيعيد خرطوم المياه.»

«أوه، حسنًا. لسنا بحاجة إلى الخرطوم. الخراطيم مضرّة بالبيئة.»

«هل أنتِ بخير؟»

«لمَ لا أكون بخير؟»

«أنا قلق عليكِ لا أكثر...»

بشكل عام، كانت هذه الحياة جميلة، وفي كل مرة تساءلت نورا إن كانت ستستيقظ لتجد نفسها في المكتبة، لم يحدث هذا. في يوم ما، بعد انتهائها من حصة اليوغا، جلست نورا على مقعد مطل على نهر كام وأعادت قراءة بعض ما كتبه ثورو. في اليوم التالي، شاهدت مقابلة على التلفزيون لرايان بيلي وهو في كواليس فيلم *Last Chance Saloon 2*، والذي قال فيها إنه «في رحلة بحث روحية عن علاقة أعمق مع الكون» بدلاً من القلق بشأن «الاستقرار في علاقة عاطفية.»

تلقّت صورًا لحيتان من إيزي، وردت عليها عبر واتس آب لتخبرها أنها سمعت بحادث سير مريع في أستراليا مؤخرًا، ووعدت إيزي بأنها ستقود سيارتها بحذر دائمًا.

اكتشفت نورا أنها لم تشعر بأي رغبة في معرفة ما يفعله دان في هذه الحياة. وكانت تشعر بالامتنان لوجودها مع آش. ولتكون

أكثر دقة: كانت تتخيّل أنها ممتنّة، لأنه كان لطيفًا معها، وكانت بينهما لحظات عديدة من السعادة والضحك والحب.

كان آش يعمل لفترات طويلة ولكنه كان سهل المعشر عند وجوده في المنزل، حتى بعد أيام من رؤيته للدماء والقلق المستمر وعمليات المرارة. كان آش مهوَّسًا بعض الشيء بما يحب. لطالما قال «صباح الخير» لكبار السن عند رؤيتهم في الشارع وهو يسير مع الكلب رغم تجاهلهم له أحيانًا. كان يغنّي في السيارة مع الراديو. وبشكل عام لم يكن بحاجة إلى النوم لساعات طويلة. ودائمًا ما يوافق على الاعتناء بمولي ليلًا حتى لو كان عليه القيام بعملية جراحية في الصباح.

كان يحب إخبار مولي بالحقائق العلمية المقززة -المعدة تحصل على بطانة جديدة كل أربعة أيام! شمع الأذن هو نوع من أنواع العرق! هنالك كائنات تدعى العث تعيش في رموش عينك! -وكان يحب التصرّف بشكل غير لائق أحيانًا. قام (في حديقة البط، في أول أيام السبت، ومولي تسمعه) بإخبار شخص غريب بكل حماس إن أعضاء البط تشبه فتّاحات القوارير.

وفي الليالي التي يصل إلى المنزل فيها مبكرًا للطبخ، كان يحضّر طبق عدس دال لذيذ ويبني أربيياتا، وكان يحب وضع قطعة ثوم كاملة في كل وجبة يحضرها. وكانت مولي على حق: لم تمتد قدراته الفنية للوصول إلى الموسيقى. وعند أدائه أغنية "The Sound of Silence"، وعزفه على الغيتار، وجدت نورا نفسها تتمنى أخذه لعنوان الأغنية بشكل حرفي.

لقد كان آش أحمقَ بعض الشيء - ينقذ حيوات البشر بشكل يومي، ولكنه يتصف ببعض الحمق أحيانًا. كانت نورا تحب الحمقى، وشعرت أنها حمقاء أيضًا، وقد ساعدها هذا على تجاوز *غرابة* عيشها مع زوج ما زالت تتعرف عليه.

هذه حياة جميلة، تخبر نورا نفسها مرة بعد أخرى.

نعم، التربية مرهقة جدًا، ولكن مولي كانت طفلة ودودة، على الأقل في ساعات النهار. بل إن نورا كانت تفضّل وجود مولي في المنزل بدلًا من المدرسة لتضيف بعض التحدي إلى وجودها الذي عادة ما يكون خاليًا من الصعوبات. كانت حياتها خالية من القلق في علاقتها بزوجها، في عملها، وفي علاقتها بالمال.

كانت هذه الحياة كثيرة وتستوجب الشعور بالامتنان.

إلا أنها لم تخلُ من بعض اللحظات الحرجة. شعرت بأنها ممثلة في مسرحية لم تحفظ نصها.

«هل هنالك مشكلة؟» سألها آش ذات ليلة.

«فقط...» نظر إليها بابتسامته الطيبة وعينيه الحادتين. «لا أعرف. لقد نسيتِ ذكرى زواجنا. ونسيتِ مشاهدتك لأفلام عديدة. نسيتِ أن لديكِ دراجة. نسيتِ مكان الأطباق في المطبخ. وبدأتِ بارتداء حذائي المنزلي. وبدأتِ بالنوم في جهتي من السرير.»

«يا إلهي، آش» قالت له وهي منفعلة. «أشعر بأنني أتعرض للاستجواب.»

«أنا قلق من...»

«أنا بخير. فقط، لكي تعلم، أنا ضائعة في عالم بحثي. ضائعة في الغابات. غابات ثورو.»

وشعرت في هذه اللحظات بأنها قد تعود إلى مكتبة منتصف الليل. أحيانًا كانت تتذكر كلمات السيدة إلم في زيارتها الأولى. *إن أردتِ عيش حياة ما بشدّة، فلا تقلقي... في اللحظة التي تقررين فيها رغبتك في عيشها، رغبتك الكاملة، فإن كل ما في ذاكرتك الآن، بما في ذلك مكتبة منتصف الليل، سيتحول إلى حلم. ذاكرة مبهمة وغير محسوسة سينتهي بها الأمر إلى الاختفاء.*

سألت نورا نفسها: إن كانت هذه هي الحياة المثاليّة، لماذا لم تتلاشَ ذاكرة المكتبة حتى الآن؟

كم يلزم من الوقت للنسيان؟

كانت تشعر أحيانًا بلمحات رقيقة من الاكتئاب تحوم حولها، دون سبب حقيقي، ولكنها لا تقارن أبدًا باكتئابها في حياتها الأصليّة، أو في حيواتها الأخرى. كان الأمر أشبه بمقارنة شهقة بالتهاب رئوي. وعندما تذكرت سوء شعورها عند فقدانها لعملها في متجر نظرية الأوتار، عندما تذكرت اليأس، والشوق الوحيد والبائس للموت، أدركت أن ما تشعر به الآن *لا يقارن أبدًا*.

كل ليلة خلدت فيها للنوم وهي تعتقد أنها ستستيقظ في هذه الحياة من جديد، لأنها كانت -بالمجمل- أفضل حياة عرفتها. بالتأكيد، تطوّر الأمر معها من الذهاب للنوم وافتراض أنها ستستيقظ في هذه الحياة إلى الخوف من النوم والاستيقاظ في مكان آخر.

ورغم هذا، ليلة بعد ليلة كانت تخلد للنوم وتستيقظ يومًا بعد يوم في السرير ذاته. أو أحيانًا على السجادة، ولكنها شاركت هذا الألم مع آش، وكانت تستيقظ في سريرها أكثر وأكثر لأن مولي كانت تتحسن في نومها بشكل تدريجي.

كانت هنالك لحظات محرجة، طبعًا. لم تعرف نورا الطريق إلى أيّ وُجهة، أو مخابئ الأشياء في المنزل، وتساءل آش أحيانًا إن كان عليها زيارة الطبيب. وفي البداية تجنّبت العلاقة الحميميّة معه، ولكن ذات ليلة مارساها معًا وشعرت نورا بعد ذلك بالذنب بسبب الكذبة التي كانت تعيشها.

كانا يستلقيان في الظلام لبرهة، في صمت ما بعد اللذة، ولكنها كانت تعرف أن عليها الحديث معه. لاختباره.

«آش» قالت له.

«ماذا؟»

«هل تؤمن بنظرية الأكوان المتوازية؟»

بإمكانها رؤية وجهه وهو يمتد ويتحوّل لابتسامة. كان هذا هو نوع المحادثات التي يجيدها. «نعم، أظن ذلك.»

«وأنا أيضًا. أقصد، هذه نظرية علمية، أليس كذلك؟ ليست مجرد فكرة لعالِم فيزياء مهوَّس قال: (الأكوان المتوازية رائعة. لنبتكر نظريّة خاصة بها.)»

«نعم» أتفق معها. «العلم لا يثق بأي نظرية تبدو وكأنها بالغة الروعة. أو ممعنة في الخيال. العلماء يشككون دائمًا في كل ما يردهم، هذه قاعدة.»

«بالضبط، ورغم هذا يؤمن الكثير من علماء الفيزياء بالأكوان المتوازية.»

«هذه خطى العلم، أليس كذلك؟ كل ما في ميكانيكا الكم ونظرية الأوتار يشير إلى وجود أكوان عديدة. أكوان كثيرة، كثيرة.»

«حسنًا، ما رأيك إن أخبرتك بأنني قد زرت حيواتي الأخرى، وأعتقد أنني اخترت هذه الحياة؟»

«سأظن أنكِ مجنونة. ولكني سأظل أحبك.»

«لقد زرت حيوات عديدة. وعشتها.»

ابتسم. «عظيم. هل هنالك حياة تقبلينني فيها مرة أخرى؟»

«هنالك حياة تقوم فيها بدفن قطي الميت.»

ضحك. «هذا رائع، نور. ما يعجبني فيك هو أنكِ تشعرينني دائمًا بأنني طبيعي.»

وانتهى الأمر.

أدركت نورا أنه بإمكانك أن تتحدث بصراحة كاملة في حياة ما، دون أن يرى من حولك الحقيقة إلا إن كانت قريبة من واقعهم. كما كتب ثورو، «لا يهم ما تنظر إليه، بل ما تراه.» وآش لم يرَ سوى نورا الذي وقع في حبها وتزوجها، وهكذا، أصبحت تلك هي نورا التي ستلعب دورها.

خلال عطلة منتصف العام، وبينما كانت مولي في المنزل في يوم ثلاثاء لم يذهب فيه آش إلى المستشفى، استقلت العائلة قطارًا إلى لندن لرؤية أخ نورا وإيوان في شقتهما في هامرسميث.

بدا جو بصحة جيدة، وبدا إيوان كما رأته نورا في حياتها الأولمبيّة. جو وإيوان التقيا في حصة تدريبية في النادي الرياضي. كان جو، في هذه الحياة، يعمل مهندس صوت، بينما كان إيوان -د. إيوان لانغفورد- اختصاصي أشعة يعمل في مستشفى مارسدين الملكي، لذلك كان بينه وبين آش الكثير من الأحاديث المتعلّقة بالمستشفيات.

جو وإيوان كانا لطيفين مع مولي، وكانا يسألانها أسئلة مفصّلة عمّا يفعله الباندا. وقام جو بطهي وجبة پاستا مع البروكلي والثوم للجميع في تلك الليلة.

«هذا طبق پولياني» قال لنورا. «بعض من تراثنا هنا.»

تذكّرت نورا جدّها الإيطالي وتساءلت عن شعوره عندما أدرك أن شركة لندن للطوب كانت في بدفورد. هل شعر بخيبة الأمل فعلًا؟ أم قرر أن يرضى بما وجده؟ ربما كانت هنالك نسخة من جدها في كون موازٍ قد ذهب إلى لندن وفي يومه الأول تعرّض للدهس بواسطة حافلة قرب پيكاديلي سيركس.

كان لدى جو وإيوان رف كامل من قوارير النبيذ في المطبخ ولاحظت نورا وجود قارورة من محصول كاليفورنيا من كرم بوينو فيستا. شعرت نورا بوخز شديد في جلدها وهي تقرأ التوقيعين

فـي أسـفل القـارورة - أليشـيا وإدواردو مارتينيـز. ابتسـمت، وهـي تفتـرض أن إدواردو كان سـعيدًا فـي هـذه الحيـاة أيضًـا. تسـاءلت، للحظـات، مَـن هـي أليشـيا وكيـف تبـدو. علـى الأقـل كانـت لحظـات الغـروب فـي تلـك الحيـاة جميلـة.

«هـل أنـتِ بخيـر؟» سـألها آش، حدّقـت نـورا وهـي غائبـة فـي القـارورة.

«نعم، طبعًا. يبدو أن هذا النبيذ فاخر.»

«إنـه نوعـي المفضّـل» قـال إيـوان. «نبيـذ رائـع جـدًا. هـل تريديـن أن نفتحـه؟»

«مم، فقط إن كنتم ستشربون منه.»

«لـن أشـرب» قـال جـو. «لقـد شـربت الكثيـر مؤخـرًا. بالإضافـة إلى أننـي أريـد الاعتنـاء بأسـناني هـذه الفتـرة.»

«تعرفين أخاكِ جيدًا» أضاف إيوان. «كل شيء أو لا شيء.»

«أوه نعم. أعرفه.»

كان إيـوان قـد جلـب فتّاحـة النبيـذ. «كان يومـي مرهقًـا فـي العمـل. وعلـى اسـتعداد كامـل أن أشـرب مـن القـارورة مباشـرة إن لـم يـرد أحد الشـرب معي.»

«أنا معك» قال آش.

«لا أريـد الشـرب» قالـت نـورا، وهـي تتذكـر أن آخـر مـرة رأت فيهـا جـو، فـي صالـة الأعمـال فـي فنـدق، كان قـد اعتـرف لهـا أنـه مدمـن علـى شـرب الكحـول.

حصلـت مولـي علـى كتـاب مصـوّر وبـدأت نـورا بقراءتـه لهـا علـى الأريكـة.

استمرت أحداث الليلة. تحدثوا عن الأخبار والموسيقى والأفلام. جو وإيوان استمتعا بمشاهدة *Last Chance Saloon*.

وبعد مدة قصيرة، تفاجأ الجميع حين قررت نورا ترك المحادثات الآمنة عن ثقافة البوب لتواجه أخاها.

«هل غضبت مني؟ لأنني تركت الفرقة؟»

«مرت سنوات طويلة. وجرت المياه أسفل الجسر منذ ذلك الوقت.»

«لقد أردت أن تكون نجم روك.»

«ما زال نجم روك» قال إيوان، وهو يضحك. «ولكنه معي الآن.»

«دائمًا ما أشعر بأنني خذلتك يا جو.»

«لا تشعري بذلك... لأنني أشعر بالمثل. لأنني كنت غبيًا... كنت قاسيًا معك لبعض الوقت.»

كانت هذه الكلمات أشبه بالدواء الذي انتظرته نورا لسنوات طويلة. «لا عليك» قالت له.

«قبل تعرّفي على إيوان، كنت غبيًا فيما يتعلق بالصحة النفسية. كنت أظن أن نوبات الهلع عبارة عن هلوسات... كما تعرفين. تمالكي نفسك! ولكن عندما بدأ إيوان بالتعرّض لها، فهمت مدى خطورتها.»

«لم تكن نوبات الهلع هي السبب الوحيد. شعرت أنني لا أنتمي إلى الفرقة. لا أعرف... ولكنني أظن أنك أكثر سعادة في هذه الحياة من تلك التي كنت فيها» - كادت تقول *ميتًا* -«في الفرقة.»

ابتسم أخوها ونظر إلى إيوان. شكّت في تصديقه لكلامها، ولكن لم تملك سوى أن تقبل بما حدث -لأنها تعرف الآن جيدًا- أن بعض الحقائق يستحيل رؤيتها.

وبينما مرّت الأسابيع، بدأت نورا تشعر بحدوث أمر استثنائي. بدأت بتذكّر تفاصيل في حياتها التي لم تعشها من قبل.

مثلًا، ذات يوم اتصلت بها صديقة -لم تعرفها في حياتها الأصليّة ويبدو أنها قد تعرّفت عليها خلال سنوات دراستها أو تدريسها في الجامعة- لتلتقي بها لتناول طعام الغداء. وعند ظهور اسم المتصلة على الهاتف «لارا»، تذكّرت نورا اسمها الكامل «لارا براين» وتخيّلت شكلها، وعرفت أن حبيبها يُدعى مو، وأن لديهما طفل يُدعى ألدوس. والتقت بها لتتأكد من كل هذه المعلومات.

هذا النوع من الديجا-فو كان يحدث بشكل متزايد. نعم، بالتأكيد ما زالت تنسى الكثير من التفاصيل- مثل «نسيانها» أن آش يعاني من الربو (والذي حاول أن يتعامل معه عن طريق الركض):

«منذ متى وأنت تعاني من الربو؟»

«منذ أن كنت في *السابعة*.»

«أوه حسنًا. ظننت أنك تعاني من مرض جلدي.»

«نورا، هل أنتِ بخير؟»

«نعم. مم. بخير. شربت القليل من النبيذ مع لارا خلال وجبة الغداء وأشعر بأنني مشتتة بعض الشيء.»

ولكن ببطء، أصبحت هذه الأخطاء أكثر ندرة. كان كل يوم أشبه بقطعة جديدة تُضاف إلى الأحجية، ومع كل قطعة إضافية، يصبح من الأسهل توقع شكل القطع الناقصة.

وبينما كانت تعاني في الحيوات الأخرى وتبحث باستمرار عن الأدلة وتشعر بأنها ممثلة سيئة، في هذه الحياة كانت تشعر بالاطمئنان أكثر وأكثر، وكانت الأشياء تأتي إليها بشكل تلقائي.

بالإضافة إلى أن نورا أحبّت قضاء الوقت مع مولي.

الفوضى المريحة وانعدام النظام عند لعبها في غرفتها، أو اقترابها الشديد منها عندما يحين وقت القراءة قبل النوم، لتقرأ القصة البسيطة الساحرة *النمر الذي جاء للشاي*، أو التجوّل معها في الحديقة.

«راقبيني، ماما» قالت مولي، وهي تنطلق على دراجتها ذات العجلات الثلاث في صباح يوم سبت. «ماما، انظري! هل تنظرين إلي؟»

«هذا رائع، مولي. قيادتك ممتازة.»

«ماما، انظري!»

«انطلقي، مولي!»

ولكن بعد ذلك انزلقت العجلة الأمامية للدراجة وتدحرجت باتجاه مشتل الأزهار. سقطت مولي واصطدم رأسها بقوّة بحجر صغير. أسرعت نورا لتحملها وتتأكد من سلامتها. كانت مولي تتألم، بخدش على جبهتها، كانت تنزف، ولكنها لم ترد إظهار ذلك رغم أن ذقنها كان يرتعش.

«أنا بخير» قالت ببطء، بصوت هش كالخزف. «أنا بخير. أنا بخير. أنا بخير.» كل «بخير» اقتربت بتسارع أكبر إلى البكاء، ثم عادت إلى هدوئها من جديد. ورغم كل مخاوفها الليليّة من الدببة، إلا أنها كانت صلبة لدرجة جعلت نورا تُعجب بها

وتشعر بالإلهام. هذه الإنسانة الصغيرة التي جاءت من رحمها، كانت جزءًا منها، وإن كان لها قوى خفية، ربما كان لدى نورا قوى خفية أيضًا.

احتضنتها نورا. «لا عليكِ يا حبيبتي... فتاتي الشجاعة. لا عليكِ. كيف تشعرين الآن؟»

«بخير. تمامًا كما حدث في العطلة.»

«العطلة؟»

«نعم، ماما...» قالت وهي منزعجة لأن نورا لا تتذكر.

«المنزلق.»

«أوه نعم. بالطبع. يا لسخافتي. يا لسخافة ماما.»

شعرت نورا بشيء ما داخلها دفعة واحدة. نوع من الخوف، حقيقي كخوفها الذي شعرت به في القطب الشمالي، وهي تقف وجهًا لوجه أمام الدب القطبي.

ما هذا الخوف الذي كانت تشعر به.

الحب.

بإمكانك الأكل في أفخر المطاعم، بإمكانك المشاركة في كل متعة حسيّة، بإمكانك الغناء على مسرح في ساو پاولو أمام عشرين ألف متفرج، بإمكانك الاغتسال بعواصف رعدية من التصفيق، بإمكانك السفر إلى نهايات العالم، بإمكانك جمع ملايين المتابعين على الإنترنت، بإمكانك الفوز بالميداليات الأولمبيّة، ولكن كل هذا سيكون عديم المعنى دون حب.

وعندما فكّرت نورا في حياتها الأصليّة، المشكلة الأساسيّة في تلك الحياة، الأمر الذي تركها ضعيفة، كان غياب الحب. حتى

أخوها لم يردها في تلك الحياة. لم يكن معها أحد، وبعد موت ڤولتس. لم تكن تحب أحدًا، ولم يحببها أحد. لقد كانت فارغة، كانت حياتها فارغة، تتجوّل في الخارج، تتظاهر بالتحلّي بصفات إنسانيّة طبيعية وكأنها دمية عرض ملابس حسّاسة مكوّنة من يأس. لا تملك سوى عظام عارية للتمكّن من النجاة.

ورغم هذا، في تلك الحديقة في كامبريدج، أسفل تلك السماء الرماديّة، شعرت بقوّة الحب، القوة المرعبة للاكتراث بعمق والشعور باكتراث أحدهم. نعم، لم يكن والداها على قيد الحياة في هذا الوجود ولكن مولي معها، وآش، وجو. كانت معها شبكة من الحب لتنقذها إن وقعت.

ورغم هذا شعرت في أعماقها بأن كل هذا سينتهي قريبًا. شعرت بذلك، رغم كل الكمال هنا، كانت تشعر بأمر خاطئ وسط كل هذه الصحة. وهذا الأمر الخاطئ لا يمكن إصلاحه لأن المشكلة في الصحة ذاتها. كل ما حولها كان مثاليًا، ولم تكن تستحق هذه المثاليّة. لقد التحقت بالفيلم عند انتصافه. لقد أخذت الكتاب من المكتبة، ولكنها لم تملكه من الأساس. كانت تراقب حياتها وكأنها تقف خلف نافذة. كانت تشعر بأنها مزيفة. أرادت لهذه الحياة أن تكون *حياتها*. كحياتها الحقيقيّة. ولم يكن هذا حقيقيًا ولذلك فقد تمنت نسيانها للحقيقة. كانت تتمنى ذلك بشدّة.

«ماما، هل تبكين؟»

«لا، مولي، لا. أنا بخير. ماما بخير.»

«يبدو أنكِ تبكين.»

«لنذهب كي أعتني بكِ...»

لاحقًا في اليوم ذاته، تمكّنت مولي من إتمام قطع أحجية لحيوانات الغابة، جلست نورا على الأريكة لتداعب أفلاطون، بينما كان يضع رأسه الدافئ والثقيل في حضنها. حدّقت في رقعة الشطرنج المزخرفة فوق سطح الخشب الماهوغاني.

بزغت فكرة في ذهنها ببطء، فتجاهلتها. ولكنها عادت من جديد.

وعندما عاد آش إلى المنزل، أخبرته بأنها ستذهب لرؤية صديق قديم من بدفورد وأنها ستعود بعد ساعات.

حالما دخلت نورا دار اوك ليف للرعاية، وقبل أن تصل إلى الاستقبال، رأت رجلًا مسنًا تعرفه يرتدي نظارات. كان في وسط محادثة محتدة مع ممرضة غاضبة. وكأنها تنهيدة تحوّلت إلى إنسان.

«أريد الذهاب إلى الحديقة» قال الرجل المسن.

«أنا آسفة ولكن الحديقة محجوزة اليوم.»

«أريد أن أجلس على المقعد فقط. لأقرأ الصحيفة.»

«لو سجلت مبكرًا في جلسة نشاط الحديقة—»

«لا أريد هذه الجلسة. أريد الاتصال بداڤاك. كل هذا عبارة عن خطأ كبير.»

كانت نورا قد سمعت جارها المسن وهو يتحدث عن ابنه داڤاك من قبل، عندما أوصلت دواءه. من الواضح أن ابنه دفع به للذهاب إلى دار لرعاية المسنين، ولكن السيد بانيرجي أصر على الاحتفاظ بمنزله. «ألا يمكن لي أن -»

لاحظ عندها، أن أحدهم كان يشاهده.

«السيد بانيرجي؟»

حدّق باتجاه نورا باستغراب. «أهلًا؟ مَن أنتِ؟»

«أنا نورا. تعرفني، نورا سييد.» ثم أضافت: «أنا جارتك. من شارع بانكروفت.»

هزّ رأسه. «أظن أنكِ مخطئة يا عزيزتي. لم أعش هناك منذ ثلاث سنوات. وأنا متأكد أنكِ لستِ جارتي.»

أدارت الممرضة رأسها نحو السيد بانيرجي، وكأنه جرو ضائع. «ربما نسيتها.»

«لا» ردّت نورا بسرعة، عند إدراكها بأنها مخطئة. «إنه محق. لقد أخطأت. لديّ بعض المشكلات في التذكّر أحيانًا. لم يسبق لي العيش هناك. لقد عشت في مكان آخر. مع جار آخر. أنا آسفة.»

تابعا محادثتهما، بينما تذكّرت نورا حديقة السيدة بانيرجي المليئة بأزهار السوسن وقفازات الثعلب.

«هل بإمكاني مساعدتك؟»

التفتت لتنظر إلى موظف الاستقبال. كان معتدل المزاج، أحمر الشعر ويرتدي نظارات، على جلده بعض البقع ويتحدث بلهجة اسكتلنديّة.

أخبرته باسمها وأنها اتصلت قبل أن تأتي.

لم يفهم ماذا تريد منه في البداية.

«وقد تركتِ رسالة؟»

همهم بنغمة هادئة بينما كان يبحث عن بريدها الإلكتروني.

«نعم، ولكن على الهاتف. كنت أحاول التحدث معكم وطال انتظاري لذلك قررت ترك رسالة صوتية. وأرسلت بريدًا إلكترونيًا أيضًا.»

«آه، حسنًا. فهمت. أعتذر عن ذلك. هل تريدين رؤية أحد أقربائك هنا؟»

«لا» بدأت نورا بالشرح. «أنا لست قريبة لها، ولكني أعرفها وهي تعرفني أيضًا. اسمها السيدة إلم.» حاولت نورا تذكّر اسمها

الكامل. «آسفة. لويز إلم. إن أخبرتها باسمي، نورا، نورا سييد. لقد كانت... لقد كانت أمينة المكتبة في مدرسة هَيزلدين. أردت فقط قضاء بعض الوقت معها.»

توقّف الرجل عن النظر إلى شاشة الكمبيوتر وحدّق نحو نورا وهو يحاول إخفاء دهشته. في البداية اعتقدت أن موظف الاستقبال أخطأ في فهمه. أو ربما ديلان كان مخطئًا، تلك الليلة في لا كانتينا. أو ربما واجهت السيدة إلم مصيرًا مختلفًا في هذه الحياة. لم تفهم نورا كيف لقرار عملها في ملجأ للحيوانات أن يؤدي إلى نتيجة مختلفة للسيدة إلم في هذه الحياة. لم تستطع نورا فهم الأمر. لأنها لم تتواصل مع أمينة المكتبة في كلتا الحياتين منذ تخرجها من المدرسة.

«ما المشكلة؟» سألت نورا موظف الاستقبال.

«أعتذر بشدة لإخبارك بهذا، ولكن لويز إلم لم تعد هنا.»

«أين هي؟»

«لقد... لقد ماتت قبل ثلاثة أسابيع.»

في البداية اعتقدت أنه خطأ في البيانات. «هل أنت متأكد؟»

«نعم. أنا متأكد تمامًا.»

«أوه» قالت نورا. لم تستطع الرد ولم تستطع الشعور. نظرت إلى حقيبتها القماشيّة التي كانت بجانبها في السيارة. تحتوي هذه الحقيبة على رقعة الشطرنج التي أحضرتها لتلعب مع السيدة إلم، ولتسليها. «أنا آسفة. لم أعرف. لم... لم أرها منذ سنوات. سنوات وسنوات. ولكني سمعت من أحدهم أنها هنا...»

«آسف جدًا» قال موظف الاستقبال.

«لا. لا عليك. أردت فقط شكرها. لطيبتها معي.»

«لقد ماتت بسلام» قال، «وهي نائمة.»

ابتسمت نورا وتراجعت للخلف بأدب. «هذا جميل. شكرًا. شكرًا لاعتنائك بها. سأذهب الآن. وداعًا...»



حادثة مع الشرطة

عادت للسير في شارع شكسبير ومعها حقيبتها ورقعة الشطرنج ولم تعرف ماذا ستفعل. شعرت بوخز شديد في كل جسدها. لم يكن الوخز بالإبر، بل كان أكثر غرابة. شعور ثابت غامض شعرت به من قبل عند اقترابها من نهاية وجود ما.

حاولت تجاهل ذلك الشعور، واتجهت في طريق مبهم نحو موقف سيارتها. مرّت بشقتها القديمة على شارع بانكروفت 33أ. كان هنالك رجل لم تره من قبل يحمل صندوقًا للخارج. تذكّرت منزلها الجميل في كامبريدج ولم تقاوم الرغبة في مقارنته بهذه الشقة الرثة على شارع تتناثر فيه القمامة. تلاشى الوخز قليلًا. مرّت بمنزل السيد بانيرجي، سابقًا، ورأت المنزل الوحيد في هذا الشارع الذي لم يُقسّم إلى شقق، رغم أنه يبدو مختلفًا الآن. العشب في مقدمة المنزل لم يكن مشذبًا، ولم يكن هنالك أثر لأزهار السوسن التي سقتها نورا في الصيف الفائت عندما كان السيد بانيرجي يتعافى من عملية وركه.

وعلى الرصيف لاحظت وجود علب بيرة فارغة.

رأت امرأة شقراء، سمراء البشرة تتجه نحوها على الرصيف ومعها طفلان في عربة مزدوجة. بدت مرهقة. كانت تلك هي المرأة التي تحدثت معها في متجر الصحف، في اليوم الذي قررت أن تموت. تلك التي بدت سعيدة ومطمئنة. كيري-آن. لم تلاحظ وجود نورا لأن أحد الطفلين كان يبكي وكانت تحاول

إسـكات الطفـل صاحـب الخديـن الأحمريـن عـن طريـق رفـع دميـة بلاسـتيكية لديناصـور أمامـه.

أنـا وجيـك كنّـا كالأرانـب ولكننـا وصلنـا أخيـرًا. كائنـان صغيـران مرعبـان. ولكـن الأمـر يسـتحق العنـاء. أشـعر بالاكتمـال. بإمكانـي أن أريـك بعـض الصـور...

ثم رفعت كيري-آن رأسها ورأت نورا.

«أعرفك، أليس كذلك؟ هل أنتِ نورا؟»

«نعم.»

«أهلًا نورا.»

«أهلًا كيري-آن.»

«تتذكرين اسـمي؟ أوه واو. لقد كنت مدهوشـة منك في المدرسـة. كنتِ مكتملة. هـل وصلت إلـى الأولمبياد؟»

«نعـم، بشـكل مـا. إحـدى نسـخي وصلـت إلـى الأولمبيـاد. ولكنـي اكتشـفت أنـه ليـس حلمـي. ولكـن مـا الحلـم؟»

بـدت الحيـرة على ملامـح كيـري-آن. ثـم ألقـى ابنهـا بالديناصـور علـى الرصيـف وانتهـى بـه الأمـر إلـى جانـب علـب البيـرة. «صحيـح.»

التقطـت نـورا الديناصـور -سـتيغوصور، تفحصتـه عـن قـرب - وأعادتـه إلـى كيـري-آن، والتـي ابتسـمت بامتنـان واتجهـت إلـى المنـزل الـذي كان مـن المفتـرض أن يكون منـزل السـيد بانيرجـي، بينمـا دخـل طفلهـا فـي نوبـة غضـب كاملـة.

«وداعًا» قالت نورا.

«نعم. وداعًا.»

وتساءلت نورا عن الفرق. ما الذي دفع بالسيد بانيرجي إلى الذهاب إلى دار الرعاية رغم أنه لم يرد ذلك؟ كانت نورا هي الفرق الوحيد بين نسختي السيد بانيرجي ولكن ما الفرق؟ ماذا فعلت؟ ساعدته في بناء متجر إلكتروني؟ أحضرت له دواءه عدة مرات؟

لا تقلل أبدًا من الأهمية الكبرى للأشياء الصغيرة، قالت لها السيدة إلم. عليكِ دائمًا تذكّر ذلك.

حدّقت باتجاه نافذتها. فكّرت في ذاتها في حياتها الأصليّة، وهي تحوم بين الحياة والموت في غرفة نومها - في منتصف المسافة بينهما. وللمرة الأولى، قلقت نورا بشأن ذاتها وكأنها شخص آخر. لم تعد مجرد نسخة أخرى منها، وإنما شخص حقيقي آخر. وأخيرًا، بعد كل التجارب التي مرّت بها في حياتها، أصبحت الآن شخصًا آخر يشعر بالشفقة على ذاتها السابقة. وهذه ليست شفقة على الذات، لأنها الآن ذات أخرى.

ثم ظهرت امرأة من النافذة. امرأة غير نورا، تحمل قطًا غير ڤولتير.

كان هذا أملها، على كل حال، رغم أنها بدأت بالشعور بالدوار من جديد.

اتجهت إلى المدينة. سارت قرب الشارع العام.

نعم، إنها مختلفة الآن. أصبحت أقوى. تمكنت من إصلاح أشياء بداخلها. أشياء لم تكن لتعرفها لو لم تغني أمام الحشود أو تحارب دبًا قطبيًا أو تشعر بالحب والخوف والشجاعة.

لاحظت حدوث اضطراب ما على الشارع. صبيان تعرضا للاعتقال من قبل الشرطة بينما كان أحد المحققين يتحدث عبر جهازه اللاسلكي قرب أحد المتاجر.

استطاعت التعرّف على أحد المعتقلين.

«ليو؟»

حذّرها أحد أفراد الشرطة وأمرها بالتراجع.

«مَن أنتِ؟» سأل ليو.

«أنا–» أدركت نورا أنها لا تستطيع إخباره بأنها «معلمة البيانو.» وأدركت كم هو غريب ومحرج في ظل هذا السياق المشحون، أن تقول ما ستقوله. ولكنها لم تكترث. «هل أخذت دروسًا في الموسيقى؟»

نظر ليو إلى القيود في يديه. «لم آخذ دروسًا في الموسيقى...»

لم يعد صوته متبجحًا.

بدأ رجل الشرطة بفقدان صبره. «رجاءً، يا آنسة، اتركي الأمر لنا.»

«إنه صبي خلوق» قالت نورا. «أرجوك لا تقسو عليه.»

«حسنًا، هذا الصبي الخلوق سرق للتو ما يساوي مئتي ألف جنيه من هنا. واكتشفنا أنه يخفي معه سلاحًا.»

«سلاح؟»

«سكين.»

«لا. يبدو أن هنالك سوء فهم ما. ليو ليس من هذا النوع من الصبية.»

«اسمع اسمع» قال الشرطي لزميله. «هذه السيدة تعتقد أن صديقنا ليو ثومبسون ليس من نوع الصبية الذين يقعون في المتاعب.»

ضحك الشرطي الآخر. «لقد اعتاد دخول التوقيف والخروج منه، هذا الصبي.»

«الآن، رجاءً» قال الشرطي الأول، «دعينا نقم بعملنا هنا...»

«بالطبع» قالت نورا، «بالطبع. تجاوب معهم، ليو...»

نظر إليها وكأن أحدهم أرسلها للسخرية منه.

قبل سنوات قليل جاءت والدته دوريين إلى متجر نظرية الأوتار لشراء بيانو رخيص لابنها. كانت قلقة بشأن تصرفاته في المدرسة وكان له اهتمام بالموسيقى، لذلك قررت أن تساعده على تعلّم البيانو. أخبرتها نورا بأنها تملك بيانو كهربائيًا، وأنها تستطيع العزف، ولكنها لا تملك أيّ تدريب رسمي كمعلمة بيانو. شرحت لها دوريين أنها لا تملك الكثير من المال وهكذا اتفقا على أن تعلم نورا البيانو لابنها، واستمتعت نورا بمساءات الثلاثاء وهي تعلّم ليو الفرق بين نغمات السلم الموسيقي ووجدت أنه صبي رائع، متشوّق للتعلّم.

كانت دوريين قد لاحظت تورّط ليو في المتاعب، ولكن عندما بدأ بتعلّم الموسيقى، بدأ بالتحسّن في المجالات الأخرى أيضًا. وفجأة لم يعد يتسبب في المشكلات مع المدرسين، وكان يعزف كل شيء من شوپان إلى سكوت جوپلن إلى فرانك أوشن وجون ليجند وريكس أورانج كاونتي بالشغف والالتزام ذاته.

تذكّرت نورا أمرًا قالته لها السيدة إلم في زيارة مبكّرة لمكتبة منتصف الليل.

كل حياة تحتوي على ملايين القرارات. بعضها كبيرة، وبعضها صغيرة. ولكن في كل مرة يُتخذ فيها قرار، تختلف النتائج. تظهر نسخة من الواقع غير قابلة للمحو، تؤدي بعد ذلك إلى نسخ أخرى...

في هذا الخط الزمني الآن، الذي درست فيه الماجستير في جامعة كامبريدج، وتزوّجت آش وأنجبت طفلة، لم تكن تعمل في متجر نظرية الأوتار في ذلك اليوم قبل أربع سنوات عندما جاءت دوريين وليو. في هذا الخط الزمني، لم تعثر دوريين على معلمة بيانو بإمكانها تحمّل تكاليفها، ولم يستمر ليو بعزف الموسيقى ليتمكن من إدراك امتلاكه للموهبة. لم يجلس قرب نورا في مساءات الثلاثاء، ليلاحق شغفه، ويستمر في العزف في منزله ويخلق موسيقاه.

شعرت نورا بالضعف. لم يعد الأمر مقتصرًا على الوخز، بل شيء أقوى منه، شعور بالغرق في اللاشيء، يصاحبه انعدام في الرؤية وظلام دامس. شعور بنورا أخرى هناك في الأجنحة، على استعداد لاستكمال الطريق. عقلها مستعد لملء الفراغات ولديه سبب منطقي تمامًا للذهاب في رحلة قصيرة إلى بدفورد، لملء كل لحظة غياب وكأنها كانت هنا طوال الوقت.

قلقة من معرفتها بمعنى ذلك، ابتعدت عن ليو وصديقه بينما أخذهما أفراد الشرطة إلى السيارة، وجميع مَن في شارع بدفورد العام كان يحدّق صوبهم، لتسرع نورا باتجاه موقف السيارات.

هذه حياة جميلة... هذه حياة جميلة... هذه حياة جميلة...

اقتربت من المحطة، بعد أن مرّت بمطعم لا كانتينا بواجهته الحمراء والصفراء الصارخة، وكأنها صداع مكسيكي، والنادل بالداخل يجذب الكراسي من الطاولات. ومتجر نظرية الأوتار أيضًا، مغلق، وعلى بابه لافتة كُتب عليها بخط اليد:

للأسف، متجر نظرية الأوتار لم يعد قادرًا على الاستمرار بالعمل في هذا المبنى. بسبب ارتفاع أجرة المبنى لم نستطع تحمّل التكاليف. شكرًا لكل زبائننا الأوفياء.

Don't Think Twice, It's All Right. You Can Go Your Own Way. God Only Knows What We'll Be Without You.

كانت هذه اللافتة هي ذاتها التي رأتها مع ديلان. وبالعودة إلى التاريخ المكتوب عليها بخط نيل، عرفت نورا أن المتجر قد أغلق قبل ثلاثة أشهر.

شعرت بالحزن، لأن متجر نظرية الأوتار كان يعني الكثير للناس. ولكن نورا لم تكن تعمل في المتجر عندما بدأت أوضاعه بالتدهور.

حسنًا. أفترض أنني بعت عددًا كبيرًا من آلات البيانو الكهربائية. وبعض الغيتارات الجميلة أيضًا.

حين كانت صغيرة، كانت نورا تسخر مع جو من بلدتهما، على طريقة المراهقين، وكانا يقولان إن سجن بلدة بدفورد كان السجن

الداخلي، وبقية البلدة كانت السجن الخارجي، وإن سنحت لك الفرصة للخروج من هذا المكان فعليك أن تستغلها.

غربت الشمس، واقتربت نورا من المحطة، وبدا لها وكأنها كانت تنظر إلى المكان الخاطئ طوال هذه السنوات. عندما مرت بتمثال جون هاورد في ساحة القديس پول، ومن حولها الأشجار ووراءها النهر، يكسر الضوء، ذُهلت من جماله وكأنها تراه للمرة الأولى. *لا يهم ما تنظر إليه، بل ما تراه.*

وفي طريق عودتها إلى كامبريدج، كانت تقود سيارتها باهظة الثمن من ماركة آودي، والتي تفوح بداخلها رائحة البلاستيك والمواد الاصطناعيّة، وتنسل عبر الطرق المزدحمة، كانت السيارات العابرة تتجاوزها كحيوات منسيّة، كانت تتمنى من كل قلبها أن تتمكن من رؤية السيدة إلم، الحقيقية، قبل موتها. كانت تريد أن تلعب معها مباراة شطرنج أخيرة قبل رحيلها. وفكّرت في ليو المسكين، وهو يجلس في زنزانة ضيّقة بلا نافذة في مقر شرطة بدفورد، وينتظر قدوم دوريين لإخراجه.

«هذه أفضل حياة» قالت لنفسها، وهي تشعر بالتعاسة الآن. «هذه أفضل حياة. سأمكث هنا. هذه الحياة لي. هذه أفضل حياة. *هذه* أفضل حياة.»

ولكنها عرفت أنها لم تملك الكثير من الوقت.

أوقفت سيارتها أمام المنزل وركضت إلى الداخل، بينما أسرع أفلاطون لتحيتها.

«هل من أحد هنا؟» سألت، بيأس. «آش؟ مولي؟»

احتاجت إلى رؤيتهما. كانت تعرف أن وقتها محدود. بإمكانها الإحساس بمكتبة منتصف الليل وهي بانتظارها.

«في الخارج!» قال آش بمرح، من الحديقة الخلفيّة.

ذهبت نورا لتجد مولي على دراجتها ثلاثيّة العجلات مرة أخرى، غير مكترثة بحادثتها السابقة، بينما كان آش يعتني بمشتل أزهار.

«كيف كانت رحلتك؟»

قفزت مولي من دراجتها وركضت. «ماما! اشتقت إليك! أصبحت بارعة في قيادة الدراجة الآن!»

«فعلًا حبيبتي؟»

احتضنت ابنتها وأغلقت عينيها واستنشقت رائحة شعرها ورائحة الكلب ومنعم الأقمشة والطفولة، وتمنّت أن تساعدها معجزة كل هذا على البقاء هنا. «أحبك، مولي، أريدك أن تعرفي هذا. للأبد وللأبد، هل تفهمين؟»

«نعم، ماما. طبعًا.»

«وأحب بابا أيضًا. وكل الأشياء ستكون بخير لأنه مهما حدث، سيكون بابا إلى جانبك، وستكون ماما أيضًا، فقط قد لا أظل معك بالطريقة ذاتها. سأكون معك، ولكن...» أدركت أن مولي لم تحتج إلى معرفة شيء سوى حقيقة واحدة. «أحبك.»

بدت مولي قلقة. «لقد نسيتِ أفلاطون!»

«نعم بالطبع أحب أفلاطون... كيف لي أن أنسى أفلاطون؟ أفلاطون يعرف أنني أحبه، أليس كذلك يا أفلاطون؟ أفلاطون، أحبك.»

حاولت نورا ترتيب ذاتها.

مهما حدث، سيكون لهم مَن يعتني بهم. سيكون لهم مَن يحبهم. وسيكونون معًا وسيعيشون في سعادة.

ثم جاء آش، وهو يرتدي قفازات الحديقة. «هل أنتِ بخير نور؟ تبدين شاحبة. هل حدث لكِ شيء؟»

«أوه، سأخبرك لاحقًا. بعد أن تنام مولي.»

«حسنًا. أوه، هنالك طلبية قادمة في أي لحظة... أخبريني إن سمعتِ صوت الشاحنة.»

«بالتأكيد. نعم. نعم.»

ثم سألت مولي إن كانت تستطيع جلب مرش الري وأخبرها آش أن الحديقة مبتلّة بسبب المطر وأن لا حاجة إلى ذلك، لأن السماء قد اعتنت بالأزهار. «إنها بخير. تم الاعتناء بها. قد شربت الأزهار.» وتردد صدى هذه الكلمات في ذهن نورا. *إنها بخير. تم الاعتناء بها*... ثم قال آش شيئًا عن الذهاب إلى السينما الليلة وأنه قد تحدّث مع جليسة أطفال للاعتناء بمولي. كانت نورا قد نسيت الأمر تمامًا ولكنها ابتسمت وحاولت بكل قدرتها أن تتماسك، أن تظل مكانها، ولكن التحوّل قد بدأ، كان قد بدأ، وعرفته وشعرت به في كل غرفة مخفيّة في وجودها، ولم يكن بوسعها فعل أيّ شيء لإيقافه.

«لا!»

لقد حدث ما كانت تخشاه.

عادت إلى مكتبة منتصف الليل.

كانت السيدة إلم تحدق في شاشة الكمبيوتر. تذبذبت الأضواء واهتزت والتمعت في الأعلى دون نظام. «نورا، توقفي. اهدئي. كوني فتاة مؤدبة. أريد حل المشكلة.»

سقط الغبار في خيوط رفيعة من السقف، من شقوق تنتشر كشباكِ عنكبوت تتخلّق بسرعة غير طبيعية. ثم ارتفع صوت الدمار النشط المفاجئ والذي تمكّنت نورا من تجاهله منغمسة في حزنها وغضبها.

«أنتِ لستِ السيدة إلم. السيدة إلم ميتة... هل أنا ميتة؟»

«لقد أخبرتك من قبل. ولكن بما أنكِ سألتِ، ربما اقتربتِ من الموت...»

«لمَ غادرت تلك الحياة؟ لمَ لا أظل فيها؟ شعرت بحدوث التحوّل ولكنني لم أرده. لقد قلتِ لي إن وجدت حياة أريد عيشها -أريد حقًا عيشها- فإنني سأظل فيها. قلتِ لي أنني سأنسى هذا المكان الغبي. قلتِ لي أنني سأجد الحياة التي أردتها. تلك هي الحياة التي أردتها. تلك هي الحياة!»

قبل لحظات كانت في الحديقة مع آش ومولي وأفلاطون، في حديقة لها طنين الحياة والحب، والآن وجدت نفسها هنا.

«خذيني إليهم...»

«تعرفين أن المكتبة لا تعمل بهذه الطريقة.»

«حسنًا، خذيني إلى أقرب حياة ممكنة. هبيني أقرب احتمال من تلك الحياة. أرجوك، أيتها السيدة إلم، من المؤكد أن هذا ممكن. حتمًا هنالك حياة أخرى كنت قد ذهبت فيها لشرب القهوة مع آش ورُزقنا بمولي وأفلاطون، ولكن مع اختلاف... بسيط. لتصبح حياة أخرى. كأن أختار طوقًا مختلفًا لأفلاطون. أو... أو... أو - لا أعرف -كأن أمارس تمارين پيلاتيس بدلًا من اليوغا؟ أو أن أدرس في كلية أخرى في كامبريدج؟ أو إن كان يجب عليّ العودة إلى الوراء، أن يكون موعدي مع آش لشرب الشاي بدلًا من القهوة؟ تلك الحياة. خذيني إلى تلك الحياة. هيّا. أرجوك. ساعديني. أريد تجربة إحدى هذه الحيوات، أرجوك...»

بدأ الدخان بالتصاعد من جهاز الكمبيوتر. أصبحت الشاشة سوداء. تحطّمت إلى قطع.

«لا تفهمين» قالت السيدة إلم، بعد خسارتها، وهي تنهار في مقعدها.

«ولكن هذا ما يحدث، أليس كذلك؟ أختار أمرًا ندمت عليه. حدث تمنيت لو قمت بتغييره... ثم تساعديني على إيجاد الكتاب، أفتح الكتاب، *وأعيش* ما في الكتاب. هذه هي الطريقة التي تعمل بها المكتبة، صحيح؟»

«الأمر ليس بهذه البساطة.»

«لماذا؟ هل هنالك مشكلة في التحوّل؟ كتلك التي حدثت من قبل؟»

نظـرت السـيدة إلـم إليهـا بحـزن. «الأمـر أكبـر مـن ذلـك. كان هنالـك دائمًـا احتمـال قـويّ بانتهـاء حياتـك القديمـة. أخبرتـك بهـذا، ألـم أفعـل؟ أردتِ المـوت، وربمـا سـتموتين.»

«نعـم، ولكنـكِ قلـتِ إننـي أحتـاج فقـط إلـى مـكان لأذهـب إليـه. (مـكان للهبـوط)، هـذا مـا قلتِـه. (حيـاة أخـرى.) كانـت هـذه كلماتـك بالضبـط. وكل مـا علـيّ فعلـه هـو التفكيـر واختيـار الحيـاة المناسـبة و-»

«أعـرف. أعـرف. ولكن لم يحـدث هـذا.»

بـدأ السـقف بالسـقوط الآن، فـي قطـع، وكأن الضمـادة لـم تكـن أكثـر ثباتًـا مـن طبقـات كعكـة زفـاف.

لاحظـت نـورا أمـرًا أكثـر رعبًـا. قفـزت شـرارة مـن أحـد المصابيـح وسـقطت علـى كتـاب، لتتحـوّل إلـى نيـران مشـتعلة. وبعـد لحظـات انتشـرت النيـران فـي الـرف بأكملـه، كانـت الكتـب تحتـرق بسـرعة شـديدة كمـا لـو أنهـا كانـت تسـبح فـي البنزيـن. مجـرى كامـل مـن الكهرمـان الحـار، الغاضـب، القاصـف. ثـم انطلقـت شـرارة أخـرى باتجـاه رف آخـر واشـتعل أيضًـا. وفـي اللحظـة ذاتهـا سـقطت قطعـة كبيـرة مـن السـقف الممتلـئ بالغبـار قـرب قـدم نـورا.

«أسـفل الطاولـة!» أمـرتها السـيدة إلـم. «الآن!»

انحنـت نـورا ولحقـت السـيدة إلـم -التـي كانـت علـى أطرافهـا الأربعـة- أسـفل الطاولـة، حيـث جلسـت علـى ركبتيهـا وأُجبـرت، كالسـيدة إلـم، علـى خفـض رأسـها.

«لمـاذا لا توقفيـن مـا يحـدث؟»

«إنـه تفاعـل متسلسـل الآن. هـذه الشـرارات ليسـت عشـوائيّة. سـتدمر الكتـب. وبعدهـا سـينهار المـكان بأكملـه.»

«لمـاذا؟ لا أفهـم. قـد وجـدت الحيـاة التـي تناسـبني. الحيـاة الوحيـدة. الحيـاة الأفضـل مـن بيـن كل هـذه الحيـوات...»

«هـذه هـي المشـكلة» قالـت السـيدة إلـم، وهـي تنظـر بتوتـر مـن بيـن الأقـدام الخشـبيّة للطاولـة ورفـوف كتـب أخـرى بـدأت تحتـرق ومـن حولهـا يتسـاقط الحطـام. «لـم يكـن ذلـك كافيًـا. انظـري!»

«إلى ماذا؟»

«إلى سـاعتك. في أي لحظة الآن.»

نظـرت نـورا إلـى سـاعتها، وفـي البدايـة لم تلاحـظ شيئًا - ولكن بعـد لحظـات... بـدأت السـاعة بالتصـرّف كبقيـة السـاعات. بـدأت الشاشـة بالتحـرّك.

00:00:00

00:00:01

00:00:02

«مـاذا يحـدث؟» سـألت نـورا، وهـي تـدرك أن أمـرًا سـيئًا علـى وشـك الحـدوث.

«الوقت. هذا ما يحدث.»

«كيف سنتمكّن من الخروج من هنا؟»

00:00:09

00:00:10

«لـن نخـرج» قالـت السـيدة إلـم. «لا وجـود *للجمع* بيننـا. لا أسـتطيع تـرك المكتبـة. عنـد اختفـاء المكتبـة، سـأختفي معهـا. ولكـن هنالـك

فرصة وحيدة للخروج، رغم أنكِ لا تملكين الكثير من الوقت. أقل من دقيقة...»

كانت نورا قد فقدت السيدة إلم للتو في حياة أخرى، ولم ترد فقدها هنا أيضًا. لاحظت السيدة إلم حزنها.

«اسمعي. أنا جزء من المكتبة. ولكن المكتبة بأكملها جزء منك. هل تفهمين؟ المكتبة ليست سبب وجودك؛ أنتِ سبب وجود المكتبة. هل تتذكرين ما قاله هوغو؟ لقد أخبركِ بأن هذه هي أسهل طريقة يترجم فيها ذهنك الواقع الغريب والمتنوّع للكون. إذن، هذا ذهنك يحاول ترجمة أمر ما. أمر عظيم وخطير.»

«فهمت ذلك.»

«ولكن من الواضح أنكِ لم ترغبي في عيش تلك الحياة.»

«لقد كانت حياةً مثالية.»

«هل شعرتِ بذلك؟ طوال الوقت؟»

«نعم. أقصد... أردت ذلك. أقصد أنني أحببت مولي. وربما أحببت آش. ولكني أفترض، ربما... لم تكن تلك *حياتي*. لم أصنعها بنفسي. تسللت إلى نسخة أخرى مني. تم لصق نسختي الكربونيّة في حياة مثاليّة. ولكنها لم تكن أنا.»

00:00:15

«لا أريد أن أموت» قالت نورا، ارتفع صوتها الهش. لقد كانت ترتعش من جذعها. «*لا أريد أن أموت.*»

نظرت السيدة إلم إليها بعينين واسعتين. تشرقان بشعلة فكرة صغيرة. «عليكِ الخروج من هذا المكان.»

«لا أستطيع! لا نهاية للمكتبة. في اللحظة التي دخلت فيها، اختفى المدخل.»

«إذن عليكِ إيجاده من جديد.»

«كيف؟ لا توجد أبواب هنا.»

«مَن يحتاج إلى الأبواب ولديه الكتب؟»

«الكتب جميعها تحترق.»

«سينجو كتاب واحد. عليكِ العثور عليه.»

«*كتاب الندم*؟»

كادت السيدة إلم تضحك. «لا. هذا آخر كتاب تحتاجين إليه. أظنه قد احترق. ربما كان أول كتاب يحترق. عليكِ الذهاب من هذا الطريق!» أشارت إلى اليسار، إلى الفوضى والنار والقطع المتساقطة. «الممر الحادي عشر من هذه الجهة. الرف الثالث من الأسفل.»

«المكان بأكمله سينهار!»

00:00:21

00:00:22

00:00:23

«ألا تفهمين يا نورا؟»

«أفهم ماذا؟»

«كل ما يحدث منطقي. لقد عدتِ هذه المرة إلى المكتبة ليس لرغبتك في الموت، ولكن *لرغبتك في الحياة*. هذه المكتبة لا تنهار لأنكِ تريدين قتل نفسك، بل لأنها تهبك فرصة أخرى للعودة. حدث أمر حاسم أخيرًا. لقد اخترتِ الحياة. فاذهبي الآن، *للحياة*، ما دامت الفرصة سانحة.»

«ولكن... ماذا عنكِ؟ ماذا سيحدث لكِ؟»

«لا تقلقي عليّ» قالت. «أعدك، لن أشعر بشيء.» ثم قالت لها ما قالته السيدة إلم الحقيقية عندما احتضنت نورا في مكتبة المدرسة في اليوم الذي مات فيه والدها. «ستتحسن الظروف، نورا. ستؤول الأشياء إلى خير.»

وضعت السيدة إلم يدها على سطح الطاولة وفتّشت على عجل بحثًا عن شيء ما. بعد لحظة ناولت نورا قلمَ حبر بلاستيكيًا برتقاليَ اللون، من النوع ذاته الذي امتلكته نورا في المدرسة. القلم الذي لاحظته قبل سنوات طويلة.

«ستحتاجين إليه.»

«لماذا؟»

«هذه الحياة لم تُكتب بعد. عليكِ كتابتها.»

أخذت نورا القلم.

«وداعًا، السيدة إلم.»

بعد لحظة، سقطت قطعة هائلة من السقف وارتطمت بالطاولة. تشكّلت سحابة من الغبار بينهما، واختنقتا.

00:00:34

00:00:35

«اذهبي» سعلت السيدة إلم. «*إلى الحياة.*»

مشت نورا عبر سديم من الغبار والدخان في الاتجاه الذي أشارت إليه السيدة إلم، بينما استمر السقف في الانهيار.

كان من الصعب التنفس، والرؤية، ولكنها تمكنت من عدّ الممرات. سقطت شرارات من المصابيح فوق رأسها.

علق الغبار في حلقها، وأوشكت على التقيؤ. ورغم الضباب والغبار رأت كل الكتب وهي تحترق. لم يسلم أيّ رف، وكانت للحرارة قوّة شعرت بها نورا. وبعض الرفوف التي احترقت في البداية قد تحوّلت إلى رماد.

وعند وصولها إلى الممر الحادي عشر أصيبت بعد ارتطام قطعة من الحطام بها وسقطت أرضًا.

عالقة أسفل صخرة، شعرت بالقلم وهو يُفلت من يدها.

محاولتها الأولى لتحرير نفسها لم تنجح.

هذه هي النهاية. سأموت، سواء رغبت في ذلك أم لا. سأموت.

كانت المكتبة أرضًا يبابًا.

00:00:41

00:00:42

أيقنت من جديد. أيقنت بموتها هنا، بينما كانت حيواتها الممكنة تُسلب من حولها.

ثم تمكنت من رؤيته، بعد انقشاع مؤقت للضباب. هناك، في الممر الحادي عشر. الرف الثالث من الأسفل.

فراغ على الرف لم تلمسه النيران التي التهمت بقية كتب المكتبة.

لا أريد أن أموت.

كان عليها أن تبذل جهدًا أكبر. كان عليها الرغبة في الحياة التي طالما اعتقدت أنها لم ترغب فيها. وكما أن المكتبة جزء منها، كذلك جميع الحيوات الأخرى فيها. ربما لم تشعر بكل ما حدث في تلك الحيوات، ولكنها قادرة على ذلك. ربما فاتتها تلك الفرص التي أدت إلى نجاحها كسبّاحة أولمبيّة، أو رحّالة، أو مالكة لحقل عنب، أو نجمة روك، أو باحثة جليدية ستنقذ الكوكب، أو خريجة كامبريدج، أو أم، أو مليون احتمال آخر، ولكنها ما زالت بطريقة ما كلّ هذه النسخ. وكانت كل هذه النسخ نورا. كان بإمكانها تحقيق كل هذه الأشياء الرائعة، ولم يكن هذا كئيبًا كما اعتقدت ذات مرة قط، بل ملهمًا. لأنها الآن استطاعت رؤية الأشياء التي تستطيع فعلها إن عملت بجد. وأن الحياة التي كانت تعيشها لها منطقها الخاص. كان أخوها حيًا. إيزي حيّة. وتمكّنت فيها من مساعدة صبي صغير لتنقذه من المتاعب. ما يبدو فخًا أحيانًا ليس إلا خدعة في عقلها. لم تكن بحاجة إلى حقل من العنب أو غروب كاليفورني لتكون سعيدة. لم تكن بحاجة إلى منزل كبير أو عائلة مثاليّة. كانت بحاجة إلى احتمال. ولم تكن سوى احتمالًا. وتساءلت لماذا لم تستطع رؤية ذلك من قبل.

سمعت صوت السيدة إلم، من أسفل الطاولة من مكان بعيد خلفها، يخترق الضوضاء.

«لا تستسلمي! إياكِ والاستسلام، نورا سييد!»

لم ترد أن تموت. ولم ترد أن تعيش حياة غير تلك التي تنتمي إليها. تلك التي قد تكون معاناة فوضوية، ولكنها معاناتها

الفوضوية. معاناة فوضوية جميلة.

00:00:52

00:00:53

وبينما كانت تتلوّى وتدفع وتقاوم الوزن الثقيل فوقها، وبينما كانت الثواني تمر تمكنت -بمجهود هائل أحرق وخنق رئتيها- من الوقوف على قدميها.

فتّشت بيدها في الأرض ووجدت قلم الحبر، مغلّفًا بالغبار، ثم ركضت عبر جزيئات الدخان للوصول إلى الممر الحادي عشر.

وكان بالانتظار.

الكتاب الوحيد الذي لم يحترق. كان صامدًا، بلونه الأخضر.

رفعت إصبع السبابة بحذر، وجذبت الكتاب من أعلى كعبه. ثم فعلت ما كانت تفعله دائمًا. فتحت الكتاب وحاولت العثور على الصفحة الأولى. ولكن لا أثر للصفحة الأولى. لا أثر للكلمات في الكتاب. كان فارغًا تمامًا. وكبقيّة الكتب، كان هذا كتاب المستقبل. وعلى عكس بقيّة الكتب، لم يُكتب المستقبل في هذا الكتاب بعد.

وهكذا، انتهى الأمر. كانت هذه *حياتها*. حياتها الأصليّة.

وكانت صفحة فارغة.

وقفت نورا مكانها للحظة، وفي يدها قلمها القديم. كان الوقت يشير إلى دقيقة واحدة بعد منتصف الليل.

تحوّلت بقية الكتب إلى فحم، واستمرت المصابيح المعلقة بالوميض، لتضيء بإبهام السقف المحطّم. قطعة كبيرة من السقف حول الضوء -تقترب في شكلها من خريطة فرنسا- كانت توشك أن تقع على نورا.

جذبت نورا غطاء القلم وضغطت الكتاب المفتوح في كومة رفوف الكتب المتفحّمة.

كان للسقف صرير.

أزف الوقت.

بدأت بالكتابة. *نورا رغبت في الحياة.*

بعد أن انتهت من النقش انتظرت للحظة.

لم يحدث شيء، وتذكرت ما قالته السيدة إلم. *الرغبة كلمة محيّرة. تدل على النقص.* فقامت بشطب ما كتبته وحاولت مرة أخرى.

نورا قررت الحياة.

لم يحدث شيء. حاولت مرة أخرى.

نورا كانت مستعدة للحياة.

لم يحدث شيء، حتى بعد وضعها خطًّا تحت كلمة «حياة.»

في كل مكان الآن، عمّ الدمار والخراب. تهاوى السقف، ليدمّر كل شيء، ويخنق كل رفوف الكتب ويحوّلها إلى أكوام من الغبار. نظرت نورا باتجاه السيدة إلم لترى جسدها أسفل الطاولة التي كانت تحميها، لتقف دون خوف ثم تختفي تمامًا عند ابتلاع السقف لكل شيء، ليخنق بقايا النار وأكوام الرفوف وكل ما تبقّى.

نورا، وهي تختنق، لم تستطع الرؤية قط الآن.

ولكن هذا الجزء من المكتبة ما زال متماسكًا، وما زالت هي فيه.

في أيّ لحظة الآن، قد يختفي كل شيء، شعرت نورا بذلك.

لذلك توقّفت عن محاولة التفكير في الكتابة، وفي غضب

كامل، كتبت أوّل ما خطر ببالها، ما شعرت به في داخلها كهدير متحدٍ صامت بإمكانه أن يهزم أيّ دمار خارجي. الحقيقة الوحيدة التي امتلكتها، الحقيقة التي فخرت بها الآن ورضيت بها، الحقيقة التي تصالحت معها بل ورحبت بها، بكل جزيء ناري من وجودها. الحقيقة التي نقشتها بسرعة وثبات، لتضغط في عمق الورقة بمنقار القلم، وتكتب بحروف كبيرة، بصيغة المتكلم في الزمن الحاضر.

الحقيقة التي كانت بذرة لكل ما هو ممكن. لعنة سابقة ونعمة حاضرة.

كلمتان بسيطتان تحتويان على القوة واحتمالات أكوان عديدة.

أنا حيّة.

وبهذا، اهتزّت الأرض بضراوة وذابت كل بقايا مكتبة منتصف الليل وتحوّلت إلى غبار.



يقظة

بعد دقيقة وسبع وعشرين ثانية بعد منتصف الليل، عادت نورا سييد إلى الحياة بتقيؤها على لحافها.

حيّة، بالكاد.

مختنقة، متعبة، عطشة، مكافحة، مرتجفة، مثقلة، تهذي، تشعر بالألم في صدرها، وبألم أكبر في رأسها، كان هذا شعور أسوأ حياة، ولكنها رغم هذا كانت حياةً، وهذا ما أرادته بالضبط.

كان من الصعب، وربما من المستحيل عليها النهوض من السرير ولكنها كانت من تعرف ضرورة قيامها بذلك.

استطاعت الجلوس، بطريقة ما، وجذبت هاتفها ولكنه كان ثقيلًا وزلقًا فلم تستطع إمساكه وسقط على الأرض بعيدًا عنها.

«النجدة» صرخت وهي تترنّح لتخرج من الغرفة.

بدا الممر في شقتها مائلًا وكأنه سفينة في عاصفة. ولكنها تمكّنت من الوصول إلى الباب دون فقدان وعيها، ثم سحبت قفل الباب من المزلاج وتمكنت بعد جهد كبير من فتحه.

«الرجاء المساعدة.»

لاحظت بالكاد أن السماء ما زالت تمطر وهي تخطو خطواتها خارج المنزل مرتدية ملابسها نومها الملطخة بالقيء، لتمر بالعتبة التي وقف عندها آش قبل يوم أو أكثر قبل أن يخبرها بموت قطها.

لم يكن حولها أحد.

لـم تسـتطع رؤيـة أحـد. لذلـك ترنّحـت باتجـاه منـزل السـيد بانيرجـي فـي خطـوات متعرّجـة وكأنهـا مصابـة بالـدوار، لتتمكـن أخيـرًا مـن قـرع الجـرس.

نبض فجأة مستطيل مضيء من النافذة الأماميّة.

فُتح الباب.

لـم يكـن يرتـدي نظارتـه وبـدا حائـرًا وقلقًـا، ربمـا لرؤيـة لنـورا فـي هـذه الحالـة وربمـا لأنهـا جـاءت فـي وقـت متأخـر مـن الليـل.

«أنـا آسـفة جدًا سـيد بانيرجـي. لقـد قمـت بأمـر غبـي جـدًا. مـن الأفضـل أن تتصـل بسـيارة الإسـعاف...»

«أوه يا إلهي. ماذا حدث لك؟»

«أرجوك.»

«نعم. سأتصل. حالًا...»

00:03:48

فقـط عنـد تلـك اللحظـة سـمحت لنفسـها بالانهيـار، سـقطت للأمـام بتسـارع هائـل، علـى عتبـة السـيد بانيرجـي.

The sky grows dark

The black over blue

Yet the stars still dare

To shine for you

الضفة الأخرى لليأس

«تبدأ الحياة»، كتب سارتر، «على الضفة الأخرى لليأس.»

توقف المطر.

كانت ترقد في سرير المستشفى. نُوّمت في الجناح وتناولت بعض الطعام وكانت تشعر بتحسّن كبير. عبّر الطاقم الطبي عن رضاهم عن تعافيها بعد عدة فحوص. وحاولت إدهاش الطبيب بإخباره بالحقيقة العلمية التي سمعتها من آش، عن تغيير المعدة لبطانتها كل عدة أيام.

ثم جاءت الممرضة وجلست على سريرها ومعها ملف وسألتها عدة أسئلة متعلقة بحالتها الذهنيّة. قررت نورا أن تحتفظ بتجربتها في مكتبة منتصف الليل لنفسها كي لا تخاطر بتعقيد نتائج الفحص النفسي. ومن المؤكد أن الحقائق الخفيّة للأكوان المتعددة لم يتم إدراجها في الخطط العلاجيّة لهيئة الخدمات الصحيّة.

استمرت الأسئلة والإجابات لفترة شعرت نورا بأنها اقتربت من الساعة. تحدثا عن تناولها للأدوية، عن موت والدتها، فولتس، فقدانها عملها، قلقها بشأن المال، تشخيصها بالاكتئاب الظرفي.

«هل حاولتِ من قبل القيام بأمر كهذا؟»

«لا أعرف. آشعر بغرابته. لا أريد أن أموت مرة أخرى.»

دوّنت الممرضة ملاحظاتها على الاستمارة.

وعبر النافذة، بعد ذهاب الممرضة، راقبت نورا حركة الأشجار الهادئة في نسيم الظهيرة وانحسار ازدحام الطريق ببطء على

طريق بدفورد الدائري. لم تكن أمامها سوى الأشجار والسيارات والبنايات العادية، ولكن بالنسبة إليها كان هذا كل شيء.

كانت هذه هي الحياة.

بعد لحظات حذفت كل منشوراتها الانتحاريّة من حساباتها في وسائل التواصل الاجتماعي -وفي لحظة عاطفيّة صادقة- نشرت شيئًا آخر. كان عنوانه «شيء تعلمته (كتبته نكرة كانت الجميع).»

شيء تعلمته
(كتبته نكرة كانت الجميع)

من السهل رثاء الحيوات التي لا نعيشها. من السهل تمني حصولنا على مواهب أخرى، وموافقتنا على عروض أخرى. من السهل أن نتمنّى لو عملنا أكثر، لو أحببنا بصدق أكبر، لو تعاملنا مع المال بذكاء أكبر، لو أصبحنا أشهر، لو بقينا في الفرقة الموسيقية، سافرنا إلى أستراليا، وافقنا على موعد شرب القهوة أو قمنا بالمزيد من تمارين اليوغا اللعينة.

من السهل الاشتياق إلى أصدقاء لم نتعرف عليهم وإلى عمل لم نقم به وإلى أشخاص لم نرد الزواج بهم وإلى أطفال لم نُرزق بهم. من السهل تصوّر أنفسنا من خلال عدسات الآخرين، وتمني التحوّل إلى كل النسخ المتغيّرة التي أرادها لنا الآخرون. من السهل الشعور بالندم، والاستمرار في ذلك، إلى ما لا نهاية، حتى يفرغ الوقت.

ولكن المشكلة الحقيقية لا تكمن في الحيوات التي ندمنا على عدم عيشها. بل في الندم نفسه. الندم هو ما يجعلنا نذبل ونشعر أننا العدو اللدود لأنفسنا ولمن حولنا.

لا يمكننا الجزم بأفضلية نسخة على أخرى. هذه الحيوات تحدث الآن، نعم، ولكنك تحدث أيضًا، وهذا هو الحدوث الذي علينا التركيز عليه.

لا يمكننا زيارة كل الأماكن أو لقاء كل الأشخاص، أو العمل في كل الوظائف، لكن أغلب ما سنشعر به في أيّ حياة سنجده متاحًا

أمامنا. لا يجب علينا لعب كل مباراة لنعرف معنى الفوز. ولا يجب علينا عزف كل قطعة موسيقية في العالم لفهم الموسيقى. ولا يجب علينا تجربة كل سلالة من العنب من كل كرمة حتى نعرف متعة النبيذ. الحب والضحك والخوف والألم عملات كونية.

علينا فقط إغلاق أعيننا وتذوّق طعم الشراب أمامنا والاستماع إلى الأغنية التي تُعزف. إننا مكتملون وأحياء في أيّ حياة ولدينا حصتنا الكافية من المشاعر.

نحتاج فقط لنكون شخصًا واحدًا.

نحتاج فقط إلى الشعور بوجود واحد.

لسنا بحاجة إلى القيام بكل شيء لنصبح كل شيء، لأننا أبديون. ولطالما احتوينا على مستقبل من الاحتمالات العديدة.

لذلك، لنكن لطفاء مع مَن حولنا في وجودنا، لننظر إلى الأعلى أحيانًا لأن السماء فوقنا تمتد للأبد.

بالأمس كنت أعرف أنني لا أملك مستقبلًا، وأنه من المستحيل عليّ قبول حياتي كما هي الآن. ولكنني اليوم، أرى حياتي الفوضوية ذاتها وهي مليئة بالأمل. بالاحتمالات.

المستحيل، يحدث عبر الحياة.

هل ستكون حياتي خالية من الألم، اليأس، الحزن، الحسرة، العناء، الوحدة، والاكتئاب؟ لا.

ولكن هل أريد عيشها؟

نعم. نعم.

ألف نعم.

بعد عدة دقائق جاء أخوها لرؤيتها. سمع الرسالة الصوتية التي أرسلتها له ورد عليها برسالة نصيّة عند الدقيقة السابعة بعد منتصف الليل. «هل أنتِ بخير؟» وعندما اتصل به طاقم المستشفى، جاء على أول قطار من لندن. اشترى آخر عدد من مجلة ناشيونال جيوغرافيك لأجلها وهو ينتظر في محطة سان بانكراس.

«كنتِ تحبين هذه المجلة» قال لها، وهو يضع العدد قربها على سرير المستشفى.

«ما زلت أحبها.»

كانت نورا سعيدة لرؤيته. ما زال حاجباه الغليظان وابتسامته العنيدة كما هي. دخل عليها الغرفة وهو مُحرج، خافض الرأس، وشعره أطول مما رأت في الحياتين السابقتين.

«أعتذر لأنني لم أتواصل معكِ مؤخرًا» قال لها. «لم يكن الأمر متعلقًا بما قاله راڤي. لم أعد أفكر في فرقة *المتاهات*. كنت فقط في حالة غريبة. بعد موت أمي واعدت رجلًا ما ومررت بانفصال سيء جدًا ولم أرد الحديث معك، أو مع أيّ أحد عن هذا الأمر. أردت فقط أن أشرب الكحول. وأسرفت في الشرب. كنت أعاني من مشكلة حقيقية ولكنني بدأت بطلب المساعدة، ولم أشرب منذ أسابيع. التحقت بالنادي الرياضي الآن. وبدأت بالتدرّب في حصص منتظمة.

«أوه جو. أنا آسفة لسماع هذا.»

«أنتِ كل ما لديّ يا أختي» قال لها بصوت منكسر. «أعرف أنني لم أقدّرك. أعرف أنني لم أكن أخًا جيدًا في صبانا. ولكني كنت أحاول. بسبب والدي. أخفيت ميولي الحقيقية. وأعرف أن تلك الفترة لم تكن سهلة عليك ولكنها كانت صعبة عليّ أيضًا. كنتِ بارعة في *كل شيء*. المدرسة، السباحة، الموسيقى. لم أستطع مضاهاتك... بالإضافة إلى أن والدي كان والدي وكان عليّ أن أتبنّى رؤيته المزيّفة عمّا يعتقد أنها صورة الرجل الحقيقي.»

تنهّد. «هذا غريب. أظننا نتذكّر الماضي بطرق مختلفة. ولكن لا تتركيني، أرجوك. تركك الفرقة كان أمرًا آخرَ. لكن لا تتركي الوجود. لن أستطيع تحمّل فقدك.»

«لن أغادر إن لم تغادر» قالت.

«ثقي بي، لن أغادر إلى أيّ مكان.»

تذكّرت الحزن الذي غمرها حين سمعت بموت جو بعد تناوله المخدرات في ساو پاولو، وطلبت منه أن يحتضنها، وهكذا فعل، برقّة، وشعرت بالحياة والدفء بين ذراعيه.

«شكرًا لمحاولتك القفز في النهر لإنقاذي» قالت.

«ماذا؟»

«لطالما اعتقدت أنك لم تفعلها، ولكنك حاولت. وسحبك مَن حولك. شكرًا.»

فجأة، عرف ما كانت تتحدث عنه. وربما كان يتساءل عن سبب معرفتها بما حدث، بينما كانت تسبح بعيدًا عنه. «آه، أختي. أحبك. كنّا صغارًا ومغفلين.»

اختفى جو لساعة. أخذ المفاتيح من مالك الشقة، وأحضر لأخته ملابسها وهاتفها.

رأت نورا رسالة من إيزي. *آسفة لم أرد عليكِ ليلة البارحة/ صباح اليوم. أردت الحديث معكِ بالتفصيل! الأطروحة، نقيض الأطروحة، والتوليف. مجموعها يعمل. كيف حالك؟ اشتقت إليك. أوه، وأردت إخبارك بأنني سأعود إلى بريطانيا في يونيو. للأبد. اشتقت إليكِ يا صديقتي. ولديّ الكثير من صور الحيتان الحدباء التي سأرسلها لك.*

أصدرت نورا صوتًا خافتًا من حلقها لشدة سعادتها.

ردت على رسالتها وهي تتأمل الطريقة المثيرة التي تغيّر بها الحياة وجهة نظرها إن مرّت مدة كافية من الزمن.

زارت صفحة المؤسسة العالمية لأبحاث القطب الشمالي على فيسبوك. وجدت صورة لامرأة شاركتها قمرة في القطب الشمالي -إنغريد- وهي تقف إلى جانب قائد فريق البحث بيتر، وتستخدم أداة قياس نحيلة لمعرفة سمك جليد البحر، ووجدت رابطًا لمقال تحت عنوان «المؤسسة العالمية لأبحاث القطب الشمالي تؤكد أن العقد الماضي كان الأكثر دفئًا على الإطلاق في منطقة القطب الشمالي.» نشرت الرابط على صفحتها وأضافت تعليقًا: «استمروا في عملكم الرائع!» وقررت أن تتبرع للمؤسسة ببعض المال عند كسبها له.

سمح الأطباء لنورا بالذهاب إلى المنزل. طلب أخوها سيارة أوبر. وبينما كانت على وشك الخروج من موقف السيارات رأت نورا آش وهو يقود سيارته باتجاه المستشفى. من المؤكد أنه سيبدأ نوبته الليلية. كانت سيارته مختلفة في هذه الحياة. لم يرها، رغم ابتسامتها، وكانت تتمنى أنه سعيد في هذه الحياة. تمنّت أن تكون نوبته الليلية غير شاقة ومليئة بعمليات المرارة. ربما ستذهب لرؤيته في نصف ماراثون بدفورد يوم الأحد. ربما ستطلب منه الخروج معها في موعد لشرب القهوة.

ربما.

في المقعد الخلفي للسيارة، أخبرها أخوها بأنه يبحث عن فرصة للعمل الحر.

«أفكّر في العمل في هندسة الصوت» قال لها. «ما زالت فكرة مبهمة في ذهني.»

كانت نورا سعيدة لسماع هذا. «يجب عليك فعل ذلك. أظن أنك ستحب هذا العمل. لا أعرف لماذا. مجرد شعور.»

«حسنًا.»

«ربما لا يكون هذا العمل باهرًا كعمل نجم روك عالمي، ولكنه قد يكون... أكثر أمانًا. وربما يشعرك بسعادة أكبر.»

كانت مهمة نورا صعبة، ولم يقتنع جو بكلامها. لكنه ابتسم وهزّ رأسه. «هنالك ستوديو في هامرسميث وأظنهم يبحثون عن مهندسي صوت. بإمكاني الذهاب مشيًا إلى مقر العمل. بين سكني وبينه خمس دقائق فقط.»

«هامرسميث؟ نعم. أعرفها.»

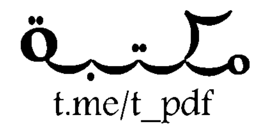
«ماذا تقصدين؟»

«أقصد أنها فرصة رائعة. هامرسميث، عملك في هندسة الصوت. يبدو أنك ستكون سعيدًا هناك.»

ضحك من كلامها. «حسنًا نورا. حسنًا. والنادي الرياضي الذي أخبرتك به؟ يقع بجانب الاستوديو بالضبط.»

«آه رائع. هل التقيت بأحدهم هناك؟»

«نعم، التقيت بشخص يُدعى إيوان. إنه طبيب. ويذهب لحصة التدريب في النادي.»



«إيوان! نعم!»

«مَن؟»

«يجب عليك الخروج معه.»

ضحك جو، وهو يعتقد أن نورا تشاكسه. «لا أعرف إن كان سيرغب في ذلك.»

أنا متأكدة من رغبته. بالتأكيد، مئة بالمئة. الدكتور إيوان لانغفورد. اخرج معه في موعد. ثق بي! سيكون هذا أفضل قرار تتخذه في حياتك...»

ضحك أخوها بينما أوقف السائق السيارة عند المبنى رقم 33أ على شارع بانكروفت. دفع جو الحساب على افتراض أن نورا لم تكن تملك مالًا أو محفظة.

كان السيد بانيرجي يجلس قرب نافذته، يقرأ.

وفي الشارع، رأت نورا أخاها وهو يحدّق إلى هاتفه وعلى وجهه علامات الذهول.

«ماذا حدث جو؟»

لم يستطع التلفظ بجملة كاملة. «لانغفورد...»

«ماذا؟»

«الدكتور إيوان لانغفورد. لم أكن أعرف اسم عائلته ولكنه هو.»

هزّت نورا كتفيها. «هذا حدس أختك. قم بإضافته. تابعه. أرسل له رسالة خاصة. افعل ما تشاء. إنه مَن تبحث عنه. ثق بي.»

«ولكن كيف عرفتِ اسمه؟»

أمسكت ذراعَ أخيها وهي تعلم أنه لا يوجد أي تفسير منطقي يمكنها إقناعه به. «استمع إليّ، جو.» وتذكّرت كلمات السيدة إلم المضادة للفلسفة في مكتبة منتصف الليل. «لا يجب عليك فهم الحياة. عليك فقط *عيشها*.»

وبينما اتجه أخوها إلى باب مبنى 33أ على شارع بانكروفت، نظرت نورا من حولها إلى كل البيوت وشرفاتها وكل أعمدة الإنارة والأشجار أسفل السماء، وشعرت برئتيها وهما تتسعان بعجب وجودها هنا، لتشهد كل هذا وكأنها تراه للمرة الأولى.

نظرت إلى رقم 31.

عبر نافذته بدأ وجه السيد بانيرجي بالإشراق عند رؤية نورا بصحة جيدة. ابتسم وحرّك فمه قائلًا «شكرًا لكِ»، وكأن بقاءها على قيد الحياة كان أمرًا جعله يمتن لها. وفي اليوم التالي، وجدت نورا بعض المال وذهبت إلى متجر الأشجار لتشتري له نبتة ليضعها في مشتله. قفاز الثعلب، ربما. كانت متأكدة من حبه لهذه النبتة.

«لا» ردّت عليه، وأرسلت له قبلة في الهواء. «شكرًا *لك أنت*، سيد بانيرجي! شكرًا على كل شيء.»

اتسعت ابتسامته وعيناه مليئتان بالطيبة والقلق، وتذكرت نورا شعور أن يهتم بها أحد، وأن تهتم هي أيضًا. لحقت أخاها داخل شقتها وبدأت بالترتيب، لتلمح أزهار السوسن في حديقة السيدة بانيرجي في طريقها. لم تكن نورا تقدّر الأزهار من قبل، أما الآن فأصبحت مهوَّسة بها وبألوانها البنفسجيّة المذهلة. وكأن الأزهار ليست مجرد ألوانٍ بل جزءًا من لغة، أو نوتات موسيقية في لحن زهري مجيد، ملهمة كألحان شوپان، تتحدث بصمت الحياة وجلالها الحابس للأنفاس.

كان من الملهم اكتشاف أن المكان الذي أردت الهرب إليه هو المكان ذاته الذي هربت منه. وأن السجن لم يكن في المكان، بل في الرؤية. وأن أغرب ما اكتشفته نورا هو أنه رغم كل الحيوات المتنافرة التي خاضتها، فإن شعور التغيير الهائل لم يحدث إلا في حياتها الأصلية. الحياة التي بدأت وانتهت بها.

التغيير الأكبر والأكثر عمقًا لم يحدث لها عند حصولها على المال أو النجاح أو الشهرة أو ذهابها إلى القطب الجنوبي والدببة القطبية في سڤالبارد، بل حدث عند استيقاظها في السرير ذاته، الشقة الرثة ذاتها بأريكتها المتداعية ونباتات اليوكا والصبّار ورف كتبها وكتيبات اليوغا التي لم تفتحها.

هنالك وجدت البيانو الكهربائي والكتب ذاتها. هنالك وجدت الغياب الحزين ذاته لقطها ولوظيفتها. وما زالت تواجه المصير المجهول ذاته في حياتها.

ورغم هذا، كان كل شيء مختلفًا.

وكان كل شيء مختلفًا لأنها لم تعد تشعر بأنها ملزمة بخدمة أحلام الآخرين. لم تشعر بأنها مضطرة إلى العثور على ذاتها عن طريق تحوّلها إلى ابنة مثاليّة أو أخت أو شريكة أو زوجة أو أم أو موظفة أو أيّ شيء آخر عدا كونها إنسانة، تدور في فلكها، ولا تَمثل للمساءلة أمام أحد.

وكان كل شيء مختلفًا لأنها أصبحت حيّة، بعد اقترابها من الموت. ولأن حياتها كانت قرارها. قرار الحياة. لأنها لمست اتساع الحياة وفي ذلك الاتساع رأت ما يمكن لها فعله، وما يمكن

لها الشعور به. لديها موازين أخرى ونغمات أخرى. لديها أكثر من مجرد مؤشر منخفض إلى متوسط للاكتئاب الذي تتبله أحيانًا حلقات من اليأس. وقد منحها هذا الأمل، *والامتنان* المحض لمنحها فرصة الوجود، لعلمها بقدرتها على الاستمتاع بمراقبة السماوات المشعة وأفلام رايان بيلي المتواضعة والاستماع إلى الموسيقى والمحادثات ونبضات قلبها.

وكان الأمر مختلفًا لأن ذلك الكتاب الثقيل والمؤلم *كتاب الندم* قد احترق وتحوّل إلى رماد.

«أهلًا نورا. هذه أنا، دورين.»

كانت نورا سعيدة لسماع صوتها، لأنها كانت على وشك كتابة إعلان بحثها عن عمل لتعليم البيانو. «أوه دورين! أردت أن أعتذر إليكِ لعدم حضوري درس البيانو قبل أيام.»

«لا عليك.»

«حسنًا، لن أشرح لك كل الأسباب التي منعتني من الحضور» تابعت نورا دون أن تأخذ نفسها. «ولكني أعدك ألّا أعود إلى ذلك الوضع مرة أخرى. أعدك، في المستقبل، إن أردتِ مني الاستمرار بتعليم ليو، سأكون على الموعد. لن أخذلك. وأتفهم تمامًا إن قررتِ استبدال معلمة أخرى بي. ولكني أريد إخبارك بأن لدى ليو موهبة استثنائية. لديه إحساس فريد على البيانو. بإمكانه أن يحظى بوظيفة في هذا المجال في المستقبل. بإمكانه أن يلتحق بالكلية الملكية للموسيقى. لذلك، أريد إخبارك بأنه إن لم يستمر في دروسه معي، فإنني أنصحك بمتابعة تعليمه لدى شخص آخر. هذا كل ما أردت قوله.»

كانت بينهما سكتة طويلة. لا شيء سوى الصوت الثابت لخط الهاتف وأنفاسهما. ثم:

«نورا، حبيبتي، لا عليك، لست بحاجة إلى حوار مع الذات. الحقيقة أننا كنّا في المدينة بالأمس، أنا وليو. كنت أشتري له غسولًا للوجه وقال، «ما زلت سأذهب إلى درس البيانو، صحيح؟» هناك في المتجر. لذلك هل يمكننا متابعة الدروس الأسبوع القادم؟»

«حقًا؟ هذا رائع. نعم، الأسبوع القادم إذن.»

وفي اللحظة التي أغلقت فيها نورا الهاتف جلست إلى البيانو وعزفت مقطوعة لم تُعزف من قبل. أحبت تلك المقطوعة وقررت أن تتذكّرها وتكتب كلماتها. ربما بإمكانها تحويلها إلى أغنية تنشرها على الإنترنت. ربما بإمكانها كتابة المزيد من الأغاني. أو ربما بإمكانها توفير المال للتقديم على برنامج ماجستير. أو ربما ستقوم بالأمرين معًا. مَن يعلم؟ وهي تعزف، نظرت إلى مجلتها -التي اشتراها جو لها- وهي مفتوحة على صورة لبركان كراكاتوا في إندونيسيا.

مفارقة البراكين تكمن في أنها رمز للدمار وللحياة أيضًا. بعد أن تبرد الحمم البركانية، تبدأ بالتصلّب ثم تتكسر بعد فترة من الزمن لتتحوّل إلى تربة خصبة وغنية بالمعادن.

لم تكن نورا ثقبًا أسود، قررت ذلك، بل بركانًا. وكالبركان لم تستطع الهرب من نفسها. كان عليها البقاء والاعتناء بتلك الأرض اليباب.

بإمكانها غرس غابة بداخلها.

بدت السيدة إلم أكبر سنًا مما كانت عليه في مكتبة منتصف الليل. شعرها الرمادي السابق أصبح الآن نحيلًا أبيض اللون، ووجهها متعب ومخطط كخريطة، ويداها منقّطتان بالشيخوخة، ولكنها كانت بارعة في الشطرنج كما كانت قبل سنوات في مكتبة مدرسة هَيزلدين.

كان لدى دار اوك لييف للرعاية رقعة شطرنج خاصة، ولكنها مكسوة بالغبار.

«لا أحد يلعب الشطرنج هنا» قالت لنورا. «أنا سعيدة لمجيئك لرؤيتي. يا لها من مفاجأة.»

«بإمكاني أن آتي كل يوم إن أردتِ سيدة إلم.»

«لويز، أرجوكِ نادِني باسمي الأول. أليس لديكِ عمل تقومين به؟»

ابتسمت نورا. رغم أنه لم تمر سوى أربعٍ وعشرين ساعة منذ أن طلبت من نيل أن يضع ملصقها الإعلاني في متجر نظرية الأوتار، كانت قد تلقت العديد من طلبات دروس البيانو. «أعلّم البيانو. وأساعد في ملجأ المتشردين مرتين في الشهر، أيام الثلاثاء. ولكني سأتمكن دائمًا من القدوم لساعة... ولأكون صريحة معك، لا يوجد لدي أحد يلعب معي الشطرنج أيضًا.»

ابتسمت السيدة إلم بتعب. «حسنًا، سيكون هذا جميلًا.»

حدّقت من نافذتها الصغيرة إلى الخارج وتابعت نورا تحديقها. لمحت كلبة وشخصًا عرفته. لقد كان ديلان، يسير مع كلبته

سالي. الكلبة المتوترة التي احترق جلدها بأعقاب السجائر. تساءلت، لبرهة، إن كان مالك البناية سيسمح لها باقتناء كلب في شقتها. لقد سمح لها باقتناء قط من قبل. ولكن عليها الانتظار حتى تتمكن من تسديد أجر الشقة أولًا.

«أحب هذا المكان» قالت السيدة إلم. «بقائي في الدار، جلوسي الدائم. ظننت أن اللعبة قد انتهت. كملكٍ وحيد على الرقعة. أترين، لا أعرف ما تتذكرينه عني، ولكني خارج المدرسة لم أكن دائمًا الـ--» ترددت. «لقد خذلت من حولي. لم أكن *سهلة المعشر* دائمًا. لقد فعلت أشياء ندمت عليها. كنت زوجة سيئة. لم أكن أمًا مثالية دائمًا. تخلّى البعض عني، ولا ألومهم على فعلهم.»

«لقد كنتِ طيبة معي، سيدة... لويز. عند مروري بأوقات عصيبة في المدرسة، كنت تجيدين الحديث معي.»

استقرت أنفاس السيدة إلم. «شكرًا لك، نورا.»

«وأنتِ لست وحيدة على الرقعة الآن. التحق بكِ بيدق آخر.»

«لم تكوني قط البيدق.»

قامت بتحريك الفيل ليتقدّم في وضعية قوية. وخبأت ابتسامة طفيفة عند زاوية فمها.

«ستفوزين بهذه المباراة» قالت نورا.

التمعت عينا السيدة إلم بالحياة فجأة. «هذا جمال اللعبة، أليس كذلك؟ لا يمكنك معرفة نهايتها.»

ابتسمت نورا وهي تحدّق إلى قطعها المتبقية، وتفكّر في حركتها التالية.



عندما وجدت نورا سيد نفسها في مكتبة منتصف الليل، سنحت لها فرصة أخرى لتصحيح أخطائها. حتى الآن، كانت حياتها مليئة بالتعاسة والندم. شعرت أنها خذلت كلّ من حولها، وخذلت نفسها أيضًا. ولكن الأشياء توشك على التحوّل.

الكتب في مكتبة منتصف الليل مكّنت نورا من عيش حياة جديدة، كما لو أنها اتخذت قرارات مغايرة. بمساعدة صديقة قديمة، بإمكانها الآن محو كل أخطائها لتصل إلى حياتها المثالية. ولكن القصة لا تنتهي كما توقعتها، وقريبًا ستتسبّب قرارات نورا في تعريض نفسها والمكتبة إلى خطر كبير.

وقبل فوات الأوان، يتوجّب على نورا الإجابة عن السؤال الأزلي: ما هي الطريقة الأفضل للعيش؟

الرواية الفائزة بجائزة قودرييدز 2020





مات هيغ هو كاتب بريطاني وصحفي ولد سنة 1975. له العديد من الروايات، كتب أدب الواقع، وكتب الأطفال. نشر أكثر من 24 كتاب من بينها ملاحظات حول كوكب متوتر، كيف توقف الوقت، أسباب للبقاء حيًا. فاز بعدة جوائز عالمية يتم العمل على تحويل عدد من رواياته إلى أفلام سينمائية. يعتبر أحد أهم الداعين للاهتمام بثقافة الصحة النفسية في العالم.

بيعت له أكثر من مليوني نسخة في بريطانيا و تُرجمت أعماله إلى أربعين لغة.

@matthaig1
www.matthaig.com



M A T T   H A I G

لو عاد بك الزمن، هل ستغيّر ماضيك وتمحو أخطاءك؟

"كتاب مسلٍ، مليء بالدفء والطرافة، احتفال رنّان بقدرة الكتب على تغيير حياة أصحابها."

صنداي تايمز

"رواية مؤثرة عن الندم، الأمل، والفرص الثانية."

ديفيد نيكولس

"لا أستطيع وصف مشاعري تجاه أعماله. كتاب ضروري ... مات هيغ ملك اللطف."

جميلة جميل

"مكتبة منتصف الليل عبارة عن ضوء نادر للأمل والحكمة في الظلام."

جوان هاريس

"عبقري ... ممتع جدًا"

ديلي ميل

"قصة رائعة ... كتاب جميل ويحلو الضياع فيه"

زوي بول، بي بي سي راديو 2


ISBN 978-9921-730-86-9



